كيف نقرأ التاريخ ؟

دراسة تحليلية لحقبة الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم
من استشهاد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه
إلى استشهاد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما



تأليف الدكتور
صبح البداح

تقديم
فضيلة المحدث الدكتور
بسام عبد الكريم الحمزاوي

مؤسسة الرسالة ناشرون

مركز مهارات
للتدريب والتطوير

كيف نقرأ التاريخ ؟

بسم الله الرحمن الرحيم



هاتف: ٢٣٢١٢٧٥ ١١ (٩٦٣)
فاكس: ٢٣١١٨٣٨ ١١ (٩٦٣)
ص.ب : ٣٠٥٩٧

بيروت - لبنان
تلفاكس: ١٧٠٠٣٠٢ ١ (٩٦١)
١٧٠٠٣٠٤ ١ (٩٦١)
ص.ب : ١١٧٤٦٠

Resalah
Publishers
Damascus - Syria
Tel:(963) 11 2321275
Fax:(963) 11 2311838
P.O.Box: 30597
Telefax: (961) 1 700 302
(961) 1 700 304
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

Http://www.resalah.com
E-mail: resalah@resalah.com
facebook.com/resalah2007
twitter.com/resalah1970
instagram.com/resalahpublishers.

ISBN 978-9933-23-016-6



①

كيف نقرأ التاريخ ؟

دراسة تحليلية لحقبة الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم
من استشهاد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه
إلى استشهاد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما

تأليف الدكتور

صبح البداح

تقديم

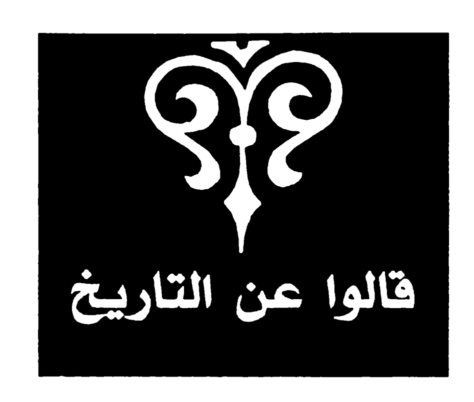
فضيلة المحدث الدكتور

بسام عبد الكريم الحمزاوي

مركز مهارات للتدريب والتطوير

مؤسسة الرسالة ناشرون


بسم الله الرحمن الرحيم



❖ من عرف التاريخ زاد عقله.

الإمام محمد بن إدريس الشافعي

❖ التاريخ ليس علم الماضي؛ بل هو علم الحاضر والمستقبل في واقع الأمر وحقيقته، فالأمة التي تستطيع البقاء هي التي لها ضمير تاريخي تعي به ماضيها وتفسر حاضرها وتستشرف مستقبلها.

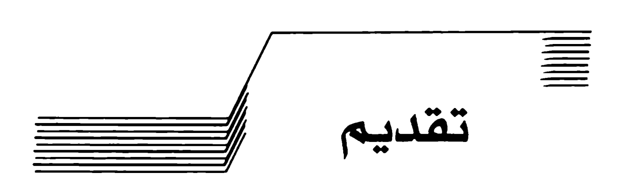
د. عبد العظيم محمود ديب

❖ إن فترات القوة والمنعة في التاريخ الإسلامي إنما ولدت حين تزاوج عنصران: الإخلاص في الإرادة، والصواب في التفكير والعمل؛ فإن غاب أحدهما عن الآخر فلا فائدة من الجهود التي تبذل والتضحيات التي تقدم.

د. ماجد عرسان الكيلاني

❖ إن التاريخ كثيراً ما يعين على فهم الواقع المائل، ولا سيما إذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع، وهذا ما جعل العرب قديماً يقولون: ما أشبه الليلة بالبارحة! وجعل الغربيين يقولون: التاريخ يعيد نفسه.

د. يوسف القرضاوي



تقديم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على صادق الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فإنَّ التاريخ من العلوم التي تحتاج إلى عناية ـ ولا سيما في عصرنا الحاضر ـ هذا العصر الذي تكثر فيه المغالطات التاريخية لتحقيق مكسب طائفي أو سياسي..، وهل موضوع الصهيونية في فلسطين إلا نموذجاً واضحاً عن مغالطة عالمية كبرى؟!! فكان لا بدَّ لمن يقرأ التاريخ أن ينتبه إلى عدَّة أمور ـ من وجهة نظري ـ **منها**:

• **التاريخ حَدَثٌ واقعيٌّ له ضوابطه العلمية الموصلة إلى ثبوته:**

وهذا من خصائص هذه الأمة، فقد وفَّقها الله تعالى إلى قواعد علمية فريدة لحفظ أحاديث نبيِّها الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهو ما يعرف بعلوم الحديث المتنوعة من مصطلحِ حديثٍ، وجرحٍ وتعديل، وعللٍ وتصحيحٍ وتضعيف، وهذه القواعد تصلح لضبط الخبر التاريخي، حتى إنه لما اطلع باحث منصف ـ غير مسلم ـ هو الدكتور أسد رستم على علم مصطلح الحديث عند المسلمين أعجب به أيَّما إعجاب، ثم ألَّفَ الدكتور المذكور كتاباً سماه «**مصطلح التاريخ**»[1] أشاد فيه بالجهود العلمية رفيعة المستوى للمحدثين، وأهمية تطبيق القواعد

---

(١) للكتاب أكثر من طبعة، ومن طبعاته: طبعة المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

الحديثية للوصول إلى ثبوت الخبر التاريخي، ثم ضرب أمثلة لتطبيق هذه القواعد على الحدث التاريخي.

- **الأحداث التاريخية تعرضت مِن قِبَل بعض الناس للتزوير والكذب والدسّ:**

التاريخ كتبه بشر، والبشر منهم الصادق ومنهم الكاذب، ومنهم المُغْرِض ومنهم المندس، ومنهم الفاهم ومنهم غير الفاهم، وصفات المؤرخ البشرية تنعكس على كتاباته، فليس كل ما كُتبَ في كتب التاريخ حقيقة ثابتة؛ بل ذلك يخضع لضوابط المحدثين العامة، ولإعمال العقل في فهم ظروف الحدث التاريخي لنقد ثبوته، أو إثباته، فكيف نقبل تاريخ دولة مثلاً كتب في عصر عدوتها والدولة التي تلتها وأنهت وجودها، فإنَّ المؤرخ الموالي للدولة الثانية سيتقرب إلى حكامها بذكر مثالب[١] الدولة السابقة ما لم يكن هناك معطيات مؤيدة وقرائن.

- **ثبوت الخبر التاريخي لا يُقبل فيه التوسم المجرد بل الدراسة الإسنادية، والتحكيم العقلي المنضبط:**

درج جماعات من مؤرخي الغرب ومَنْ لَفَّ لفَّهم إلى اعتماد منهج التوسم في قبول أو ردِّ الخبر التاريخي باعتماد الانطباع النفسي للمؤرخ، فترى بعضَهم يقول: أنا لا أتصور أنَّ فلاناً قَتَل، ويقول الثاني: لا أعتقد أن الملك الفلاني كان عنده خَوَر[٢] ليطلب صلحاً مع الممالك المجاورة. . . ، وكل هذا غير مقبول؛ لأنَّ الحدث التاريخي نبحث عنه كما حصل في الواقع لا كما نتخيله بأذهاننا، وهذا يحصل بمراعاة أمرين مهمين:

---

(١) المثالب: العيوب، الواحدة مَثْلَبَةٌ. الصِّحاح، الجوهري (١/ ٩٤).

(٢) الخَوَر: الضَعْفُ. رَجُلٌ خَوَّارٌ؛ أي: ضعيف. الصِّحاح، الجوهري (٢/ ٦٥١).

أولاً: الدراسة الإسنادية (أصلها منهج المحدثين في ضبط السُّنَّة):

فكل خبر تاريخي لا بد له من سند (أي: سلسلة رواة تلقى كل منهم الخبر عن الذي قبله حتى نصل لمن شاهد الحدث وحضره)، فإن فُقِدَ السند فلا وثوق لنا بالخبر، ولا يعتبر الخبر ثابتاً بل هو في أحسن أحواله لا يصل إلى (٣٠٪) من الثبوت، وإن وُجِدَ السند، فلا ثبوت حتى يمر بخمس قنوات:

اتصال السند (أي: أنْ يثبت أنَّ كل راوٍ التقى مع الذي قبله)، **عدالة الرواة** (أي: الأمانة العلمية)، **ضبط الرواة** (أي: الكفاءة العلمية)، **السلامة من الشذوذ** (أن لا يخالف الراوي من هو أكثر عدداً منه وأوثق)، **أن لا يكون في الخبر علة خفية قادحة فيه**؛ (أي: أن لا يكشف المختص ـ بخبرته واختصاصه ـ علة تقدح في ثبوت الخبر)[١].

فإذا ثبتت هذه الشروط الخمسة صح الخبر.

ثانياً: **لنقد الخبر نقداً علميّاً لا بد وأن يُعرض الخبر على الأصول، وأن يقاس بأشباهه، وأن يسبر بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النّظر والبصيرة في الأخبار كما يقول ابن خلدون ـ رحمه الله تعالى ـ**[٢]، ويقول كضرب مثال عن ذلك:

«نقل كثير من المؤرّخين في جيوش بني إسرائيل بأنّ موسى عليه السلام أحصاهم في التّيه بعد أن أجاز من يطيق حمل السِّلاح خاصَّة من ابن

---

(١) ذكرت هذه الشروط الخمسة مع مراعاة التسهيل والتجوز، ويمكن لمن أراد التوسع أن يرجع لكتب علم مصطلح الحديث وما يتعلق به كالرسالة للإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)، ومقدمة الإمام مسلم (ت٢٦١هـ) لصحيحه، وكتب الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) كالكفاية، وعلوم الحديث لابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

(٢) تاريخ ابن خلدون (١/ ١٣).

عشرين فما فوقها فكانوا ستُّمائة ألف أو يزيدون ويذهل في ذلك عن:

تقدير مصر والشّام واتّساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكلّ مملكة من الممالك حصّة من الحامية تتّسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عمّا فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة، ثمّ إنّ مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها وبعدها إذا اصطفّت عن مدى البصر مرّتين أو ثلاثاً أو أزيد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصّفّين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء.

ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، يشهد لذلك ما كان من غلبة بُخْتُنَصَّر[١] لهم والتهامه بلادهم واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة سلطانهم وهو من بعض عمّال مملكة فارس، يقال إنّه كان مَرْزُبَان[٢] المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعِراقَين وخراسان وما وراء النّهر والأبواب أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير، ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قطّ مثل هذا العدد ولا قريباً منه، وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسيّة مائة وعشرين ألفاً كلّهم، وأيضاً فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد لاتّسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم، والقوم لم تتّسع ممالكهم إلى غير الأردنّ وفلسطين من الشّام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف، وأيضاً فالّذين بين موسى وإسرائيل إنّما هم أربعة آباء على ما ذكره المحقّقون،

---

(١) بختنصر كان ببابل ـ وهو نبوخذ نصر، فعربته العرب. تاريخ الرسل والملوك للطبري (١/٥٥٨)، وسرد قصته.

(٢) الفارس الشجاع المقدَّمُ على القوم، وهو دون الملك في الرُّتبة والجمع: **مَرَازِبة**. انظر: لسان العرب، ابن منظور (١/٤١٧) بتصرف.

فإنّه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهت (بفتح الهاء وكسرها) ابن لاوي (بكسر الواو وفتحها) ابن يعقوب، وهو إسرائيل هكذا نسبه في التّوراة، والمدّة بينهما على ما نقله المسعوديّ قال: دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف سبعين نفساً وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى التّيه مائتين وعشرين سنة تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ويبعد أن يتشعّب النّسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد».

• الحدث التاريخي يُكرر نفسه لكن مع اختلاف الأشخاص والأمكنة والأزمنة:

ولذلك هو ميدان للعبرة وأخذ الدروس، ولذلك نجد قرآننا الكريم يسرد لنا قصص الأنبياء والصالحين لنقتدي بهم، ويورد قصص الجبابرة والطواغيت لنحذر فعلهم ولننظر في عاقبتهم، وقد قال تعالى في آخر سورة يوسف عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام بعد أن سرد فيها قصص من أَحْسَنَ، وأحداثاً تتعلق بمن أساء: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١]، ففي هذه الآية الكريمة:

• ﴿فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾:

فالقصة التاريخية ليست للتسلية؛ بل لأخذ العبر والحكم.

• ﴿لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

لا يستفيد من مجريات التاريخ وإسقاطها على الواقع إلا أهل العقل والفهم.

• ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾:

لا عبرة بالقصص التاريخية إذا لم تكن ثابتة.

• ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾:

خذ هدايتك ونور طريقك مما يشابهك ممن غبَر واعتبر.

• تناول الحدث التاريخي عند المسلمين، وطرق التصنيف فيه عندهم:

أثَّر تعلم الحديث النبوي وطرق روايته الإسنادية على التصنيف في باقي العلوم، فنجد أن كتب الأدب صارت تُروى بالسند، وكذا كتب التاريخ المختلفة عند السابقين، وينبغي أن نستحضر أن تصنيف علمائنا السابقين كانت ذات منهجية خاصة: إذ يُثبت مؤلفوها الأخبار كما وصلتهم بذكر من حدثهم بها، ثم ذكر مَنْ حدَّث مَن حدَّثهم وهكذا، وذلك بسرد السند كاملاً، وقد كانت غايتهم جمع كل ما بلغهم من الأخبار وتقديمها للقارئ ليبحث في ثبوتها بدراسة السند المذكور، وقد كانوا يقولون: من أسند فقد أحالك، أي: من ذكر لك الخبر بإسناده، فقد أحالك على إسناده والنظر في أحوال رواته، وهذه الأسانيد عند البحث على نوعين: أسانيد ثابتة تصح الأخبار بها، وأسانيد فيها رواة لا يوثق بهم فذكرهم لها **لسببين مهمين**:

* تنبيه القارئ إلى أنها لا تثبت.

* ذكرهم لها عسى أن يأتي مع الزمن من يجد لهذه الأخبار ما يقويها بمجموع الطرق، فكم من أسانيد ضعيفة إذا اجتمعت اكتسبت قوة.

فهذه كتب السرد التاريخي، أو الروايات التاريخية، أمَّا تحليل

الخبر وذكر السياق المعتمد فهذا ينتهجه أهل التحقيق منهم بتقديم الثابت فقط.

• **أخطاء التعاطي مع التاريخ عند بعض الناس اليوم:**

* بعض الناس لا يتعامل مع التاريخ إلا على أنه قصص للتسلية وأخبار للماضين لا تمت إلى الواقع بصلة.

* وبعضهم يجتر التاريخ وينتقي من أحداثه ما يجعل منه محوراً لإثارة الفتن والخصومات، فيكون التاريخ عند هؤلاء وسيلة للفتن وإثارة للخصومات.

وكِلا هذين الموقفين غير موفقين، فإن الذي تناول التاريخ على أنه قصة تسلية حُرم من عِبره ووقع في أخطاء غيره، ومن التقط أحداث الفتن ليثير القلاقل بين الناس، ويفرق الكلمة المجتمعة بحبل الله، فقد جانب الصراط المستقيم والمنهج القويم.

• ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤]:

تكرر ذكر هذه الآية الكريمة في موضعين من سورة البقرة: (١٣٤)، (١٤١)، وكأني بالآية الكريمة ترمي إلى أمور كثيرة منها مخاطبة من يقرأ التاريخ وكأنها تقول لهم: اقرؤوا التاريخ وقصص الأمم وأحداث الفتن وأنتم في انتباه إلى أمرين لا بد منهما للإنصاف:

أحدهما: انتفعوا من الحدث التاريخي لتصحيح واقعكم وأخذ الدروس المناسبة لا لتكونوا قضاة على تلك الشخصيات التي قد خلت من قبلكم.

ثانيهما: احذروا عند دراسة التاريخ أن تحملوا جرائم السلف للخلف فلا تَزِرُ وازرة وزر أخرى.

والخلاصة: التاريخ منبع للحكمة وأخذ العبر وتصحيح المسار، فإذا خرج عن هذا المعنى صار موئلاً لإثارة الفتن فيما بين الناس.

- **الحذر عند قراءة التاريخ من تأثير العاطفة على القارئ وغياب الموضوعية:**

إن سيطرة العاطفة (حب/ كراهية) والبعد عن الموضوعية يوصلنا إلى نتائج مغلوطة عن أحداث التاريخ، أو ناقصة، فانبهارك بأعمال الفتح على جبهة المشرق بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي لا ينبغي أن ينسيك أنه ضرب الكعبة المشرفة بالمنجنيقات لإخراج ابن الزبير من مكة المكرمة، وبغضك ـ لسبب أو لآخر ـ لدولة بني أمية يجب أن لا يحجبك عن حِلم معاوية، ولا عن فتوحات الوليد، ولا عن إنصاف سليمان بن عبد الملك عندما ولَّى ابنَ عمه عمر بن عبد العزيز.

- **احذر من التضليل الإعلامي للتاريخ الإسلامي:**

يعد تاريخنا الإسلامي كأي تاريخ بشري يخضع لسنن الله تعالى في التغيير، ولذلك نجد في تاريخنا الإسلامي صفحات مشرقة جعلت منصفِ الغرب يعلنها على الملأ بملء فيه: **ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من المسلمين**، ومن جرّاء هذا كانت قصة أهالي سمرقند مع الجيش المسلم في زمن عمر بن عبد العزيز، وكان في تاريخنا حروب كأي أمة من الأمم وقتل وخراب، ولكن من المهم جدّاً أن لا ننسى أمراً لا بد منه هنا ألا وهو: أنَّ تاريخنا الإسلامي لم يعاني تدهوراً في كل جوانبه الحياتية، ولم يكن للخسائر على الصعيد السياسي أو العسكري أي أثر على الخط العلمي، فالقرن الثاني الهجري هو قرن تغلبت فيه قوات بني العباس على جيوش بني أمية مما أدى لسقوط دولة الأمويين، وبداية لعصر العباسيين،

ولكن هذا القرن نفسه هو قرن تأسيس المذاهب وظهور أعلام المجتهدين، وهو عصر تدوين السُّنَّة المطهرة[١]، وفي سنة (٦٥٦هـ) سقطت بغداد بيد المغول وقتل الخليفة العباسي، ولكن هذا العصر هو عصر أئمة كبار كان لهم من الآثار العلمية الباقية إلى وقتنا الحاضر.

أمَّا من يركزون على الجوانب المظلمة لتاريخنا ليقولوا لنا: تاريخكم مظلم غير مشرف، فهذا تضليل وإضلال؛ بل تاريخنا فيه كل معاني الحضارة الراقية وارجع لطبقات أطباء المسلمين، ومهندسيهم، وعلماء الفلك منهم وغير ذلك من المعارف والعلوم المتنوعة، فحق لشيخنا الندوي أن يؤلف كتابه العظيم «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».

• الحضارة بمعناها الدقيق لم توجد إلا في تاريخنا الإسلامي:

كيف لي أن أصف مجتمعاً متقدماً في مجال العلم التجريبي ومرتقياً في العلوم المختلفة فيه (فيزياء، كيمياء، طب، . . .) بأنه مجتمع مدني متحضر إذا كان يوجه علومه لتصنيع أسلحة دمار شامل لا تفرق بين مدني وعسكري ولا بين ظالم ومظلوم؟!! وكيف أصفه بأنه متحضر إذا كان يثير الحروب في البلاد الضعيفة ليتاجر بأزمة الحرب ويبيع السلاح وينهض اقتصاديّاً على دماء وأشلاء المستضعفين؟!!

وكيف لي أن أصف بالمتحضر مجتمعاً في الخلق والفضيلة لكنه لا يعرف العلم ولا الرقي الإداري فتملأ جنباته آثار التخلف والمرض والفقر؟!!

---

(١) مع العلم أن كتابة الحديث كانت في زمن النبوة، وأما تدوينه على الأبواب هو الذي تأخر.

التقدم العلمي + التقدم الأخلاقي = الحضارة

وهذا بمعناه الدقيق لم يوجد ربما إلا في التاريخ الإسلامي وشواهده أكثر من أن تحصر.

• كيف نقرأ عصر الصحابة الكرام؟

لا بد من تأصيل لبعض الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع:

* الصحابة الذين نقلوا لنا العلم والقرآن والسُّنَّة المطهرة هم موثقون بنص القرآن الكريم، ففي بيعة الرضوان عندما اجتمع ما يقرب من ألف وخمسمائة صحابي ـ جُلّهم ممن نقل العلم عن طريقهم فيما بعد ـ نزل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

* ظاهرة النفاق كانت مفضوحة ينبه إلى صفات أصحابها القرآن الكريم والحديث الشريف، فأهل مسجد الضرار من المنافقين، ومن تخلف عن تبوك لغير عذر منافق إلا الثلاثة الذين استثناهم القرآن الكريم، والمنافق متخلف عن صلاة الفجر والعشاء غالباً، والمنافق: يكذب ويخلف الوعد ويخون الأمانة... إلخ، فليست ظاهرة النفاق حركة سرية كانت تدس في الدين ومجتمع الإسلام في غفلة عنها؛ بل زعيم المنافقين معروف مفضوح.

* الصحابة طبقات منهم الطبقة العالية السابقة بالإسلام كالخلفاء الراشدين، ومنهم مسلمة الفتح، ومنهم أعراب أسلموا بعد كان بينهم وبين النبي الكريم لقاء يسير، ثم رجعوا لباديتهم.

* ما يعرف بزمن الفتنة بين الصحابة الكرام يجب أن لا يضخم إلى الحد الذي يجعل عصر الصحابة هو عصر الفتن، ولا أن يُغَيَّب عن

التاريخ لأنه حصل ووقع فلتؤخذ العبرة منه، لكن من المهم أن نكون على علم أن الفتن التي كانت بين الصحابة كانت محصورة في زمان ومكان، فأما الزمان فهو دون خمس سنوات (جزء من خلافة أمير المؤمنين علي)، فهل نجعل سنوات دون عدد أصابع اليد الواحدة تغطي قرناً كاملاً؟!! والمكان: بين العراق والشام حصراً (وقعتي: الجمل/ صفين) مع أن دولة الخلافة كانت قد وصلت إلى أقصى بلاد فارس ما بعد نهاوند، والشمال الإفريقي، والجزيرة العربية إلى جنوب تركيا.

* إذا طبقنا قواعد ثبوت الخبر على ما ورد من أحداث الفتن، فإن أكثر من سبعين بالمائة من الأخبار لا يثبت.

* ما كتب عن الفتن كان بعد أكثر من مائة عام من حدوثها.

* أحداث الفتن لا تغير من قطعيات الشريعة، ولا تمس بفضائل من ثبتت لهم الفضيلة.

* فضل الصحابة الكرام ثابت لكنه لا يغير حقائق التصويب والتخطئة: فعليٌّ ومعاوية من الصحابة كان بينهما وقعة صفين، ولا شك عند الجمهور من العلماء أن المصيب هو عليٌّ، فقد تمت البيعة له، ومعاوية بَغَى وخرج على إمامٍ عُقدت البيعة له فهو مخطئ، والبغاة عند فقهائنا على نوعين: باغ خرج لمفسدة، وباغ خرج عن تأويل، ومعاوية باغ خرج عن تأويل لأنه وَليُ دمِ عثمان لكنه أخطأ عن تأويل، وخطؤه لا ينسيني أنه خال المسلمين، ولا يحجب عني أنه من كتاب الوحي.

* ينبغي أن يطلع المسلم على كتاب «حياة الصحابة» للكاندهلوي ـ ليفهم حياتهم من مختلف الجوانب، وينبغي لفتياننا وفتياتنا أن لا يغفلوا عن كتاب «صور من حياة الصحابة» للدكتور عبد الرحمٰن رأفت باشا ـ.

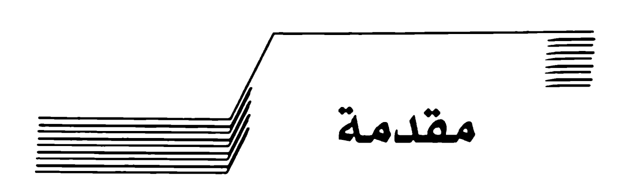
وبعد:

فقد شرَّفني أخي الفاضل الدكتور صبح البدَّاح بقراءة لكتابه «كيف نقرأ التاريخ دراسة تحليلية لحقبة الفتنة بين الصحابة»، فقرأته قراءة سريعة فوجدته جهداً جادّاً، وبحثاً مفيداً، وموضوعاً مهماً؛ بل غاية مؤلفه من اعتماده كمنهج على نظام دورات أمر حسن، وكيف لا يكون حسناً ونحن في هذا العصر أحوج ما نحتاج إلى نشر الثقافة الدينية ـ بأسلوب سهل ممتع ـ وإزالة ما قد يطرأ من شبهات على أذهان شبابنا، وقد أسررت إليه بوجهة نظر خاصة في بعض المواضع المتعلقة بكتابه ـ وهي مواضع خير ـ لي وجهة نظر في اليسير منها، وتعدد وجهات النظر أمر طبيعي لا يخدش في مصداقية العمل؛ بل هو عمل يستحق التقدير.

فأسأل الله تعالى لي ولأخينا وللقارئ الكريم التوفيق بمنه وكرمه، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

✍ وكتبه في ٢٣ شوال ١٤٣٨هـ

المحدث د. بسام عبد الكريم الحمزاوي



مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فمما لا شك فيه أن أمر التاريخ مهم جدّاً، فهو يشكل عماد الأمم، ويحدد لها منهجها وحاضرها ومستقبلها، وما من أمة تقوم وتسود إلا إذا أحكمت الصلة بماضيها، واستمدت منه القوة لبناء حاضرها، واستشراف مستقبلها. وأمة مثل أمة الإسلام، أولى من غيرها بذلك، لما يحمل تاريخها من أمجاد وبطولات وانتصارات يصغر عنده تاريخ أي أمة من الأمم، ولكن في ظل ضعف أمتنا في وقتها الحاضر، لا بد من العودة لتاريخ أمتنا المشرق، كي يسهل علينا تأمل ذاتنا، والإبصار من حولنا، وتلمس الخُطى لمستقبلنا، وهذا لن يتم إلا في قراءة وتدبر تاريخنا الصحيح، ولا شيء غير الصحيح.

ولو أمعنَّا النظر في تاريخنا لوجدنا أنَّ أنصع الفترات بياضاً هي الفترة التي عاشها رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، ذلك الجيل الذي حمل على عاتقه نشر رسالة الإسلام، فهم صفوة خلق الله تعالى بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وقد اعترى تاريخ الأمة الإسلامية الكثير من التشويه، بسبب الفِرَق التي ظهرت، إذ تحاول كل فرقة أن تضع من شأن الفرق الأخرى وترفع من شأن ذاتها، وبذا حدثت ثغرات في بعض الحقب

التاريخية لهذه الأمة[١].

يقول المستشرق شاتلي: إذا أردتم أن تغزوا الإسلام، وتخضدوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتي كانت السبب الأول والرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم؛ فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم، والأمة المسلمة بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم، وكتابهم القرآن وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي[٢].

مما تقدم يتضح لنا أهمية قراءة التاريخ الإسلامي، وكيف يساهم في نهضة الأمة وصياغة تاريخها المعاصر، ومن أهم هذه الحقب التاريخية الحقبة التي عاشها الصحابة الكرام بعد وفاة رسول الله ﷺ، هذه الحقبة التي تعرضت لبعض التشويه، ونقلت في أحداثها بعض الروايات المكذوبة، فالتسليم لهذه الروايات ونشرها نتيجته الطعن بالجيل الذي نقل لنا هذا الدين، وبالتالي التشكيك بأصل هذا الدين، وإيقاع الفرقة بين جماعة المسلمين.

ونحن وإن كنا نُكْثِرُ من ذكر فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، إلا أننا لا ندعي فيهم العصمة، فما جعل الله العصمة إلا لأنبيائه الكرام. نعم لقد أخطأ بعضهم في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، لكن هذه الأخطاء في

---

(١) انظر: حقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص٢٣ ـ ٢٤) بتصرف.

(٢) نقلاً من تقديم الشيخ محمد إسماعيل المقدم لكتاب حقبة من التاريخ لمؤلفه عثمان خميس (ص٥). والشيخ المقدم ينقل هذا الكلام من كتاب «غزو العالم الإسلامي» للمستشرق شاتلي.

جانب حسناتهم لا تكاد تذكر، وليس لها وجود أو أثر. فقد قال فيهم رسول الله ﷺ: **«خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»**[1].

لذلك كانت هذه المادة التي تتحدث عن مقدمات في قراءة التاريخ الإسلامي، ومن ثم الحديث عن الفترة الزمنية من استشهاد سيدنا عثمان رضي الله عنه وحتى استشهاد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما. فهذه الفترة وما حصل فيها من فتن عصفت بهذه الأمة، يجب علينا قراءتها وفهمها والوصول إلى الحقيقة من خلال سَوق الروايات الصحيحة بصورة سهلة ومبسطة.

وتقديم هذه المادة كبرنامج تدريبي تثقيفي بأسلوب حواري، بمدة لا تتجاوز الـ(٢٤) ساعة فقط.

وقد قسّمت الكتاب إلى ثلاثة فصول وخاتمة، وتحت كل فصل مجموعة مباحث، وهو على الشكل التالي:

الفصل الأول: **مدخل إلى التاريخ الإسلامي**:

١ ـ تعريف التاريخ.

٢ ـ أسباب اهتمام الأمة بكتابة التاريخ.

٣ ـ خماسية الموازين التاريخية.

٤ ـ أهم مصادر التاريخ الإسلامي.

٥ ـ بداية تدوين التاريخ عند المسلمين.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٢).

٦ ـ أسباب القصور في قراءة التاريخ.

٧ ـ أسباب تشويه التاريخ الإسلامي.

٨ ـ وسائل تشويه التاريخ.

٩ ـ وسائل التصدي لتشويه التاريخ.

الفصل الثاني: **الفتنة بين الصحابة:**

١ ـ فضائل الصحابة.

٢ ـ إخبار النبي ﷺ عن وقوع الفتن.

٣ ـ مصدر الفتنة.

٤ ـ بداية الفتنة.

٥ ـ إخبار النبي ﷺ باستشهاد عثمان رضي الله عنه.

٦ ـ أسباب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه.

٧ ـ عبد الله بن سبأ وإشعال نار الفتنة.

٨ ـ المآخذ التي ادعاها المتمردون على الخليفة عثمان رضي الله عنه.

٩ ـ استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

١٠ ـ موقف الصحابة من قتل عثمان رضي الله عنه.

١١ ـ مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

١٢ ـ معركة الجمل سنة (٣٦هـ).

١٣ ـ معركة صفين سنة (٣٧هـ).

١٤ ـ قضية التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

١٥ ـ فتنة الخوارج.

١٦ ـ استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

١٧ ـ مبايعة الحسن بن علي رضي الله عنه.

١٨ ـ قصة استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه.

الفصل الثالث: الصحابة فضائلهم وواجبنا تجاههم:

١ ـ أحاديث في فضائل الصحابة الذين شهدوا الفتنة رضي الله عنهم.

٢ ـ واجبنا تجاه الصحابة.

خاتمة: منهج المسلم في التعامل مع الفتن.

والحمد لله ربِّ العالمين

كتبه

د. صبح البداح

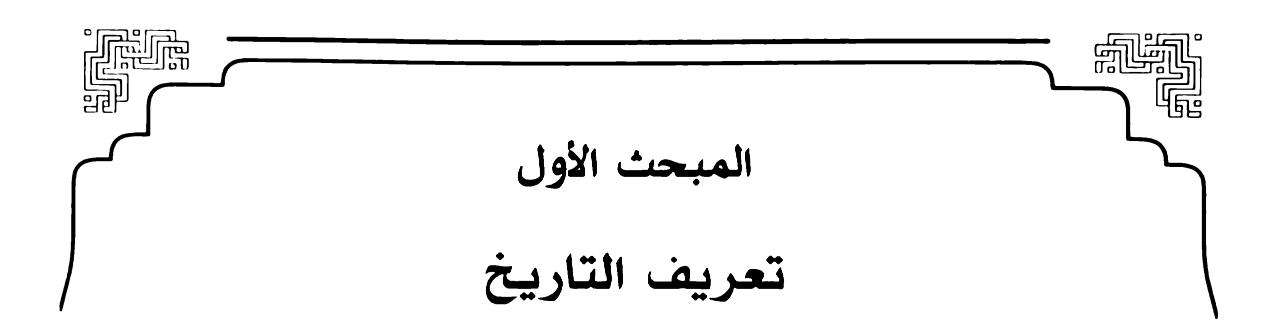
بيروت ٢٦ رمضان ١٤٣٨هـ

الموافق: ٢١ حزيران ٢٠١٧م



الفصل الأول

مدخل إلى التاريخ الإسلامي



المبحث الأول

تعريف التاريخ

لغةً: يقال أرَّخ التَّأْريخُ: تعريف الوقت، والتَّوْريخُ مثله. أرَّخ الكتاب ليوم كذا: وقَّته. وتاريخ المسلمين أُرِّخَ من هجرة رسول الله ﷺ؛ وكتب في خلافة عمر رضي الله عنه فصار تاريخاً إلى اليوم[1].

تعددت الأقوال في تعريف التاريخ من حيث الاصطلاح بين العلماء والباحثين قديماً وحديثاً، ومن أفضل التعريفات التي وضعت، تعريف العلَّامة ابن خلدون[2] رحمه الله (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ).

يقول: **التاريخ هو في ظاهره: لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأُول، تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال.**

وفي باطنه: نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق[3].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٣/ ٤) بتصرف.

(٢) هو العلامة عبد الرحمٰن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ولد في تونس سنة (٧٣٢هـ)، وينحدر من أصل أندلسي إشبيلي، تلقى العلم على عدد كبير من علماء الأندلس الذين هاجروا إلى تونس، ارتحل إلى بلاد كثيرة منها الشام ومصر، وكان قاضي المالكية في مصر، يعتبر ابن خلدون واضع علم الاجتماع، توفي فيها سنة (٨٠٨هـ). انظر: المقدمة، ابن خلدون (١/ ٣ ـ ٤) بتصرف.

(٣) انظر: المقدمة، ابن خلدون (١/ ٦) بتصرف.

المبحث الثاني

أسباب اهتمام الأمة بكتابة التاريخ

١ ـ لاهتمام القرآن الكريم بقصص الأنبياء والأمم السابقة وبيان أحوالهم واستخراج الدروس والعبر من أحوالهم ومآلهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ [يوسف: ١١١].

٢ ـ لاهتمام القرآن الكريم بدراسة تبدل الأحوال والأوضاع وحثّ الناس على تدبّر الوقائع واكتشاف سنن الله في الكون ومنها السنن التاريخية، كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩]. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠].

٣ ـ لاهتمام السُّنَّة النبوية الشريفة بقصص الأنبياء والصالحين من الأمم السابقة واستنباط العظات والعبر، كقوله ﷺ في أحاديثه عن أُناس من الأمم السابقة: «**إنه كان فيمن قبلكم...**».

٤ ـ أوصى الإسلام [قرآناً وسُنَّة] بتتبع سيرة الرسول ﷺ فكان ذلك عاملاً آخر من عوامل اهتمام المسلمين بالسِّيَر والمغازي كجزء من التاريخ الإسلامي، يقول الدكتور الدوري: إن القرآن نصَّ على أن أقوال الرسول ﷺ موصى بها، وأن سيرته مَثَلٌ للمسلمين يقتدون به، وهنا نَجِدُ دافعاً مباشراً لدراسة أقوال الرسول ﷺ وأفعاله.

٥ ـ اهتمام الخلفاء المتعاقبين على إدارة الحكم بالمغازي

والسير وتاريخ من سبقهم من الملوك، وحَثُّ النسَّابة والإخباريين على تدوين ما لديهم من الأخبار رغبة عند بعضهم إدخال هذه المعرفة بين المعارف النبيلة المطلوبة في المجتمع الإسلامي، فتجد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد استدعى عُبيد بن شرية من صنعاء ليسأله عن ملوك العرب والعجم ويأمر بتسجيل ما يقول، ويجلس كل مساء لسماع أخبار التاريخ، وكان مروان بن الحكم يدني مجلس حكيم بن حزام، ليسمع منه أخبار المغازي، وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد يجلسان مع عروة بن الزبير راوية التاريخ ليسمعا منه المغازي، وهشام بن عبد الملك وضع لابن شهاب الزهري كاتبين يكتبان عنه سنة، فلما مات الزهري وجدت له أكوام من الكتب في خزائن الأمويين.

٦ ـ حثّ النبي ﷺ أمته من بعده على احترام الصحابة الكرام رضي الله عنهم وإجلالهم والاقتداء بهم وخاصة الخلفاء الراشدين وتتبُّع سيرتهم وخاصة في أبواب السياسة الشرعية كقوله ﷺ: «... **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**[١] ...»[٢]. وهذا عامل يضاف إلى عوامل أخرى دفعت الأمة إلى الاهتمام بتاريخ الراشدين كجزء من التاريخ الإسلامي[٣].

---

(١) **النَّواجذ**: أقْصَى الأضراس، وَهِي أَرْبَعَة. وَقيل: هِيَ الَّتِي تلِي الأنياب. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٧/ ٣٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة (٧/ ١٦)، ح(٤٦٠٧). وابن ماجه في سننه، أبواب السُّنَّة، باب اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين (١/ ٢٨)، ح(٤٢). وأحمد في المسند، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية (٢٨/ ٣٧٣)، ح(١٧١٤٤).

(٣) انظر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري، تحقيق: محمد البرزنجي (١/ ٦ ـ ٨) بتصرف.

أسباب الاهتمام بكتابة التاريخ

١. اهتمام القرآن بقصص الأنبياء والأمم السابقة.

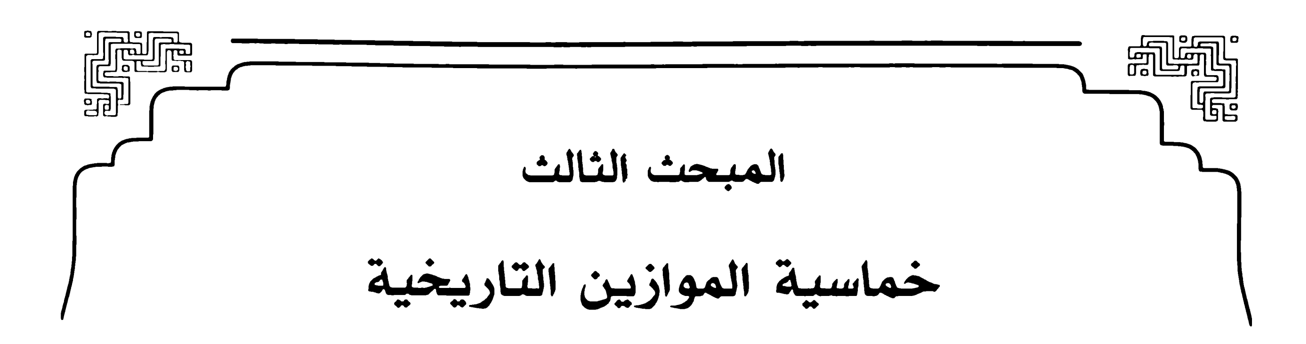
٢. اهتمام القرآن بدراسة الأحوال والحث على تدّبرها.

٣. اهتمام السنة بقصص السابقين واستنباط العبر منها.

٤. وصية الإسلام بتتبع سيرة الرسول ﷺ.

٥. اهتمام الخلفاء بالمغازي والسير، والحث على تدوينها.

٦. الحثُّ على احترام الصحابة والاقتداء بهم.



المبحث الثالث

خماسية الموازين التاريخية

ينقسم الناظرون في التاريخ الإسلامي إلى **فريقين**:

أ ـ **فريق التقديس**: وهؤلاء ينظرون إلى تاريخنا نظرة مقدسة أشبه بالنظر إلى القرآن الكريم، كالحديث فقط عن (الخلفاء الراشدين، الخلفاء العظماء، معارك خالدة، حضارة غير مسبوقة)، فذكر هذه الجوانب فقط هو اختصار مجحف بحق التاريخ الإسلامي.

ب ـ **فريق التدنيس**: تاريخنا بالنسبة لهذا الفريق يفيض بالدماء والحروب والصراعات الداخلية، وينظر للتاريخ على أنه: (فتن وحروب، مؤامرات، طوائف متصارعة، مجالس فجور وفساد).

لذلك إذا أردنا أن نحلِّل التاريخ تحليلاً منطقيّاً صحيحاً ليس فيه مبالغة أو اختزال فلا بد من خمس موازنات لإعادة النظر في التاريخ الإسلامي **وهي**:

١ ـ الموازنة بين الصحيح والخرافة:

قام أعداء الإسلام بوضع روايات لأحداث ليس لها أصل، بهدف التشويه، وزعزعة صورة الإسلام في عيون أبناءه، وإبعادهم عنه، ليسهل عليهم تربية الأجيال عبر العصور على ما يناسبهم من مفاهيم وقيم.

٢ ـ الموازنة بين الماضي والمستقبل:

لا نريد أن نعيش على أحلام وأمجاد الماضي، وإنما نريد أن نستفيد من الماضي لبناء المستقبل على أسس وقواعد سليمة، نذكر الماضي لنتعلم منه وننظر كيف نهضوا بأنفسهم، فنقتفي أثرهم.

٣ ـ الموازنة بين الأصول والفروع:

يهمل كثير من الناس كتب الأصول في التاريخ، ويلجأ إلى كتب الفروع الحديثة، وهذا الأمر له محاسن ولكن أيضاً له صعوبات في الوقت ذاته.

وفي هذا الجدول أدناه مقاربة بين صعوبات ومزايا كتب الأصول في التاريخ:

الصعوبات[1]	المزايا
روايات طويلة	أقرب إلى الأحداث زمانياً
لغة صعبة	حفظ الرواة ومعرفتهم
طول السند	عدم التلون في استعراض التاريخ
ضعف التحقيق في الروايات	موسوعية المؤلفين (التميز بعلوم شتى)

٤ ـ الموازنة بين العاطفة والعقل:

هنالك خلط شديد بين حب الأمة وتاريخها، وإعمال العقل في بعض النصوص التاريخية بطريقة منطقية، فتجد البعض يروي الروايات الضعيفة بهدف الوصول إلى ما يريد، أو مدح بعض الرموز وعدم قبول أي خطأ عن أحد منهم بسبب الحب لهم، مثل محمد الفاتح وصلاح الدين الأيوبي... إلخ، أو تصوير الجاهلية على أنها سيئة فقط، فكيف اختارهم الله تعالى لحمل الرسالة؟؟؟

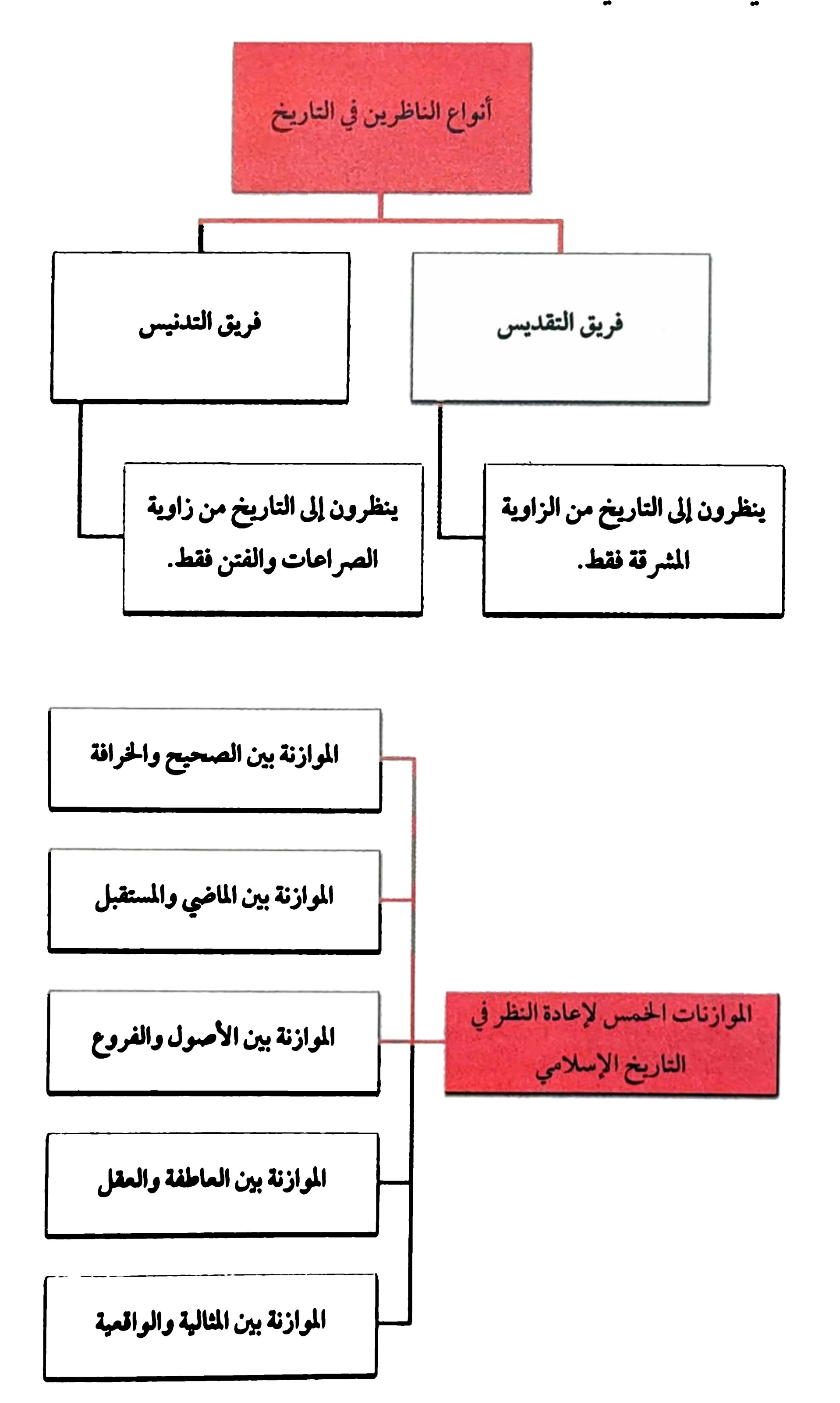
نريد أن نستعمل العاطفة لنذكِّر الناس بالقِيَم المهمة التي نريد أن نربي أجيالنا عليها.

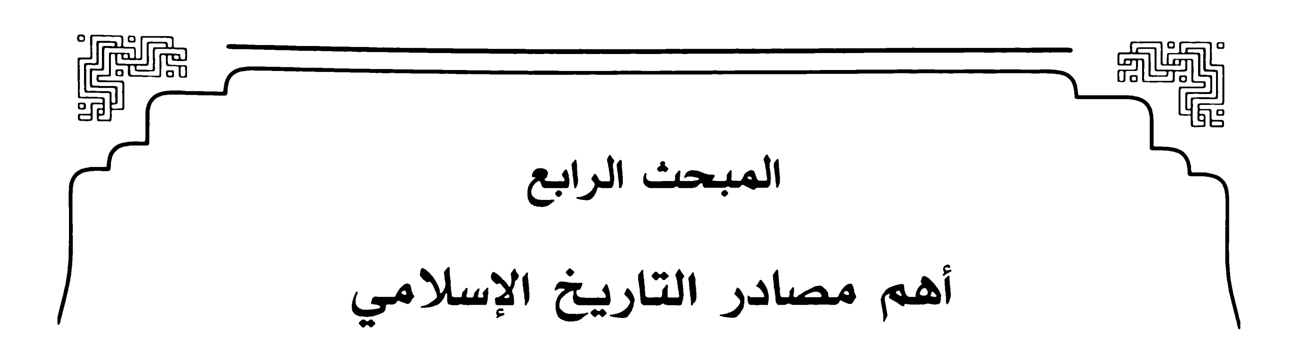
٥ ـ الموازنة بين المثالية والواقعية:

لا بد من التفريق بين مبادئ الإسلام وأعمال المسلمين، فهنالك

(١) لغير المختصين.

أُناس لا يفرقون بين نصوص الشرع كأوامر ربانية لا يشوبها خطأ أو زلل، وبين أقوال العلماء المبنية على الاجتهاد في النص لما يتضمنه النص الشرعي من معاني عدة.





المبحث الرابع

أهم مصادر التاريخ الإسلامي

من المعلوم أن مصادر التاريخ هي الكتب التاريخية والحديثية المسندة الخاصة بتراجم الرجال والأعيان وسيرهم، سواء تلك التي اشترط أصحابها الصحة في سياقها، أو بالتعقيب على الروايات صحةً وضعفاً، أو أوردها دون تعقيب أو دراسة.

ومن المصادر التاريخية التي يمكن أن يُعتمد عليها في قراءة وصياغة التاريخ الإسلامي:

١ ـ كتاب «الطبقات الكبرى» للإمام محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ):

وهو كتاب مهم لأنه يسوق المرويات بالأسانيد، ومما يميز الكتاب أنه من أقدم كتب التاريخ ومصادر السيرة النبوية والتراجم والأخبار فمؤلفه أدرك القرن الثاني الهجري، مع الحذر من مرويات محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ).

٢ ـ «تاريخ خليفة بن خياط» (ت٢٤٠هـ):

وهو وإن كان أصغر من كتاب الطبقات، إلا أنه يمتاز بسلامة متونه من حيث إبراز الفتن، وما حصل في زمن الصحابة رضي الله عنهم.

٣ ـ «تاريخ الأمم والملوك» المعروف بـ«تاريخ الطبري» (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ):

وهو من كتب التاريخ المشهورة الجامعة لأخبار العالم، سماه الطبري بـ«تاريخ الأمم والملوك» وهو حافل بالأخبار والآثار والروايات،

لكنه حوى الغث والسمين، إلا أنه أسند الروايات إلى أصحابها، لكن يجب الانتباه إلى روايات لوط بن يحيى الأزدي أبو مِخْنَف[(١)(٢)].

٤ ـ **«البداية والنهاية» للإمام الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ):**

صاحب كتاب «تفسير القرآن العظيم»، وهذا الكتاب وإن كان ينقل من بعض الكتب والمصادر السابقة، إلا أن أهميته تكمن في تعليقات ابن كثير على كثير من الروايات التاريخية بالصحة والضعف، كونه إماماً في الحديث وعلومه.

٥ ـ **«تاريخ دمشق» لابن عساكر (ت٥٧١هـ):**

وهو كتاب حافل يختص بِمَنْ وَرَدَ دمشق من أهلِ العلم من الصحابة وغيرهم إلى عَصْرِ المصنف، ويمتاز بالإسناد لكل حادثة.

٦ ـ **«تاريخ الإسلام» للإمام شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ):**

وهو كتاب كبير نافع جدّاً، يحكي فيه القصة الكاملة لتاريخنا الإسلامي، وأهم رموزه وأحداثه، ويمتاز بتعليقات الإمام الحافظ الذهبي على بعض الأخبار التاريخية والأحاديث والآثار، وهو من علماء الجرح والتعديل والحديث وهو من الأئمة الكبار في هذا الفن.

٧ ـ **«العواصم من القواصم» لأبي بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ):**

كتابٌ في شُبَهٍ وردت على التاريخ الإسلامي، ويُعتبر هذا الكتاب من أفضل الكتب لما فيه من حجج واضحات، وإجابات شافيات، لكثير من المسائل المهمات، فهو يأتي (بالقاصمة)؛ أي: الشبهة، ثم يتبعها (بعاصمة) وهي كشف الشبهة والرد عليها بالحجة والدليل والبرهان.

---

(١) وقد صدر هذا الكتاب محققاً تحت عنوان: «صحيح وضعيف تاريخ الطبري»، تحقيق: محمد بن طاهر البرزنجي، وطبع في دار ابن كثير بـ (١٣) مجلداً.

(٢) وهو من الكتب التي أوردت الروايات من غير تحقيق على ما سيأتي من بيان منهجه لاحقاً.

كتب غير مختصة بالتاريخ:

وهنالك كتب لا تختص بالتاريخ، وقد أودِعَ فيها بعض الأحاديث المهمة والأخبار الأساسية في التاريخ الإسلامي وخاصة الحقبة الأولى منه مثل كتب الأحاديث، والمسانيد.

وقد يقول قائل ـ بعد ذكر هذه المراجع ـ: إذا أردت القراءة في التاريخ لمن أقرأ؟

والجواب: إذا كان القارئ قادراً على البحث في أسانيد الروايات وتمحيصها فليقرأ للإمام ابن جرير الطبري فهو العمدة بالنسبة للذين يكتبون التاريخ ثم من بعده للإمام ابن كثير والإمام الذهبي ولابن العربي، وإذا كان لا يستطيع ذلك لعدم وجود الاختصاص وتمييز الروايات، فعليه بالكتب الحديثة، ولكن بعد استشارة أهل العلم والاختصاص ممن يُوثق بدينهم وعلمهم لإرشاد القارئ إلى الكتب التي تنفعه.

كتب معاصرة مهمة في التاريخ الإسلامي:

هذه بعض الكتب المعاصرة في التاريخ الإسلامي، وهي مفيدة وقيمة:

١ ـ «التاريخ الإسلامي» للعلّامة محمود شاكر[1](*).

---

(١) هذا الكتاب يتحدث فيه المؤلف عن التاريخ الإسلامي وسِمَتُهُ الخاصة، وقد خرج هذا الكتاب باثنين وعشرين جزءاً تناول من خلالها دراسة التاريخ الإسلامي وقد جاءت على النحو التالي: ١ ـ قبل البعثة، ٢ ـ السيرة، ٣ ـ الخلفاء الراشدون، ٤ ـ الحكومة الإسلامية، ٥ ـ العهد الأموي، ٦ ـ العهد العباسي، ٧ ـ عصر المماليك، ٨ ـ الدولة العثمانية، ٩ ـ العصر الحديث. وقد نهج المؤلف منهجاً علمياً في دراسته تلك حيث لم يتقيد بالروايات التاريخية المتشعبة التي وردت في بطون أمهات الكتب، حيث أتت في بعض الأحيان متناقضة أو ذات أهداف غير معلنة، إنما عمد إلى تنقيح هذه الروايات فقام على تحقيقها وتدقيقها، وتطبيق منهج علماء =

٢ ـ سلسلة كتب الدكتور عبد المنعم الهاشمي منها: «السيرة النبوية للأطفال، الخلافة الراشدة، الخلافة الأموية، الخلافة العباسية، الخلافة العثمانية» وغيرها كثير.

٣ ـ سلسلة كتب الدكتور علي محمد الصلابي «سلسلة كتب عن الخلفاء الراشدين الأربعة، معاوية بن أبي سفيان، الحسن بن علي، الدولة الأموية، الدولة الزنكية، الدولة الأيوبية، دولة السلاجقة، الدولة العثمانية، دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار».

٤ ـ سلسلة كتب بعنوان «نحو تأصيل إسلامي للتاريخ» للدكتور جمال عبد الهادي[1]، وهو أستاذ التاريخ الإسلامي. من بينها كتاب بعنوان «أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ».

٥ ـ سلسلة بعنوان «قصص لا تثبت» للأستاذ سليمان الخراشي.

٦ ـ كتب في إعادة النظر في فلسفة التاريخ الإسلامي للدكتور جاسم سلطان، ومن أهمها:

أ ـ «الذاكرة التاريخية»[2].

= الحديث على الرواة، حيث سرد كل ما طبق على الروايات من هذا المنهج بأسلوب علمي توخياً للدقة والأمانة التاريخية.

(*) المؤرخ محمود شاكر الشامي، ولد في حرستا شمال شرق دمشق عام (١٩٣٢م) وتوفي في الرياض عام (٢٠١٤م).

(١) عالم ومؤرخ، ولد في مصر عام (١٩٣٧م).

(٢) يتناول الكتاب الحديث عن الذاكرة التاريخية للأمة، فيبدأ المؤلف كتابه في الحديث عن صورة من فلسفة التاريخ لرسم إطار معرفي تندرج فيه المعلومة التاريخية، يُمَكِّن القارئ من فهم مسار التاريخ لأي حضارة، ثم يؤسس بعد ذلك لمفهوم الحضارة واضعاً إجابات عن ادعاءات الغرب بامتداد العلوية الحضارية له، موضحاً العوامل المؤثرة في قيام الحضارات. ثم يقوم بتقسيم التاريخ كما تتناوله الأدبيات الغربية، ثم يتبعه بالحديث عن المسار التاريخي الأوروبي وأهم محطاته، موضحاً النقاط المفصلية في التاريخ الأوروبي، ويتناول بعدها المسار الإسلامي وأهم محطاته وعوامل التحليل =

ب ـ الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ «أداة فلسفة التاريخ»[١].

٧ ـ «تاريخنا المفترى عليه» للعلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي[٢].

٨ ـ «كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟» للمفكّر محمد قطب[٣].

٩ ـ «هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس» للدكتور ماجد عرسان الكيلاني[٤].

= فيه، ثم يحاول ذكر نقاط التاريخية المشتركة بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية، وكيف أثرت سلباً وإيجاباً، ويختم كتابه بتحديد المرحلة الآنية والمستقبلية، موضحاً طبيعة الاستجابات العربية والإسلامية الحادة والمرجوة في العوالم الثلاثة (عالم الأفكار وعالم الأشياء وعالم العلاقات).

(١) يقدم هذا الكتاب نبذة عن مراحل التاريخ، وكيف تُسْتَخدَم لرفع أو كسر الروح المعنوية للأمم، ثم يطوف مع بعض نظرات المفكرين. ويتوقف مع تصوّرات ابن خلدون حول دور العصبية في قيام الدول، ويدرس أثر التحدّيات في النهضات، وأثر الأفكار في حدوث التقدم، وأثر الصراع في الموارد في قيام الدول. كما يتناول بعض ما جاء في القرآن من قوانين تتعلق بالنهضة، بالإضافة إلى أهم أعمال المفكرين. كذلك فإن المؤلف في كتابه يذكر بعض نظريات وأفكار المفكرين، والاستفادة مما صَلُحَ منها.

(٢) في هذا الكتاب يتناول العلامة القرضاوي الإفتراءات والظلم الواقع على التاريخ الإسلامي سواء من المستشرقين والغرب، أو من أبناء الإسلام أنفسهم ممن يكثرون من جلد الذات، مع الإشارة لبعض النواحي التي تحتاج للتمحيص وإعادة دراسة، وعرض لبعض الصور والنماذج المشرِّفة من تاريخنا.

(٣) يتناول المؤلف في هذا الكتاب المنهج الذي ينبغي أن تعاد على أساسه كتابة التاريخ الإسلامي، وذلك بطرحه سؤالاً «لماذا نعيد كتابة التاريخ» شارحاً ومفصلاً الأسباب في ذلك، ثم يعرض بعدها مظاهر الجاهلية العربية ثم بعثة الرسول وصدر الإسلام، متحدثاً فيها عن المد الإسلامي، وبدأ الانحسار بعد هذا المد العظيم، ثم يتبعها بالحديث عن الصحوة الإسلامية، ويختم الكتاب بالحديث عن خيوط المستقبل لهذا الدين.

(٤) يتناول الكاتب في هذا الكتاب حقبة مهمة في تاريخ الأمة الإسلامية، كانت نتيجتها توحيد الأمة وتحرير البلاد من الاحتلال الصليبي وعلى رأسها تحرير بيت المقدس، فيبدأ في كتابه بالحديث عن التكوين الفكري للمجتمع الإسلامي قبيل الحملات الصليبية والمذاهب الفكرية الموجودة والتحديات الموجودة لبعضها، وآثار اضطراب =

١٠ ـ «أخطاء تاريخية آن تصويبها»[١] للدكتور شوقي أبو خليل. وله كتب كثيرة في التاريخ والسير مفيدة ومهمة.

١١ ـ «التفسير الإسلامي للتاريخ»[٢] للدكتور عماد الدين خليل. وله كتابات عديدة حول التاريخ وغيره مفيدة ومهمة.

= الحياة الفكرية في المجتمعات الإسلامية ونتائجها على المجتمع (سياسياً واقتصادياً واجتماعياً)، ومن ثم الحديث عن المرحلة الأولى في حركة الإصلاح والتجديد وما فيها من محاولات ومعوِّقات، تبعها انتشار حركة الإصلاح والتجديد والمدارس التي مثلتها، والآثار العامة لهذه الحركة على كافة الصُعُد، ويختم كتابه بالحديث عن القوانين التاريخية وتطبيقات معاصرة لها.

(١) يتناول هذا الكتاب عدداً من الأخطاء التاريخية التي يتداولها الناس دون توثيق آن تصويبها. ويتحدث عن منهج البحث العلمي وضرورة التزامه، ويبين أن تقسيم العصور التاريخية لا ينطبق على تاريخنا، ولا على تاريخ آسية وإفريقية، ويتعرض للسامية واللا سامية، وحقيقة الحضارة العربية الإسلامية يأخذها مما سبقها ونقدها وتصحيحها، ثم الإضافة إليها والإبداع فيها. كما ينبه إلى سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي والأخطاء التي وقع المؤرخون فيها عنه، ويدرس سيرة الرشيد المفترى عليه وهو في قمة الحضارة العربية الإسلامية، وإلى صلاح الدين الأيوبي ونائبه قرقوش وما افتُري عليهما في التاريخ. ويبحث في الدولة العثمانية المفترى عليها وهي دولة إسلامية وأسباب ذلك. وينتقد أسطورة أفران الغاز الهولوكست بالوثائق، ومصير رسالة الدكتوراه فيها. ويعرض أسطورة هيكل سليمان في المسجد الأقصى بالحجج والأدلة والبراهين.

(٢) كتاب مهم في كيفية قراءة الإسلام للتاريخ، فالمؤلف يتناول في هذا الكتاب **التفاسير الوضعية الأساسية**: فيقدّم فيه عرضاً ونقداً لأبرز التفاسير الفلسفية الوضعية للتاريخ، وهي التفسير المثالي لهيغل، والتفسير المادي لماركس وانكلز، والتفسير الحضاري لتوينبي. ومن ثم يتحدث عن **الواقعة التاريخية**: ويتناول فيها طريقة عرض القرآن الكريم للواقعة التاريخية من خلال قصص الأنبياء والمرسلين والأمم الغابرة. ثم يتناول بعدها **المسألة الحضارية**: ويبرز فيها أهمية المسألة الحضارية في التفسير التاريخي، ويبيّن أنها تشكل القاسم المشترك بين المذاهب جميعاً، ويؤكّد نصاعة تناولها من خلال آيات القرآن الكريم. ويختم كتابه بالحديث عن **سقوط الدول والحضارات**: ويتناول فيها مسألة تدهور الدول والحضارات وسقوطها، ويذكر أنَّ معظم مذاهب التفسير الوضعية للتاريخ تكاد تجمع على القول بحتمية سقوط الدول =

١٢ ـ «الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي»[١] إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، وقد قدَّم لها الدكتور راغب السرجاني، وللدكتور كتابات في التاريخ هي من أهم الكتابات في العصر الحديث[٢]؛ لأنها تعتمد طرحاً جديداً للتاريخ الإسلامي، فمنهجه يقوم على التربية بالتاريخ، وتقصّي الصحيح منه، وتحليله بما يساعد على بناء الأمة والارتقاء بها إلى ما كانت عليه أيام السلف الصالح، وهذه الكتابات موجودة على موقع «قصة الإسلام» www.islamstory.com

١٣ ـ كتابات العلَّامة علي الطنطاوي[٣]، والدكتور محمد موسى الشريف[٤].

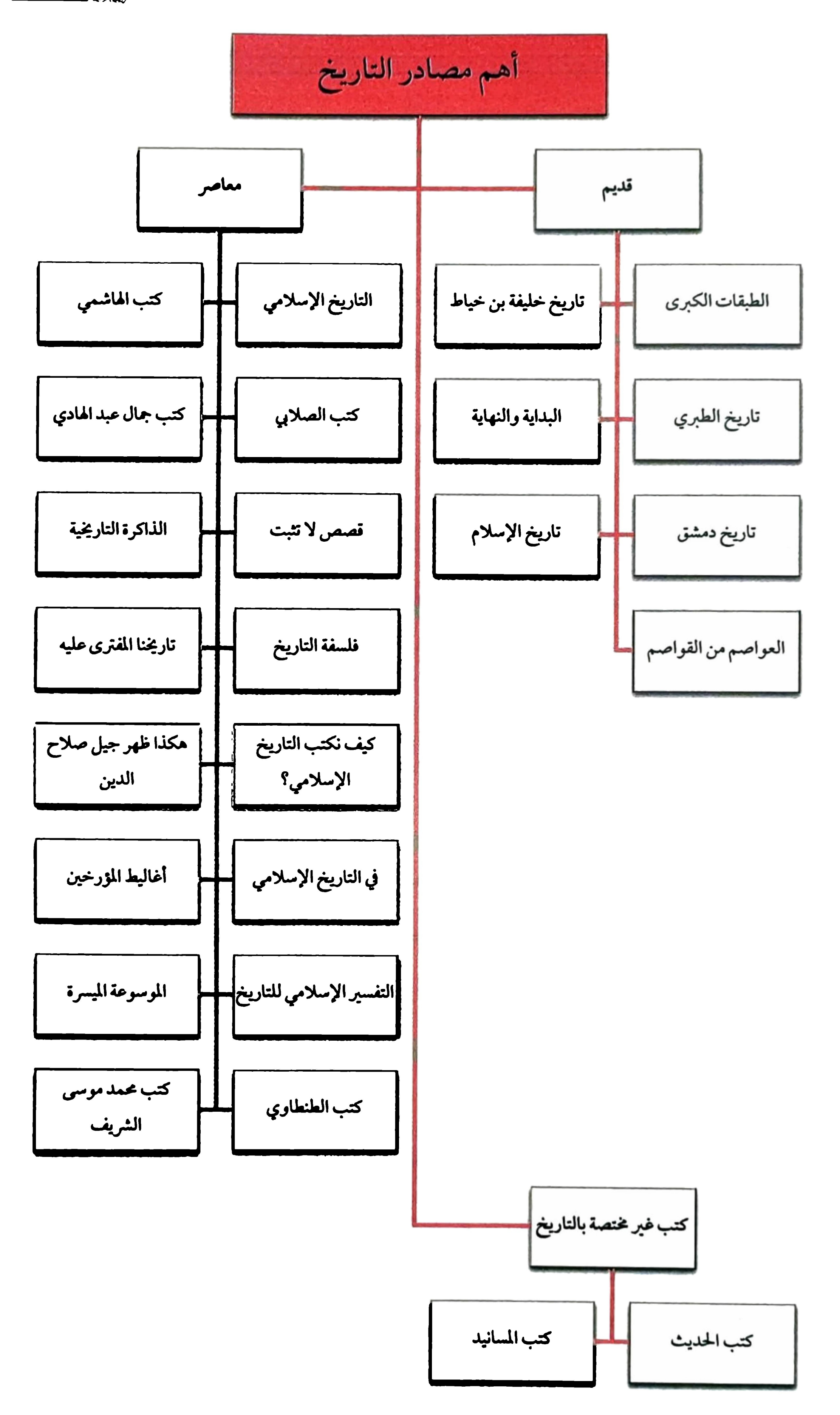
= والحضارات، ثم يعرض لتناول القرآن الكريم لهذه المسألة، وأنَّها مرتبطة بآجال محدّدة ثابتة في علم الله، كجزء من نظام كوني متماسك.

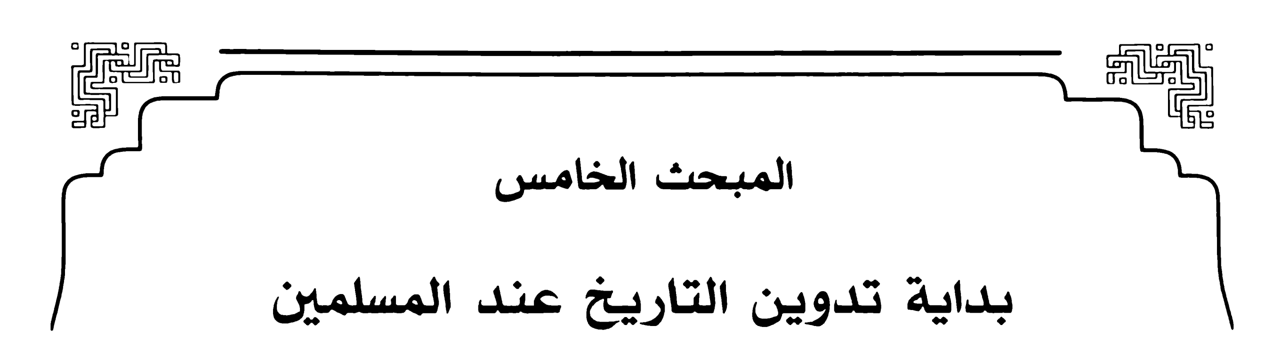
(١) هذا الكتاب هو موسوعة ميسرة في التاريخ الإسلامي يوضح خريطة التاريخ الإسلامي الواسعة، ويتكون من جزءين: تتناول السيرة النبوية، والخلفاء الراشدون، والدولة الأموية، والدولة العباسية، والدولة الفاطمية، والدولة الأيوبية، ودولة المماليك، والمسلمون في الأندلس، والدولة العثمانية، والأقليات المسلمة. مراعين في ذلك جميع الأحداث التي جرت في كل دولة دون الدخول في تفصيلاتها.

(٢) **منها**: كتاب بين التاريخ والواقع (٣ أجزاء). كتاب قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط. كتاب قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي. وغيرها كثير.

(٣) **منها**: كتاب رجال من التاريخ. كتاب قصص من التاريخ. كتاب قصتنا مع اليهود. وغيرها كثير.

(٤) **من أبرزها**: كتاب القدوات الكبار بين التحطيم والانبهار. كتاب عظماء منسيون في التاريخ الحديث (٣ أجزاء).


أهم مصادر التاريخ
قديم
معاصر
الطبقات الكبرى
تاريخ خليفة بن خياط
تاريخ الطبري
البداية والنهاية
تاريخ دمشق
تاريخ الإسلام
العواصم من القواصم
التاريخ الإسلامي
كتب الهاشمي
كتب الصلابي
كتب جمال عبد الهادي
قصص لا تثبت
الذاكرة التاريخية
فلسفة التاريخ
تاريخنا المفترى عليه
كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟
هكذا ظهر جيل صلاح الدين
في التاريخ الإسلامي
أغاليط المؤرخين
التفسير الإسلامي للتاريخ
الموسوعة الميسرة
كتب الطنطاوي
كتب محمد موسى الشريف
كتب غير مختصة بالتاريخ
كتب الحديث
كتب المسانيد



المبحث الخامس

بداية تدوين التاريخ عند المسلمين

إذا تكلمنا عن التدوين بصورة عامة، فإنه كان يتم في القديم بتدوين لحوادث وأخبار مفردة، أو ترجمة لعظيم أو تخليداً للمآثر، لكنَّ إذا أردنا الكلام عن التاريخ الإسلامي بصورة خاصة، فلا بد أن نعلم أن التاريخ الإسلامي لم يبدأ تدوينه إلا بعد زوال الدولة الأموية سنة (١٣٢هـ)؛ أي: في أواخر القرن الثاني الهجري، وقد قام بتدوين التاريخ الإسلامي في هذه الحقبة من التاريخ **ثلاث طوائف**:

الطائفة الأولى:

طائفة المنتفعين ممن يتكسبون بأقلامهم، وهذه طائفة لا يخلو منها زمان ولا مكان، ولو كان ما يكتبونه على حساب الدين، وهذه الطائفة أرادت أن تتقرب بكتابة التاريخ لأمراء بني العباس على حساب حياة وتاريخ بني أمية، فشوهت تاريخ بني أمية كلَّه.

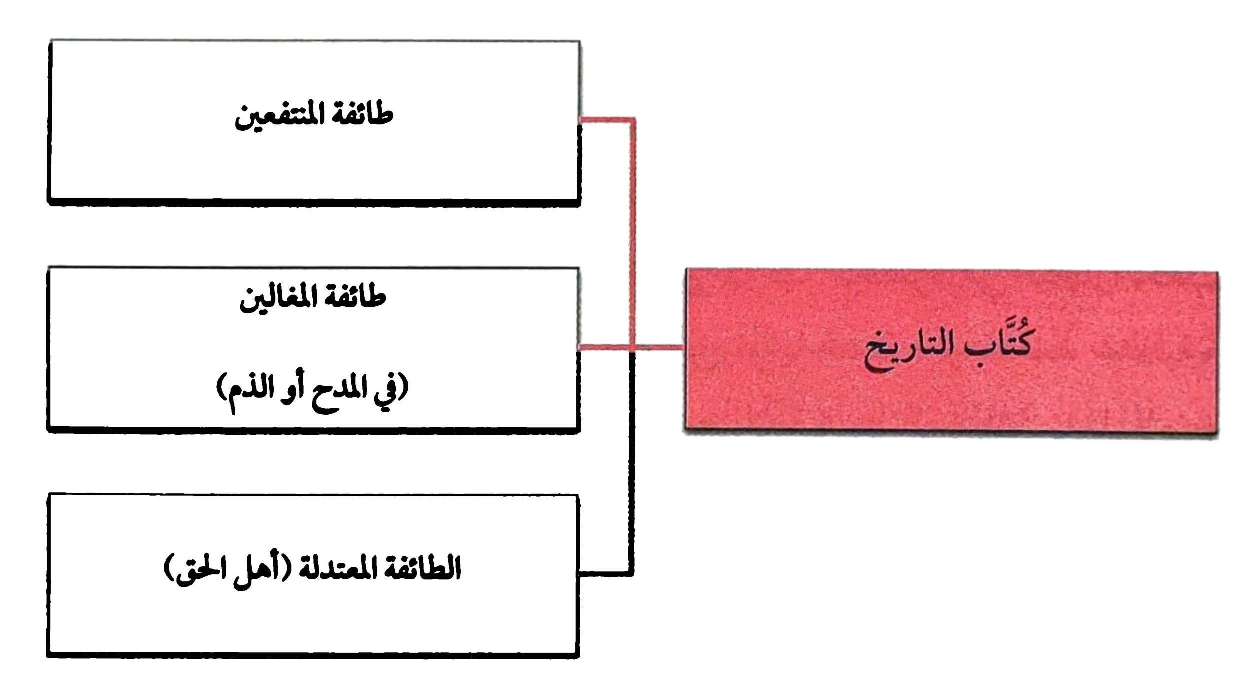
الطائفة الثانية:

طائفة المغالين: وهذه الطائفة غالت في بعض الصحابة غلواً شديداً، فمنهم من رفع عليّاً إلى مرتبة الألوهية، وقد فرطت تفريطاً شديداً في حق بعض الصحابة وطعنوا بهم ورفضوا كل الروايات الصحيحة التي وصلت عن طريق الصحابة باستثناء آل البيت، وبخاصة كل الروايات التي ذكرت من طريق السيدة عائشة وأبي هريرة وعمر وابن عمر ﭬ وغيرهم كثير.

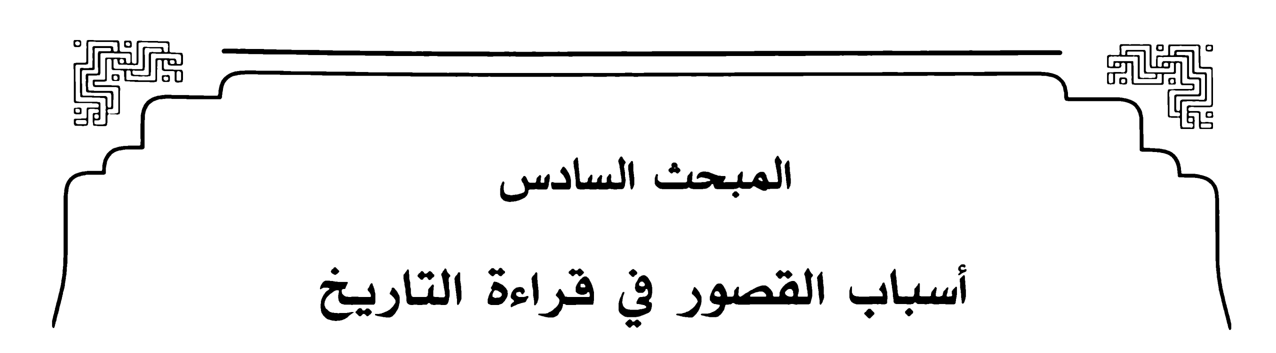
الطائفة الثالثة:

الطائفة المعتدلة: طائفة أهل الحق من أئمة المسلمين، كابن جرير الطبري، والحافظ ابن عساكر، والحافظ ابن كثير، والإمام الذهبي، وغيرهم، لكن هؤلاء جمعوا التاريخ في مدة سياسية وظروف حرجة، فما كان منهم إلا أن جمعوا أخبار الإخباريين، وروايات الرُّواة مع إثبات أسماء رجال السند لكل رواية، لماذا؟

ليكون الباحث بعد ذلك على بينةٍ وبصيرةٍ إذا راجع سلسلة السند فيقف على صحة الرواية من عدمها[١].



(١) انظر: الفتنة بين الصحابة، محمد حسان (ص١٩٩ ـ ٢٠٠) بتصرف.



المبحث السادس

أسباب القصور في قراءة التاريخ

يمكن أن نُرجع القصور الموجود في الكثير من الدراسات التاريخية المعاصرة إلى **ثلاثة أسباب**:

السبب الأول: **التأثر بكتابة المستشرقين**: فإن كثيراً من أبناء المسلمين وقعوا ضحايا لما كتبه بعض المستشرقين والمتأثرين بهم من بني جلدتنا، الذين يتلقفون الأكاذيب والترهات المختلفة في تاريخنا الإسلامي على وجه العموم، ثم يجعلونها عمدة فيما يكتبون، وكأنها من المسلَّمات، للترويج لها معتمدين على كونها مسطرة في ثنايا الكتب التاريخية، فهم ينطلقون عند الكتابة من نوايا سيئة، ومقاصد عدائية، ترمي إلى الطعن والتشكيك في ثوابت هذه الأمة، ومثال ذلك: «ما قام به أحد أساتذة التاريخ في أمريكا، ويدعى البروفيسور مايكل هارت إذ قام بإخراج كتاب تحت عنوان: «المائة: تقويم لأعظم الناس أثراً في التاريخ»[1]، يذكر فيه (١٠٠) شخصية في التاريخ الإنساني، يرى فيها المؤرخ الأمريكي من وجهة نظره أنها أعظم (١٠٠) شخصية في التاريخ البشري عبر جميع العصور والأزمنة، وقد وضع على رأس قائمة المئة رسول الله ﷺ باعتباره أكثر الشخصيات تأثيراً في تاريخ البشر.

وقد يقول قائل: أن هذا أمرٌ عظيم ومهم، أن يقوم عالم غربي غير مسلم بذكر رسول الله ﷺ بكتابه، ويعتبرها الشخصية الأولى. والحقيقة

---

(١) ترجمه للعربية أنيس منصور تحت عنوان: «الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ».

أن الناظر في كتاب مايكل هارت يجد عكس ذلك، إذ أن المؤلف لم يميز في الشخصيات التي اختارها بين الصالح والطالح ولا بين العظيم والمجرم. وأعظم دليل على ذلك أنه وضع مجرماً مثل جنكيز خان[١] في قائمة المئة الأكثر تأثيراً في التاريخ. كما وضع النازي هتلر[٢] كأحد أكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ أيضاً، وكذلك نابليون بونابرت صاحب الحملة الفرنسية على مصر، والتي ارتكب بها أفظع الجرائم بحق الشعب المصري[٣]. إضافة إلى بوذا الذي رأى الكاتب الأمريكي أنه كان يستحق أن يتربع على قائمة المئة وأن يتقدم على رسول الله ﷺ لولا أن أتباعه كانوا قلة على عكس أتباع رسول الله ﷺ الكُثر»[٤]. كما أنه لم يذكر من أمة الإسلام إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد جعله في المرتبة الـ(٤٠).

السبب الثاني: **غياب العلم الشرعي، وقلة الوعي والمعرفة،** والجهل بمناهج علماء التاريخ وقواعدهم ذات الصلة بتدوين وسرد الروايات التاريخية، فبعض العلماء مثل الإمامين (الطبري وابن كثير) لم يشترطا في كتابيهما إيراد الصحيح والإعراض عن السقيم من المرويات والقصص والوقائع والأحداث؛ بل انتهجوا منهجاً محدداً وأشاروا إليه في مقدمات كتبهم، ليكون القارئ على بيِّنة من الأمر. وهذا نموذج من بيان منهج الإمام الطبري:

يقول الإمام الطبري في مقدمة كتابه «تاريخ الأمم والملوك» المعروف بـ«تاريخ الطبري»: «... **ما يَكُنْ في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه**

---

(١) انظر: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، أنيس منصور (ص٨٧).

(٢) انظر: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، أنيس منصور (ص١٤٧).

(٣) انظر: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، أنيس منصور (ص١٤١).

(٤) انظر: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، أنيس منصور (ص٢٩). ومائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، جهاد التُرباني (ص٥) بتصرف.

عن بعض الماضين مما يستنكرُهُ قارئُهُ، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يُعْرَف له وجهاً في الصِّحَّة، ولا معنى في الحقيقة، فليُعلم أنَّهُ لم يُؤْتَ في ذلك من قِبَلِنا، وإنما أُتي مِنْ قِبَلِ بعض ناقليه إلينا، وإنَّا إنما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدِّيَ إلينا»[١].

ومن الرجال الذين روى عنهم الإمام الطبري «لوط بن يحيى» ـ أبو مخنف ـ الذي بلغت رواياته في الطبري (٥٨٥) رواية، من وفاة النبي ﷺ وحتى سقوط حكم يزيد بن معاوية. وهي المدة التي سنتكلم عنها في الفصل الثاني من الكتاب، وفي كل هذه المدة تجد لأبي مخنف رواية يعتمدها من أراد تشويه هذه الحقبة من التاريخ، وليس أبو مخنف وحده من روى عنه الطبري بل هو أشهرهم، وإلا فهناك غيره كـ«سيف بن عمر التميمي» وهو أيضاً مؤرخ، وكذلك «محمد بن السائب الكلبي» وهو كذاب مشهور[٢].

السبب الثالث: **التساهل في تحقيق ونقد الروايات التاريخية**: وهذا ما يذكره بعض الكُتَّاب من إمكانية التساهل في رواية التاريخ، خاصة فيما يتعلق بالحقبة الأولى من تاريخ الإسلام، إذ أنه لون من ألوان التأثر بالمنهج التاريخي الغربي، الذي لا يهتم بنقل الأسانيد.

هذه هي الأسباب الثلاثة الجوهرية التي دخل من خلالها التقصير في قراءة وعرض ونقل التاريخ الإسلامي[٣].

---

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٨/١).

(٢) من أراد النظر في ترجمتهم فعليه بكتاب: تهذيب التهذيب، للإمام ابن حجر العسقلاني، وميزان الاعتدال، للإمام الذهبي.

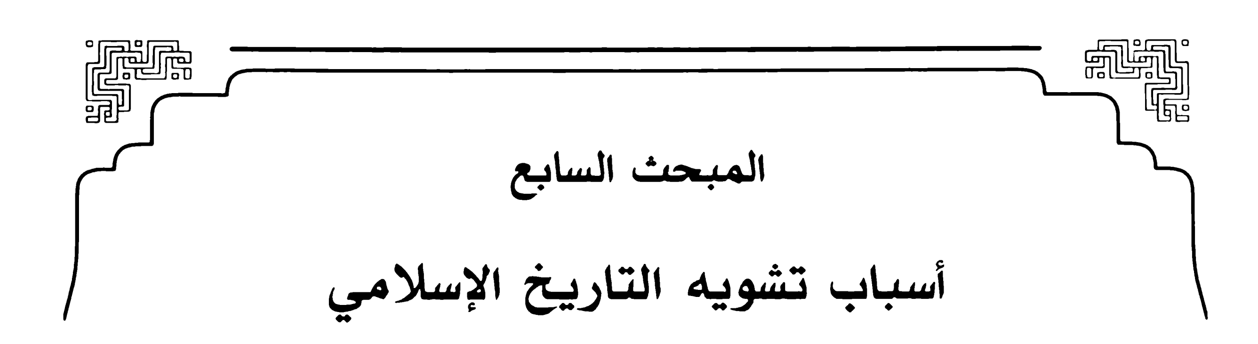
(٣) هنالك شخصيات معاصرة كتبت في التاريخ الإسلامي، إلا أنها لم تهتم بصحة الروايات، أو منهجية تحقيق الروايات التاريخية، بل كان همهم إبراز جمال القصة وسياقها وحُسن سبكها، أو تشويه الصورة، أو هما معاً؛ كأمثال خالد محمد خالد، وعباس العقاد، وطه حسين، وجرجي زيدان. انظر: حقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص٣٢).

أسباب القصور في قراءة التاريخ

١- التأثر بكتابات المستشرقين.

٢- غياب العلم الشرعي، وقلة الوعي والمعرفة.

٣- التساهل في تحقيق ونقد الروايات التاريخية.



المبحث السابع

أسباب تشويه التاريخ الإسلامي

١ ـ تشويه الإسلام بتشويه تطبيق الإسلام:

لم يقتصر الأمر في تشويه الإسلام على غير المسلمين فقد قام بعض ممن ينتسبون للإسلام بمحاولة تشويهه، ومنهم خالد محمد خالد حيث سخر من الخلافة الراشدة واعتبرها مرحلة فتنة ولم يتميز فيها إلا خلافة عمر وقد ذكر هذا في كتابه «من هنا نبدأ»[(١)]، ثم يقول بعد ذلك أن كل عصور الأمة الإسلامية بعد الراشدة كانت عبارة عن حروب وقتال وفسق[(٢)(٣)].

وهذه عيِّنة من الأفكار التي أصبح يتناقلها المستشرقون وغيرهم من المثقفين العرب بهدف الانتقاص من تاريخ الأمة الإسلامية وتشويهه في أعين أبناء الأمة بهدف إبعادهم عن تلك العصور التي ضرب فيها أبناء

---

(١) وقد ردَّ كثير من العلماء عليه وفنَّدوا له آراءه، وكان منهم العلامة المفكر الشيخ محمد الغزالي حيث ردَّ عليه في ذلك الوقت بكتابه «من هنا نعلم».

(٢) انظر: تاريخنا المفترى عليه، يوسف القرضاوي (ص١٥ ـ ١٦).

(٣) يقول الشيخ يوسف القرضاوي: وإن مما ينبغي أن نسجله هنا بكل اعتزاز: أن الأستاذ خالداً، قد رجع عن هذه المقولة، وأعلن ذلك على الناس بصراحة وشجاعة قلما تتوافر لكثير من الناس، وخطَّأ نفسه فيما ذهب إليه من قومية الحكم وعلمانيته، وكتب في ذلك كتابه «الدولة في الإسلام» الذي أكد فيه أن الإسلام دين دولة، كما بين في مقدمته الدوافع التي جعلته يسير في هذا الاتجاه في ذلك الوقت، فشكر اللهُ للشيخ خالد، وجزاه عن دينه وأمته خيراً، وغفر له ما أخطأ فيه. تاريخنا المفترى عليه، يوسف القرضاوي (ص١٦).

الأمة أعظم الأمثلة والنماذج عن كيفية ترجمة الإسلام إلى منهج عملي واقعي يقف عندها المؤرخون في كل عصر لتحليلها والاستفادة من إنجازاتها.

وممن تكلم عن الإنجازات الباهرة التي حققها الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتوقف عندها الدكتور محمد حسين هيكل وقال فيها: أليست هذه بعض معجزات التاريخ[١]؟! في سنتين وثلاثة أشهر تطمئن أمم ثائرة وتصبح أمة متحدة مرهوبة الكلمة عزيزة الجانب، حتى لتغزو الإمبراطوريتين العظيمتين اللتين تحكمان العالم وتوجهان حضارته، لتنهض بعبء الحضارة في العالم قروناً بعد ذلك، هذا أمر لم يسجل التاريخ مثله، فلا عجب أن يقضي من أبي بكر مجهوداً تنوء به العصبة أولو القوة، أما وقد تخطى أبو بكر الستين يوم بويع... ثم يقول: ولعلك بعد الذي تلوته من تفصيل هذه الأعمال الجسام أن تقدر هذا المجهود وما كان له من أثر؛ بل لعلك قد رأيت أن هذا المجهود لا يمكن أن ينهض به رجل إلا إذا أوتي من توفيق الله ومعونته ما لا يؤتاه إلا الصديقون، هذا ما آمن به أبو بكر، ولهذا نقش على خَاتَمِهِ: «**نِعْمَ القادر الله**»[٢].

٢ ـ نزع الدوافع الدينية من نفوس الناس:

يهدف الساعون لتشويه صورة التاريخ الإسلامي إلى نزع الدين من نفوس الناس، ويقولون: إنه ليس من الصحيح أن الدوافع الدينية والقيم الروحية هي السبب في تحريك الأمة، وإنما الحاجة هي السبب،

---

(١) يقصد محاربة المرتدين، والفتوحات ضد الفرس والروم، وغيرها من الإنجازات التي قام بها الصديق في أيام خلافته.

(٢) انظر: الصديق أبو بكر، محمد حسين هيكل (ص١٨١).

يحاولون من خلال ذلك إظهار هذه الجوانب السلبية وتشويه الجوانب الإيجابية وإسقاط القدوات وإبعاد الأمة عن دينها وعن حقيقة وجود الدين في حياة الأمة.

ومن أشهر الأمثلة في ذلك: الطعن والتشويه اللذان تعرضت لهما الخلافة العثمانية؛ لأهمية هذه الحقبة في تاريخ الأمة، ولما كان لها من نتائج عظيمة على البشرية.

أ ـ فهي أكثر الدول فتوحات بعد الدولة الأموية، حيث وصلت فتوجاتهم إلى أوروبا وأجزاء من آسية الصغرى وعلى رأس هذه الفتوحات فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح.

ب ـ كما وأعادت الصلة بين أبناء الأمة ببعضهم تحت راية واحدة وأعادت لهم هيبتهم بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد.

ج ـ اهتم السلاطين العثمانيون بالعمران وبنوا المساجد والمدارس في البلاد المفتوحة، ففي عهد أورخان تم تشييد مسجد بورصة وبجانبه مبنى لتعليم العلوم الشرعية، وفي أزمير كانت أول جامعة عثمانية.

د ـ في عهد السلطان بايزيد بن مراد بنى العثمانيون مركزاً ضخماً لصناعة السفن وإصلاحها.

هـ ـ في عهد السلطان محمد الفاتح تم اختراع فكرة جديدة لتصنيع المدافع استخدمت في فتح القسطنطينية.

و ـ من كبار المعماريين الذين ظهروا في الدولة العثمانية المعماري «سنان» ويعتبر من أبرز المعماريين في التاريخ الإسلامي وكان المسؤول عن الأمور المعمارية في اسطنبول ولا تزال آثارها باقية إلى اليوم وشاهداً على حضارة الدولة العثمانية.

يقول بعض المستشرقين: إن خروج المسلمين في الفتوحات في

عهد الخلفاء الراشدين كان بسبب الجوع والفقر، مع أن الروايات التاريخية لتلك الحقب تبيّن عكس ذلك، ومن هذه الأمثلة قصة المغيرة بن شعبة مع ملك الفرس رستم.

طلب رستم من المسلمين أن يرسلوا له رجلاً يتحدث معه، فأرسل له سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة، والمغيرة يعرف اللغة الفارسية، ولكنه لم يخبر الفرس بذلك، وجعل يمشي بينهم حتى يسمع ما يقولون، وينقل هذا الكلام إلى المسلمين بعد ذلك؛ فدخل المغيرة بن شعبة على رستم وظل يمشي حتى وصل إليه، فجلس بجانبه على السرير المُذهَّب، فصرخوا في وجهه إذ الفُرْسُ جميعهم يقفون بعيداً جدّاً عن رستم، وهذا يجلس بجانبه! فقامت الحاشية بسرعة لكي تجذبه من مكانه، فقال لهم: أنتم دعوتموني، فإن أردتم أن آتيكم كما أحب، وإلا رجعت. فقال لهم رستم: صدق. وتركه، فقال لهم المغيرة بن شعبة: والله جلوسي جنب أميركم لم يزدني شرفاً، ولم ينقصه شيئاً، والله يا أهل فارس إنَّا كانت تبلغنا عنكم الأحلام[(١)]، ولكني أراكم أسفهَ قوم، وكان أجدرَ بكم أن تقولوا لنا إنما يعبد بعضكم بعضاً[(٢)]، ولكننا نتواسى ولا تتواسَوْا[(٣)]، والله الآن أدركتُ أن أمركم مضمحلٌّ، وأن أمر الغَلَبَة والملك لا يقوم على مثل ما أنتم عليه. فسمع الحاشية من خلفه وهي تقول: والله صَدَقَ العربي[(٤)]. ثم أخذ الرؤساء يحدث بعضهم بعضاً يقولون: ما أحمقَ أَوَّلِينا[(٥)]

(١) أي: نسمع عنكم أنكم عقلاء.

(٢) أي: أنتم في تقديسكم لرستم كأنكم تعبدوه.

(٣) أي: يُوجَدُ بيننا رحمة ومودة وأُلفة، وهذا عكس ما أنتم عليه.

(٤) فأهل فارس والجند والحاشية يشعرون بهذا الكلام، فهم بالفعل كأنهم يعبدون رستم ويزدجرد والقادة، كما أن بداخلهم سخطاً شديداً على هؤلاء القادة، ولكنهم لا يستطيعون أن يعلنوه.

(٥) أي: أجدادنا.

عندما كانوا يُصَغِّرُون أمر هذه الأمة!! فأراد رستم أن يخفف من تأثير أفعال الحاشية مع المغيرة حتى لا يغضب؛ فقال له: يا عربي، إن الحاشية قد تفعل شيئاً لا يرضى عنه الملك، ولكنه يتجاوز حتى لا يكسر حاشيته. ثم بدأ رستم يسخر من سلاحه، فقال له: يا هذا، ما هذه المغازل التي تحملها[١]؟ فقال له المغيرة: ما ضَرَّ الجمرةَ أن لا تكون طويلة؛ (أي: أن كرة النار لا يضرها صغرُها، فإذا ألقيت على شخص قتلته وحققت الهدف منه، فليس بالضرورة أن تكون طويلة)؛ فأحضروا له درعاً من دروعهم، فرماه بسهم من سهامه التي يقولون عنها مغازل، فاخترقه، ولم تخترق سهامهم جحفته؛ فهَزَّ ذلك رستم، ثم حاول أن يتماسك، فقال له: ما بالي أرى سيفك رَثاً؟ (أي: مظهره قديم وضعيف)؛ فقال له: رَثُّ الكسوة، ولكنه حديد الضربة. ثم قال له: تتكلم أو أتكلم؟ فقال له: أنت دعوتني فتكلَّمْ. فتكلم رستم قائلاً: لم نزلْ متمكنين في الأرض، وظاهرين على الأعداء؛ نُنصر ولا يُنصر علينا إلا اليوم واليومين، والشهر والشهرين؛ لِلذُّنوب[٢]، فإذا رضي الله عنا رَدَّ لنا بأسنا وجَاهَنَا، ومَلَّكنا على من ناوأنا[٣]، أما أنتم فأهل قَشْفٍ، ومعيشةِ سوءٍ وجَهدٍ وشقاء، لا نراكم شيئاً، ولا نَعُدُّكم، وكانت إذا قحطت أرضكم أتيتمونا، فحملناكم وِقْراً من تمر أو قمح، فرَضِيتم ورجعتم. ثم أخذ يشبِّه المسلمين وقوم فارس بقوله: وإنما مَثَلُكم كرجل له حائط[٤]،

---

(١) يقصد سهامه القصيرة التي تشبه مغازل الصوف في نظره، وكانت سهام الفرس طويلة جداً تعرف بالنشاب.

(٢) سبحان الله! هذا مفهوم رستم عن القتال، وقد لا يكون عند كثير من المسلمين، فهو يعلم أنهم يهزمون بسبب كثرة اقترافهم للذنوب.

(٣) أي: هذه طبيعتنا، فنحن نُنصرُ دائماً، وقد نُغلب مرةً أو مرتين بسبب المعاصي، فلا تظن أن لك الغلبة.

(٤) أي: حديقة أو بستان.

فدخل فيه ثعلب من خرم أو ثقب في سور الحائط؛ فأخذ يأكل من الكَرْمِ[١]، فنظر الرجل[٢] إلى الثعلب، فقال: وما ثعلب؟ فأكل، ثم بدأ يعيث في الحديقة فساداً: يأكل من هذا، ويفسد في هذا؛ فغضب الرجل وطلب منه أن يخرج، فأَبَى الثعلب، فنادى الرجل على غلمانه، فتتبعوه، فعندما أدرك الثعلب أنهم طالبوه وغير تاركيه؛ رجع إلى الثقب فدخل فيه حتى يخرج، ولكنه كان قد سمُن فانحشر في الثقب[٣]، فأتاه الغلمان على هذه الحالة، فظلوا يضربونه حتى قتلوه، فانظروا كيف تخرجون[٤]؟ وإني لأرى أن ما جاء بكم إلا الجَهْد[٥]، فعودوا أدراجكم ونحن نُوقِرُ لكم ركائبكم قمحاً وتمراً[٦]، وأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وكل رجل منكم له وِقْر من تمر وقمح وثوبين، وتعودون إلى أرضكم؛ فإني لا أشتهي قتلكم، فارجعوا عافاكم الله. فقال المغيرة: الحمد والشكر لله ربِّ العالمين، إن الله خالق كل شيء، ورازق كل شيء، وصانع كل شيء؛ فأما ما ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الغلبة، ومن الظهور على الأعداء، ومن التمكُّن في البلاد فنحن نعرف ذلك ولا ننكره، ولكننا نعلم أن الله قد صنعه بكم[٧]، وأما الذي ذكرت من سوء حالنا، ومن قلة زادنا، ومن ضيق عيشنا، ومن اختلاف قلوبنا، فنحن نعرفه أيضاً ولا ننكره، كنا في مثله أو أشد منه: كان أفضلنا من

---

(١) أي: العنب الموجود في الحديقة.
(٢) أي: صاحب البستان.
(٣) أي: عندما دخل إلى الحديقة كان نحيفاً، ولكنه عندما أكل من الحائط امتلأ جسمه فلم يستطع الخروج من الثقب.
(٤) أي: جئتمونا مهازيل فتركناكم حتى سمنتم، فأروني كيف تخرجون من أرض فارس.
(٥) أي: أن حالتكم المادية أصبحت سيئة فلذلك جئتم.
(٦) أي: سنحمل لكم كل هذه الجمال التي معكم بالقمح والتمر.
(٧) أي: فأنتم لم تصنعوا ذلك، ولكن الله قد وضعه فيكم.

يقتل ابن عمه، ويأكل ماله، وكنا نأكل الميتة والدَّم والعظام، وغير ذلك من سوء العيش، ولكن الدنيا دُوَل[١]، وما زال أهل شدائدها ينتظرون الرخاء حتى يصيروا إليه، وما زال أهل الرخاء ينتظرون الشدائد حتى تنزل بهم[٢]، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر لقصر عنه شكركم[٣]، ولكن أسلمكم ضعفُ الشكر إلى تغير الحال[٤]. ثم قال له: إن الله تعالى بعث فينا رسولاً، وأنزل فينا كتابه؛ فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به، فصدقه منا مُصدِّق، وكذَّب به آخر، فقاتل من صدَّقه من كذَّبه، حتى كانت لهم الغلبة واجتمعت العرب كلهم معه، وكانوا من اختلاف الرأي مما لا يطيق الخلائق تأليفهم، فعرفنا أنه الحق ثم أمرنا أن ننابذ من خالفه ممن يلينا؛ فنحن ندعوكم إلى واحدة من ثلاث: إما الإسلام ونرجع عنك ونتركك، ونخلف فيك كتاب الله، وإما الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإن أبيت فالسيف. فقال له رستم: وما صاغر؟ فقال له: أن يقوم أحدكم على رأس أميرنا فيطلب منه أن يأخذ الجزية، فيحمده إن قبلها[٥]، فكن يا رستم عبداً لنا تعطينا الجزية؛ نكف عنك ونمنعك. وعندما قال له: كن عبداً لنا؛ قام رستم واستشاط غضباً، واحمرَّت عيناه وبدأ يزبد ويخرج عن أصول الحديث بين رؤساء الدول والسفراء؛ فقال له: والله ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع هذا الكلام منكم. ثم حلف بالشمس أن لا يرتفع الصباح حتى يدفنهم في القادسية، ثم قال له:

---

(١) أي: فالحياة تتغير دائماً.

(٢) يقصد أنكم إذا كنتم اليوم في نعمة فمن الممكن أن تنزل بكم الشدائد، وإذا كنا نحن في شدة فمن الممكن أن نصير إلى الرخاء.

(٣) أي: أن الله قد أعطاكم نعماً كثيرة، فإن كنتم شكرتموه فشكركم قليل إذا قورن بنعم الله.

(٤) أي: أنتم كفرتم بالله ولم تشكروا نعمه فأدى ذلك بكم إلى تغير حالكم.

(٥) أي: يشكره إذا قبلها منه.

ارجع إلى قومك، لا شيء لكم عندي، وغداً أدفنكم في القادسية. فرجع المغيرة وأثناء مروره على القنطرة أرسل رستم رجلاً يناديه، فناداه، فنظر إليه، فقال له: مُنَجِّمُنا يقول: إنك تُفقَأ عينُك غداً. وذلك ليخوفه، فتبسَّم المغيرة بن شعبة وقال: والله لولا أني أحتاج الأخرى لقتال أشباهكم؛ لتمنيت أن تذهب الأخرى في سبيل الله. فعاد الرجل يخبر رستم بذلك، ولما أخبره بما قال المغيرة؛ قال لهم: أرأيتم؟! ثم قال رستم لحاشيته في اليوم الثاني: والله يا أهل فارس إن الله يعظنا، وإني أراكم تُلْقُون بنا إلى التهلكة. فجادلوه في ذلك، وأخذوا يحفزونه على القتال، حتى وجد أنه لا بُدَّ له من القتال(١).

هذه القصة وإن كانت طويلة إلا أننا سقناها لنبيِّن أن الذي أخرج المسلمين في ذلك الوقت لقتال الفرس والروم ليس الحاجة والفقر وإنما نشر العدل بنشر منهج الإسلام.

٣ ـ نشر اليأس بمثالية الإسلام:

يزعم كثير من المستشرقين ومن المؤرخين العرب أن تطبيق الشريعة في السياسة وغيرها أمر مثالي ولا ينسجم مع الواقع ولا يمكن تطبيقها، ويقول بعض المؤرخين: إن الإسلام لم يطبق إلا في الخلافة الراشدة فقط(٢).

---

(١) انظر: البداية والنهاية ابن كثير (٩/٦١٩ وما بعدها). وهي أحداثَ معركة القادسية. وموقع قصة الإسلام www.islamstory.com للدكتور راغب السرجاني بعنوان: المغيرة بن شعبة يخاطب رستم بتصرف.

(٢) هذا الكلام المغلوط يكذبه الواقع التاريخي، فقد رأينا الإسلام يطبق في أيام عمر بن عبد العزيز الذي أقام العدل، وأحيا ما مات من سننه، ورد المظالم، ومكَّن لدين الله في الأرض، رغم قصر مدة حكمه، وكذلك رأيناه في حكم نور الدين زنكي، والذي كان يشبه بالخلفاء الراشدين في سيرته، وعدله، وجهاده، ورأيناه أيضاً في الناصر =

وللرد على أصحاب هذا الرأي نذكر القصة التالية:

في مدينة «بورصة» وفي عهد السلطان العثماني «بايزيد» الملقب بـ«الصاعقة» فاتح بلاد «البلغار وسلانيك وألبانيا» السلطان الذي سجل انتصاراً ساحقاً على الجيوش الصليبية، والتي دعا إلى حشدها البابا «بونيغا»؛ لطرد المسلمين من أوروبا، والتي اشتركت فيها خمس عشرة دولة أوروبية، وذلك في المعركة التاريخية المشهورة «نيغبولي» سنة (١٣٩٦م).

هذا السلطان اقتضى حضوره للإدلاء بشهادة في أمر من الأمور أمام القاضي والعالم المعروف «شمس الدين فناري».

دخل السلطان المحكمة ووقف أمام القاضي، وقد عقد يديه أمامه كأي شاهد اعتيادي.

رفع القاضي بصره إلى السلطان، وأخذ يتطلع إليه بنظرات محتدة، قبل أن يقول له:

«إن شهادتك لا يمكن قبولها؛ ذلك لأنك لا تؤدي صلواتك جماعة، والشخص الذي لا يؤدي صلاته جماعة، دون عذر شرعي يمكن أن يكذب في شهادته».

نزلت كلمات القاضي نزول الصاعقة على رؤوس الحاضرين في المحكمة، فقد اعتبره البعض اتهاماً كبيراً؛ بل إهانة كبيرة للسلطان بايزيد.

تَسَمَّر الحاضرون في أماكنهم، وقد أمسكوا بأنفسهم ينتظرون أن

= صلاح الدين الأيوبي، الذي شهد له خصومه قبل أنصاره، بعدله، وحكمته، ورحمته، والأمثلة في تاريخ أمتنا الإسلامية أكثر من أن تحصى.

يطير رأس القاضي بإشارة واحدة من السلطان، ولكن السلطان لم يقل شيئاً؛ بل استدار وخرج من المحكمة بكل هدوء.

أصدر السلطان في اليوم نفسه أمراً ببناء جامع ملاصق لقصره، وعندما تم تشييد الجامع بدأ السلطان يؤدي صلواته فيه جماعة.

هذا ما سجله المؤرخ التركي «عثمان نزار» في كتابه: «حديقة السلاطين».

عندما كان المسلمون يملكون أمثال هؤلاء العلماء، ملكوا أمثال هؤلاء السلاطين[١].

٤ ـ القضاء على النموذج:

هذا النموذج هو الإسلام بكل جوانبه (السياسي، الحضاري، العلمي، الروحي...) وممن حاول أن يشوِّه هذا النموذج الكاتب حسين أمين[٢]، حيث كان يقول عن عمر بن عبد العزيز: «لم ير الأتقياء في حكم أحد من الخلفاء الأمويين ما يوافق مُثُلهم العليا، إلا عمر بن عبد العزيز، الذي أسهم جهله بالشؤون السياسية في تدهور أحوال الدولة ثم سقوطها، وانتقال السلطة من أيدي العرب إلى الفرس!!»[٣].

وفي عدد آخر من مجلة «المصور»[٤] يحمل على الفقهاء، ثم على المؤرخين ويتهمهم بالتواطؤ على تزوير التاريخ، حتى تكونت عند الناس النظرة «الرومانسية» ـ كما سماها ـ وبات المسلمون ينظرون إلى الخليفة

---

(١) انظر: روائع من التاريخ العثماني، أورخان محمد علي (ص٢٦ ـ ٢٧) بتصرف.
(٢) مؤرخ عراقي (١٩٢٥ ـ ٢٠١٣م).
(٣) انظر: مجلة المصور القاهرة في ٩/١٢/١٩٨٣م.
(٤) نشر بتاريخ: ١٧/٤/١٤٠٤هـ ـ ١٩/١/١٩٨٤م.

عمر بن عبد العزيز على أنه من أعظم الخلفاء، على حين يصفه الكاتب بأنه: لم تجلب سياسته المالية والإدارية إلا خراب الدولة! ثم يقول: «وإن المسلمين لا يزالون يمصمصون شفاههم إعجاباً بموقفه من واليه على حمص الذي كتب إليه: إن مدينة حمص قد تهدَّم حصنها، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إصلاحه، فرد عليه عمر بقوله: «أما بعد، فحصِّنها بالعدل»».

ويعقب الكاتب المتحامل على هذا قائلاً: «وهذا رد رغم ما فيه من بلاغة تستهوي العرب، فإنه يستوجب المؤاخذة البرلمانية، في أي نظام حكم ديمقراطي!».

٥ ـ صناعة الخوف من الإسلام:

هنالك من يحاول أن يخيف العالم من الإسلام وينشر فوبيا الإسلام بينهم وأن الإسلام قائم على القتل وسفك الدماء ونشر الرعب بين الناس، ويتناسى هؤلاء حقائق تاريخية ذكرت في حركات التوسع الاستعمارية عبر التاريخ، كالروايات التي تتحدث عن وحشية الإسكندر المقدوني[١] لما هدم حصون فارس واحتلها وقام بهدم بيوت النيران للمجوس، وقتل الرابذة وهم رجال الدين المجوس، وأحرق كتبهم ثم استعمل عليها من يحكم أهلها بالقوة والسيف، وسار إلى الهند وقتل ملكها وهدم منازلها وخرب بيوت العبادة فيها، كما وأحرق كتب العلوم عندهم. وغيره من التتار والمغول وماذا فعلوا من جرائم بحق المسلمين يندى لها جبين البشرية.

أما إذا ما نظرنا إلى أقوال المنصفين من الغربيين بحق جيوش

(١) وهو أحد ملوك مقدونيا من الإغريق (٣٥٦ ق.ب ـ ٣٢٣ ق.ب).

المسلمين، فيقول «توماس آرنولد»[١] في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»: «لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، لكنهم ـ أي: الروم ـ غلبونا على أمرنا ومنازلنا. يقول: وأغلق أهل حمص النصارى أبواب مدينتهم في وجه جيش هرقل وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم»[٢].

فقارن بين إنصاف هذا الرجل لتاريخ المسلمين وظلم وتجني من ينتسبون للإسلام على تاريخ المسلمين.

٦ ـ إدعاء عدم صلاحية الإسلام لهذا العصر:

بعض المؤرخين يسعى للقول أن الإسلام لم ينجح إلا في العصور الأولى أو لا يصلح إلا في البيئة التي بُعِثَ فيها تاريخيّاً؛ أي: في الجزيرة العربية فقط، وأنه لا يصلح لكل البيئات، وأن الدِّين مرتبط بعادات وتقاليد أهل البادية والصحراء ونجاحه كان في عهد عمر فقط وقد ذكرت ذلك سابقاً.

ومن الأمثلة التاريخية المعاصرة للرّد على هذه الفكرة ما نراه في تركيا في العصر الحديث فقد كانت تركيا محكومة من نظام عسكري علماني أنشأه مصطفى كمال أتاتورك واستمر عليه القادة الذين خلفوه من بعده بدعم من النظام العسكري الكاره والحاقد على الإسلام.

---

(١) مستشرق بريطاني (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م).

(٢) الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد (ص٧٣).

فجاء حزب العدالة والتنمية ـ صاحب التوجه الإسلامي الواضح ـ بعد عقود طويلة من الظلم والفساد ودمار اقتصادي وسياسي واجتماعي، وقاموا بالانتقال بتركيا من مكان متدنٍ بين الدول إلى مكانة متقدمة، وكل ذلك كان خلال (١٠) سنوات فقط من عام (٢٠٠٢م) وحتى (٢٠١٢م). ففي هذه الفترة تقدمت تركيا بين الدول الغنية من مرتبة (٢٧) إلى (١٧) على مستوى العالم.

وأما دخل الفرد القومي فقد كان في عام (٢٠٠٢م) ٢٣٠٠$ في السنة، أما في عام (٢٠١٢م) فقد وصل إلى ١١٠٠٠$؛ أي: تضاعف إلى (٤) أضعاف ونصف خلال (١٠) سنوات، وقد صرح حزب العدالة والتنمية الحاكم أنه يسعى أن يصل دخل الفرد في عام (٢٠٢٣م) إلى ٢٥٠٠٠$ سنويّاً.

أما على مستوى الديون فقد كانت تركيا غارقة بالديون، حيث بلغ دينها لصندوق النقد الدولي ٢٣,٥ مليار دولار في عام (٢٠٠٢م)، وبعد (١٠) سنوات؛ أي: إلى عام (٢٠١٢م) وصل إلى (صفر). وقد سُئِلَ رئيس الحكومة في ذلك الوقت عن كيفية وصول تركيا إلى هذه المكانة خلال (١٠) سنوات فأجاب بكلمة واحدة «**لا أسرق**».

مثال آخر معاصر على طبيق الإسلام في وقتنا الحاضر، وهي التجربة الماليزيا في كيفية بناء الدولة والنهضة باقتصادها، فقد كان رائد هذه النهضة العظيمة الطبيب مهاتير محمد[1] حيث تولى رئاسة الوزارء في

(١) سياسي ماليزي ولد عام ١٩٢٥م، تولى رئاسة الوزراء فكان رابع رئيس وزراء لماليزيا في الفترة من ١٩٨١ إلى ٢٠٠٣م، وتعد أطول فترة لرئيس وزراء في ماليزيا. وهو صاحب النهضة العلمية والصناعية والاقتصادية والاجتماعية في ماليزيا.

عام (١٩٨١م)، فاستطاع في فترة لا تتجاوز (٢٢) عاماً أن يغير وجه ماليزيا. حيث كان تركيزه ينصب على بناء الإنسان من أجل تحقيق تنمية بشرية متكاملة الأبعاد، كذلك الاستفادة من التجربة اليابانية في تحقيق التنمية وزيادة الإنتاج المحلي للفرد، فكانت النتيجة أن أصبحت ماليزيا من الدول المصدرة للصناعات التكنولوجية عالية الدقة، وقد ارتفعت بذلك صادرات ماليزيا من أقل من (٥) مليارات دولار عام (١٩٨٠م) إلى (١٠٠) مليار دولار عام (٢٠٠٢م).

وقد ساهم القطاع الصناعي فيها بإنتاج ٨٠٪ من السيارات التي تسير في طرقاتها، وأصبحت من أنجح البلدان في جنوب آسيا.

هذا النمو الاقتصادي كانت نتيجته تخفيض معدلات الفقر من ٤٩,٣٪ عام (١٩٧٠م) إلى نحو ٥٪ في عام (٢٠٠٤م) وانخفاض معدلات البطالة لتصل إلى نحو ٢,٧٪ عام (٢٠٠١م)، وهو معدل يعادل أو يفوق نسبتها في العديد من البلدان المتقدمة.

ومن خطاباته المشهورة: «**إننا نعتبر أنفسنا في ماليزيا كأسلافنا المسلمين إبَّان العصر الذهبي، لدينا رؤية ومنهج أصيل ينسجم مع روح وجوهر الإسلام، لذلك كان لا بد أن نبدأ أولاً بتحقيق النمو من خلال تطبيق مبدأ المساواة بين جميع الفئات والعمل على زيادة الناتج المحلي، وهو ما قُوبل برفض الغرب لنا كونه لديه إيمان راسخ بأن البقاء فقط للأقوى وأن الثراء من نصيب الأغنياء على حساب الفقراء**»[1].

---

(١) انظر: التجربة الماليزية، محمد صادق إسماعيل. طبيب في رئاسة الوزراء مذكرات الدكتور مهاتير محمد، مهاتير محمد، ترجمة: أمين الأيوبي.

٧ ـ الترويج للبديل:

يسعى المؤرخون الغربيون ومن على شاكلتهم من العرب إلى تحطيم التاريخ الإسلامي لكي يتبنى المسلمون الصورة البديلة وهي الاقتداء بالمنهج الغربي وترك المنهج الإسلامي، وقد عبر بعض الغربيين أن ما وصل إليه الغرب هو قمة الحضارة وأعلى ما يصل إليه البشر وسموها نهاية التاريخ. فجاءت الأزمة الاقتصادية فدمرت ما يدَّعون وأيقظتهم من أوهامهم، كذلك الدمار الأخلاقي وسقوط منظومة الأخلاق في الغرب عرَّت حضارتهم وكشفت حقيقتهم.

وقد أدرك السلطان العثماني «عبد الحميد الثاني» (١٨٤٢ ـ ١٩١٨م) ـ الذي جاء في فترة الضعف للخلافة العثمانية ـ الانحطاط الذي وصل إليه الغرب فقال في مذكراته: «**يبذل الإنكليز كل جهد ممكن في سبيل الإساءة إلى سمعتنا ـ أي: الخلافة العثمانية ـ فها هم قد خدعوهم بأفكارهم لدرجة أن البعض منهم يؤمن الآن أن طريق الإنكليز هو السبيل إلى الأمن والنجاة ويفضل القومية على الدِّين، إنهم يظنون أن حضارتهم ستمتزج بحضارة الغرب دون أن يشعروا بأن هنالك تضاد بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب**»[١].

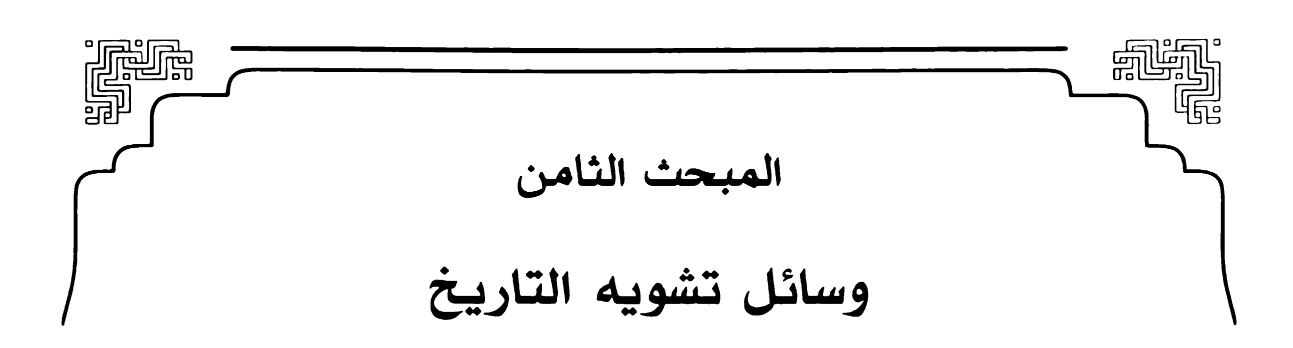
كانت هذه الأسباب التي دفعت المستشرقين ومن سار على نهجهم من المؤرخين والمفكرين العرب بهدف الإساءة إلى التاريخ الإسلامي وإقصائه من حياة الأمة.

---

(١) مذكراتي السياسية (السلطان عبد الحميد الثاني)، عبد الحميد الثاني (ص١٣٣).

أسباب تشويه التاريخ

- تشويه الإسلام بتشويه تطبيقه
- نزع الدوافع الدينية من نفوس الناس
- نشر اليأس بمثالية الإسلام
- القضاء على النموذج
- صناعة الخوف من الإسلام
- ادعاء عدم صلاحية الإسلام لهذا العصر
- الترويج للبديل



المبحث الثامن

وسائل تشويه التاريخ

١ ـ اختلاق الأخبار الكاذبة:

لم يقتصر اختلاق الروايات الكاذبة على التاريخ الإسلامي فقط؛ بل وصلت الجرأة عند البعض للكذب على رسول الله ﷺ وتأليف بعض الأحاديث ونسبتها له ﷺ.

ومن أشهر الذين كانوا يختلقون هذه الروايات «عيسى بن داب الليثي» وكان عالماً بالأدب وقصَّاصاً حافظاً للسير، يؤلف القصص التاريخية وينسبها لبعض الأمراء. وقد أنشد به إبراهيم بن المنذر أبياتاً يحذر فيها الناس من ابن داب ورواياته فقال:

ومن يبغي الوصاة فإن عندي وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون ولا ترووا أحاديث ابن داب

ومن القصص المشهورة المكذوبة قصة خطف الجن للصحابي الجليل تميم الداري رضي الله عنه حيث تذكر الرواية أن تميم خُطِفَ من قِبَلِ الجن وبقي عندهم (٧) سنين، ثم رجع في أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذه رواية مكذوبة وغير صحيحة.

٢ ـ إضعاف المناهج التاريخية في المدارس:

الهدف من هذا الأمر نشر الخرافات والروايات المكذوبة بهدف إبعاد الأجيال عن تاريخهم، فيوصف العصر الراشدي بأنه عصر النزاعات

والخلافات، وتوصف الخلافة العثمانية على أنها احتلال دمَّر البلاد والعباد.

لذلك؛ فإن مادة التاريخ في المناهج الدراسية ليست مادة هامشية وإنما هي مادة أساسية ومهمة. وإذا ما نظرنا إلى الأمم الأخرى وجدناهم يهتمون بكتابة تاريخهم وتعليمه للأجيال عندهم.

ومثال ذلك: ففي عام (١٩٨٢م) تناقلت وكالات الأنباء العالمية أخباراً عن أزمة كبيرة بين الصين واليابان، في هذه الأزمة هددت الصين بقطع كل العلاقات (الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية) وإيقاف أي اتفاقيات قائمة بين البلدين. وسبب هذه الأزمة أن بعض القائمين على وضع المناهج الدراسية في اليابان قرروا تغيير مادة التاريخ في المدارس اليابانية وقرروا أن يخففوا فيها الصورة السلبية لقادة اليابان في الحرب العالمية الثانية، فهم الذين تسبَّبوا في دخول اليابان في الحرب، كما وأن هؤلاء القادة استطاعوا أن يدخلوا الصين ويحتلوا جزءاً كبيراً من أراضيها. فلما قام القائمون على المناهج في اليابان بمحاولة تخفيف الصورة السلبية لهؤلاء القادة قامت الصين بإحداث هذه الأزمة إلى أن عدلت اليابان عن هذه الفكرة.

من خلال هذه الحادثة لا بد من التنبيه إلى **أمرين** لهما مدلول خطير:

أولهما: إدراك قيمة التاريخ وأثره في صناعة الأجيال، وتوجُّهات الأمم، وهذا الإدراك واضح تماماً من الجانبين (اليابان والصين)؛ فاليابان تريد أن تصحح أو تغير، والصين لا تتهاون ولا تتساهل، ويقف العملاقان وجهاً لوجه.

ثانيهما: رهافة الحس وشدة الانتباه من كلٍّ من الدولتين أيضاً،

وبخاصة من الصين، فكيف شعرت حكومة الصين بأن اليابان وهي تستعد للعام الدراسي الجديد غيرت هذه السطور؟؟ كيف شعرت الصين بذلك؟ فالكتب لم تكن خرجت من المطابع بعد؟؟ هل جعلت الصين من مهمة مخابراتها مراقبة الكتب المدرسية؟ إن المخابرات عادة مهمتها مراقبة الأسلحة والجيوش والمفاعلات الذرية، والصناعات الإستراتيجية، والاستعدادات الحربية. فهل أضافت الصين إليها مراقبة الكتب المدرسية؟

أَخال ذلك قد حصل، والمخابرات في ذلك لم تخرج عن وظيفتها ومهمتها، فهي ما زالت مخابرات عسكرية، ترقب قوة العدو وقدرته القتالية، فهذه الكتب المدرسية هي التي تصنع الرجال، وتصوغ الإنسان، الذي هو المحرك الأول، والفاعل الحقيقي في كل معركة، فبدونه لن تكون هناك جدوى لأي سلاح مهما بلغت قوته وكفاءته.

ولا ننسى أيضاً يقظة اليابان التي لم تنس ولم تنم، فهي على إدراكٍ واعٍ بأن هناك سطوراً يجب أن تغير، قد فرضت عليها فرضاً، وأرادت أَن تنتهز فرصة العلاقات الطيبة التي بدأت تربطها بالعدو القديم، لعلّه يتغاضى أو يكون قد نسي، ولكن كان ما كان[1].

٣ ـ الاعتماد على التحليل الاستشراقي للتاريخ الإسلامي:

المستشرقون أناس غير مسلمين، قرأوا القرآن والسُّنَّة والتاريخ

---

(١) انظر: مقال بعنوان: إنهم يعرفون قيمة التاريخ، د. عبد العظيم الديب، نشر بتاريخ ١١/ ١٠/ ٢٠٠٤م، موقع إسلام ويب. خبر بعنوان: كتب مدرسية يابانية تثير أزمة مع الصين وكوريا الجنوبية، نشر بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠٠٥م نقلاً عن وكالة رويترز، موقع قناة الجزيرة الفضائية. تقرير بعنوان: الصين واليابان عوائق التاريخ وحذر المستقبل، إعداد شفيق شقير، نشر بتاريخ ٦/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

ودرسوه بهدف الطعن فيه وتشويهه. فهم متخصصون بدراسة الإسلام والمجتمع الشرقي بعمومه، ويسمونها دراسات عن المشرق.

البعض منهم وهم قلَّة كانوا منصفين في طرحهم، ولكن النسبة الغالبة كانت تهدف لتشويه الدين الإسلامي وإبعاد المسلمين عن دينهم وتاريخهم. فصوروا التاريخ على أنه حروب دموية وصراع على السلطة والمال، ومثال ذلك المستشرق «مونتغمري وات»[١] ألَّف كتاباً اسمه «محمد في مكة» يقول فيه: «**إن الرسول محمداً ما كان يخرج لغار حراء إلا للإصطياف والهروب من حر مكة وليس للعبادة والتحنث**»[٢].

ومثال آخر للمستشرق «روي جاكسون»[٣] ألَّف كتاباً حديثاً في عام ٢٠٠٦م اسمه: «خمسون شخصية أساسية في الإسلام» فقد قام في الكتاب باستعراض خمسين شخصية في تاريخ الإسلام في القديم والحديث، من هذه الشخصيات أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يقول عن الفتوحات في عصره: «**كانت حاجة العرب إلى غزو أرضٍ جديدة من أجل استمرارهم الاقتصادي ولولا هذه الحاجة ما كان خرج الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية**» فصوَّر الفتوحات ضد الروم والفرس على أنها حاجة اقتصادية.

ويقول في حديثه عن شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في قصة عزل عمر لخالد بن الوليد رضي الله عنه: «الغيرة من شخصية خالد ومن معجبيه أدت إلى أن يتهمه عمر بالاحتفاظ بكثير من الغنائم لنفسه». وكتابه مليء

---

(١) مستشرق إنكليزي معاصر، عمل رئيساً لقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أدنبره (١٩٠٩ ـ ٢٠٠٦م).

(٢) انظر: محمد ﷺ في مكة، ويليام مونتجمري وات، ترجمه للعربية، د. عبد الرحمٰن عبد الله الشيخ (ص١٠٩).

(٣) محاضر وكاتب في الفلسفة والدِّين في عدة جامعات.

بالدسائس والكذب على أبرز الشخصيات والقيادات المؤثرة في تاريخ الأمة. لذلك من يعتمد على هذه الكتب في فهم التاريخ الإسلامي لا بد وأن يتشوه الإسلام في نظره[١].

٤ ـ تضخيم دَور الفِرَق الضالَّة والباطنية[٢]:

الفِرق الباطنية والضالَّة جاء في عصرنا من يصورها على أنها جماعات تبحث عن الحق والحرية، ومن أمثلة هؤلاء المؤرخ والفيلسوف المصري «محمود إسماعيل»[٣] صاحب كتاب «الحركات السرية في الإسلام»، ويعتقد في كتابه أن الفِرق التي ظهرت مثل القرامطة والإسماعيلية والفاطميون وحركة الزنج والخوارج وغيرها، أن هؤلاء دعاة إصلاح ينشدون الحرية والعدالة والمساواة، وأن ثوراتهم التي قاموا بها هي عبارة عن ثورات تقدمية ضد الظلم والجور الذي مورس عليهم، وقد بنى رأيه من خلال منظار مادي، كما وأنه ينتقي في حديثه الرواية التي تتناسب مع رأيه وهدفه[٤].

٥ ـ الاعتماد على الدراما في تقديم التاريخ:

كثرت في السنوات الأخيرة المسلسلات والأفلام التي تتناول حقب محددة من التاريخ الإسلامي أو شخصيات من تاريخ أمتنا منها الجيد

---

(١) انظر: خمسون شخصية أساسية في الإسلام، روي جاكسون، ترجمه للعربية رشا جمال.

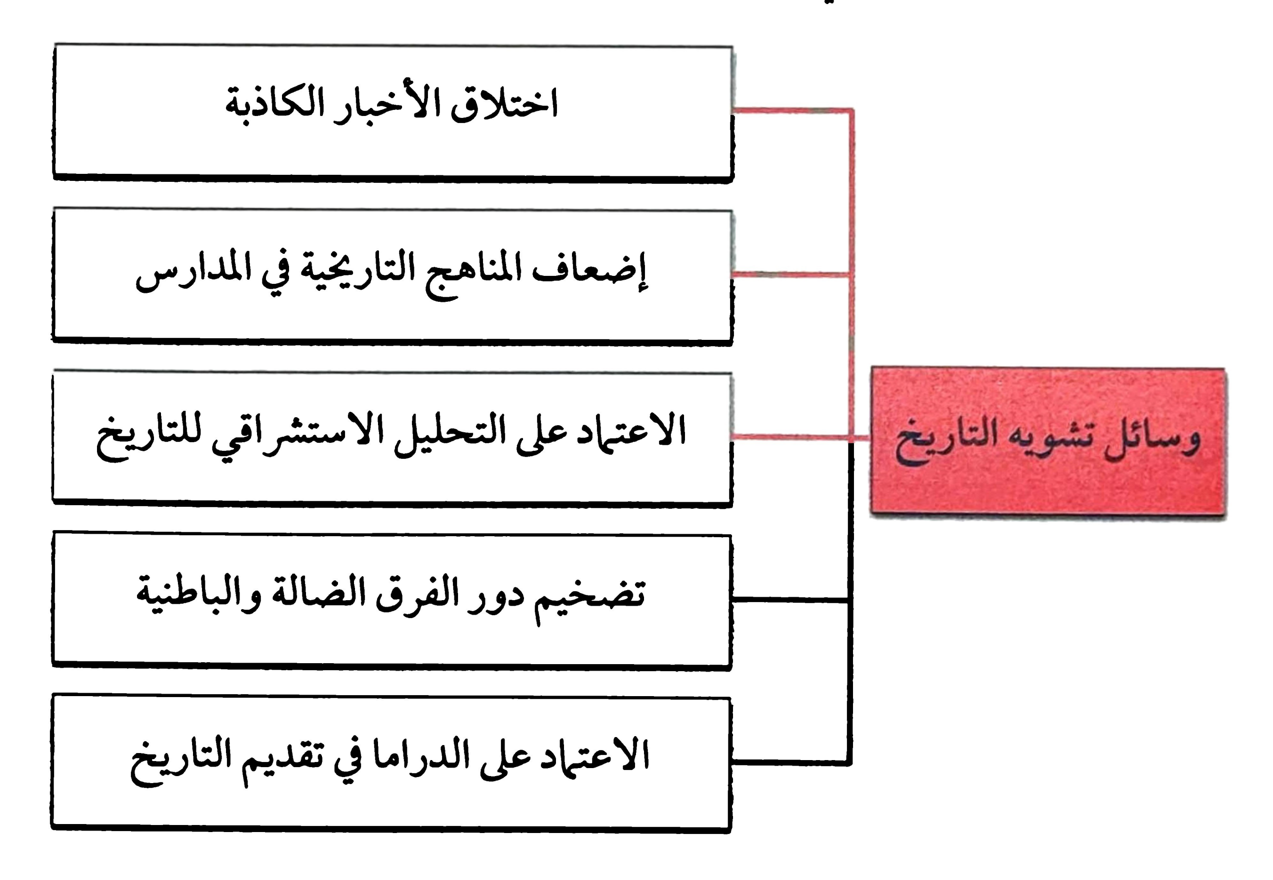
(٢) الباطنية: بعض الفرق الدينية يخفون عقائدهم، ويعتقدون أنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً، فيؤوِّلون النصوص كما يشاؤون. انظر: الاعتصام، للشاطبي (٣/ ٣٥٥). ومعجم لغة الفقهاء، قلعجي وقنيبي (ص١٠٣).

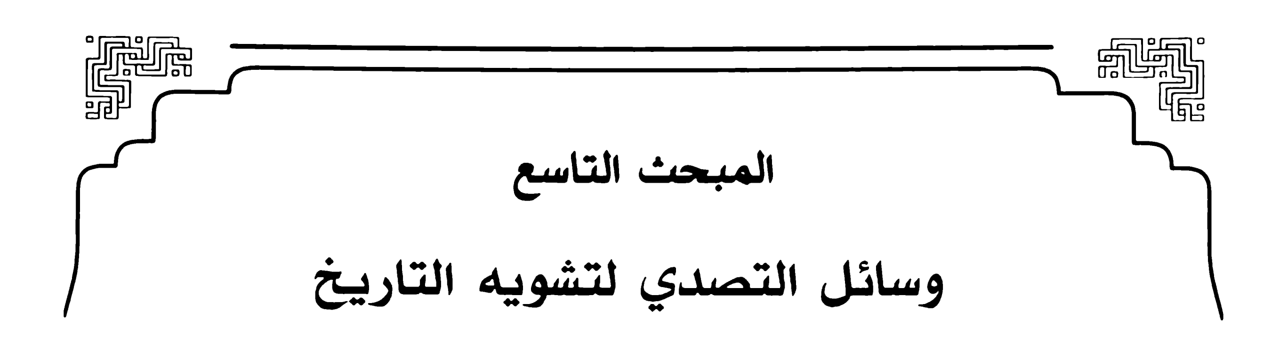
(٣) مؤرخ ومفكر مصري متخصص في التاريخ الإسلامي والحضارة. ولد عام (١٩٤٠م).

(٤) انظر: الحركات السرية في الإسلام، محمود إسماعيل (ص١٢ ـ ١٦) بتصرف.

والمفيد كمسلسل عمر، ومنها السيء والمشوّه للتاريخ استناداً على روايات مكذوبة أو ضعيفة وردت في بعض كتب التاريخ.

وللأسف كثير من أبناء أمتنا اليوم لا يعرفون التاريخ إلا من خلال ما يرونه في المسلسلات كمسلسل حريم السلطان الذي يسعى منتجوه لتشويه صورة خليفة عثماني هو من أعظم الخلفاء الذين شهدهم التاريخ الإسلامي وهو الخليفة سليمان بن سليم الأول الملقب بـ «سليمان القانوني» الذي بلغت الخلافة العثمانية في أيامه أقصى اتساعها وأوج قوتها. وكذلك مسلسل ليالي قرطبة، وأمثالها كثير من المسلسلات الطاعنة بتاريخنا الإسلامي.





المبحث التاسع

وسائل التصدي لتشويه التاريخ

١ ـ ربط فلسفة التاريخ بالقوانين القرآنية:

التاريخ الإسلامي وثيقة يظهر من خلالها نجاح الأمة أو إخفاقها في تحويل الإسلام إلى واقع حياة، وهذا ليس مقتصراً على الجزيرة العربية فحسب؛ بل في كل زمان ومكان على وجه الأرض. هذا الربط بين القرآن والتاريخ يساعدنا على فهم الصورة الكلية عن أسباب الأحداث، وعن حركة الفتوحات، ويوضح لنا أسباب النهوض وكذلك أسباب الانهيار والفشل. هذه المعرفة لا تساعدنا على معرفة الماضي وفهمه فقط؛ بل تساعدنا على فهم المستقبل وكيفية الإعداد له، وعن كيفية إنشاء أمة حضارية قادرة على نشر الخير بين الأمم.

وهنالك كتب مهمة وقيِّمة تتحدث عن النظرة التاريخية من وجهة نظر التعليل القرآني منها:

أ ـ «دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية»[(١)] للدكتور عبد الحليم

---

(١) يتحدث هذا الكتاب عن أسباب سقوط (٣٠) دولة إسلامية، وذلك من خلال تحليل أهم الأسباب التي أدت لانحدار هذه الدول وتفككها داخلياً ومن ثم سقوطها، ويرى الكاتب أن التاريخ الإسلامي يعد بمثابة ظاهرة تاريخية محيرة تستدعي الباحث المدقق التأمل والاندهاش، ففي الوقت الذي يشهد فيه التاريخ سقوط وانحدار دولة إسلامية كانت النهضة الحضارية الإسلامية تبعث ارتفاع نجم دولة إسلامية أخرى في مكان آخر، مستفيدة من أخطاء من كان قبلها، حتى يدبَّ الضعف في تلك الدولة بعد ثلاثة أجيال أو أكثر بفعل دوران عجلة التاريخ والبعد عن المنهج العقدي الذي يعد الركيزة الأساسية للصعود الحضاري للدول الإسلامية.

عويس[١].

ب ـ «فقه التمكين عند دولة المرابطين»[٢] للدكتور علي محمد الصلَّابي[٣].

ج ـ «التفسير الإسلامي للتاريخ»[٤] للدكتور عماد الدين خليل[٥].

٢ ـ اعتماد المنهج العلمي في النقد:

عندما تعرض علينا أي رواية فهنالك منهج علمي في انتقادها أو قبولها أو رفضها، وكذلك في الحكم على الأشخاص أو في الترجيح بين الروايات المتعارضة.

المنهج العلمي يساعدنا في تصفية التاريخ وتنقيته، فلا يفسر التاريخ تفسيراً ماديّاً أو قوميّاً.

---

(١) كاتب ومؤرخ مصري (١٩٤٣ ـ ٢٠١٢م).

(٢) هذا الكتاب يتحدث عن صفحات من التاريخ الإسلامي في الشَّمال الإفريقي، وبالتحديد عن دولة المرابطين منذ نشأتها وحتى سقوطها، فيُعْطي نبذة تاريخية عن أصول القبائل التي قامت عليها دولة المرابطين، وكيف استطاع بعض القادة في هذه القبائل توحيد المغرب الأقصى، وتوغُّلِهم الدَّعوي في جنوب المغرب نحو غانا ومالي وغيرها من دول إفريقيا، كما ويتحدث عن دفاع المرابطين عن مسلمي الأندلس، وأسباب ضعف المسلمين هناك، وعن أثر تحكيم شرع الله في مجتمع المرابطين، وعن سياستهم الداخلية والخارجية، وموقف الرعية منهم. ويعطي أيضاً نبذة عن أنظمة الدولة في الحكم والإدارة، والقضاء والعسكر والمال، والحضارة التي شيَّدوها، ويتعرَّض لسنن الله في بناء الدول وإحياء الشعوب، وكيفية الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية التي حققت النصر على الأعداء، وعن أهمية سنة التدرج في تغيير الشعوب وبناء الدول، كما ويعطي للتربية الربانية أهمية قصوى في تحقيق الأهداف العظمى للأمة سواء على مستوى القادة، أو على مستوى الشعوب وكيفية استجابتها لكتاب ربِّها وسُنَّة نبيِّها.

(٣) داعية وكاتب مهم في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي. ولد في ليبيا عام (١٩٦٣م).

(٤) تقدم التعريف به.

(٥) مفكر ومؤرخ عراقي، من الموصل، ولد عام (١٩٤١م).

٣ ـ ربط المناهج التعليمية بالأهداف التربوية:

والمقصود بذلك المناهج التي تعلم أبناءنا التاريخ، فلا بد أن يكون هنالك أهداف من تعليمها للطلبة فلا يكون فقط عبارة عن سرد للروايات بصورة متتابعة فقط. بل لا بد من أهداف تربوية أو تنموية نسعى من خلالها لبناء عقلية الطالب بفهمه للماضي ومحاولة الاستفادة منه لبناء الحاضر والتخطيط للمستقبل.

٤ ـ تحقيق التاريخ قبل تقديمه:

كتب التاريخ الإسلامي مليئة بالروايات المكذوبة والمدسوسة، لذلك لا بد من تحقيق التاريخ الإسلامي وتقديمه بصورته الحقيقية لأمتنا وللبشرية جمعاء. وهذا يحتاج إلى متخصصين ومراكز أبحاث ومؤسسات تبذل فيها الجهود لدراسة التاريخ وتنقيته من الشوائب، كما وتقوم على دراسة أمهات الكتب في التاريخ وصياغته بعبارة يستطيع الناس في هذه الأيام فهمها وقراءتها.

وقد عمل بعض علماء الأمة على ذلك كالدكتور علي محمد الصلَّابي في كتبه، وكذلك الدكتور راغب السرجاني في برامجه التلفزيونية وعلى موقعه عبر الإنترنت، وقد ذكرت بعض من أسماء هذه الكتب عند حديثي عن مصادر التاريخ للإسلامي.

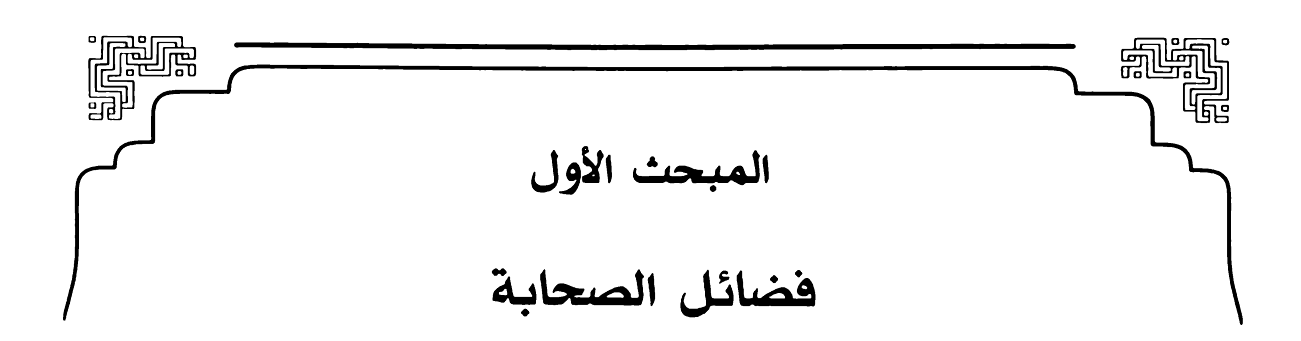
وسائل التصدي لتشويه التاريخ

- ربط فلسفة التاريخ بالقوانين القرآنية
- اعتماد المنهج العلمي في النقد
- ربط المناهج التعليمية بالأهداف التربوية
- تحقيق التاريخ قبل تقديمه



الفصل الثاني

الفتنة بين الصحابة



المبحث الأول

فضائل الصحابة

قبل الحديث عن الفتنة التي حصلت بين أصحاب رسول الله ﷺ لا بد من الاطلاع على فضائل هذه الثُلَّة المؤمنة التي عرفتها البشرية بعد الأنبياء والرسل.

هذا الكلام لا مبالغة فيه؛ لأن الذي زكَّاهم وأثنى عليهم هو رب العالمين في القرآن الكريم، ومن بعده المصطفى الأمين ﷺ في السُّنَّة النبوية المباركة.

المطلب الأول

الصحابة في القرآن الكريم

يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

يقول الإمام ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) في تفسير الآية: «**والمقصود بالسبق: السبق في الإيمان، فالسابقون من المهاجرين هم الذين سبقوا بالإيمان قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، والسابقون من الأنصار: هم الذين سبقوا قومهم بالإيمان، وهم أهل العقبتين الأولى والثانية**» ثم يقول: «**رضي الله عنهم: أي: عنايته بهم وإكرامه إياهم ودفاعه عنهم، وأما رضاهم عنه فهو كناية عن كثرة إحسانه إليهم حتى رضيت نفوسهم**

لما أعطاهم ربهم»(١).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]. وقد نزلت هذه الآية في حق (١٤٠٠) صحابي بايعوا النبي ﷺ في بيعة الرضوان عندما شاع خبر مقتل عثمان، وذلك عندما أرسله النبي ﷺ لإعلام قريش أنه جاء لأداء العمرة، وكان ذلك في السنة (٦) للهجرة، وانتهى الحدث بعقد صلح مع قريش المعروف بصلح الحديبية.

وقد أثنى النبي ﷺ على أصحاب بيعة الرضوان، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**» وَكُنَّا أَلْفاً وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، وَلَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ الْيَوْمَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ(٢).

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ**

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (١٩/١١) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (١٢٣/٥)، ح(٤١٥٤). ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة (٣/ ١٤٨٤)، ح(١٨٥٦).

تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨، ٩].

فهذه الآيات اشتملت على أبلغ ثناء من الله تعالى، لهذه الثلّة المؤمنة التي أخبر الله تعالى بأنه رضي عنهم، وأكرمهم بجنات النعيم؛ وذلك لسبقهم وفضلهم.

والصحابي: هو من لقي رسول الله ﷺ وآمن به ومات على الإسلام.

ولقد نال أصحاب رسول الله ﷺ من الفضل والرفعة ما لم ينله أحد؛ بل إن الله تعالى أجرى الحق على ألسنتهم وقلوبهم.

يقول الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

«لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ خَطَأٌ مَقْطُوعٌ بِهِ، إِذْ كَانُوا كُلُّهُمُ اجْتَهَدُوا فِيمَا فَعَلُوهُ وَأَرَادُوا الله ﷻ، **وَهُمْ كُلُّهُمْ لَنَا أَئِمَّةٌ، وَقَدْ تَعَبَّدْنَا بِالْكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَلَّا نَذْكُرَهُمْ إِلَّا بِأَحْسَنَ الذِّكْرِ، لِحُرْمَةِ الصُّحْبَةِ وَلِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ سَبِّهِمْ، وَأَنَّ الله غَفَرَ لَهُمْ، وَأَخْبَرَ بِالرِّضَا عَنْهُمْ**»[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (١٦/ ٣٢١).

المطلب الثاني
الصحابة في السُّنَّة النبوية

أثنى رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة على أصحابه رضي الله عنهم، وكلام رسول الله ﷺ وحيٌ من الله تعالى، فقد خصَّ بعضَهم في أحاديثه ببعض المناقب والصفات الحميدة، ومنهم من بشَّره بالجنة وسمَّاه باسمه، وفي بعضها عمَّ من شهد الإسلام معه ببشارات كثيرة وثناءات عظيمة، وحُق لهم ذلك، فهم النواة الأولى التي أيدت رسول الله ﷺ وجاهدت معه وقدمت كل ما تملك في سبيل الدعوة إلى الله وإيصال الرسالة إلى أمم الأرض، فحملوا الرسالة وبلغوا الأمانة، وصدقوا الله ورسوله في تبليغها، وثبتوا على الحق وصبروا على المحن والابتلاءات التي تعرضوا لها؛ بل لم تزدهم إلا إيماناً بالله، وقُرْباً منه سبحانه وتعالى فكانت المكافأة من الله تعالى أن أثنى عليهم بكتابه وعلى لسان نبيّه ﷺ، ومن هذه الأحاديث:

* عن عمران بن حُصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»**[1].

وفي رواية أخرى في «الصحيحين»: **«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ[2]»**[3].

---

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٣/ ١٧١)، ح(٢٦٥١) واللفظ له. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٤)، ح(٢٥٣٥).

(٢) كناية عن التسرع في الشهادة والحلف والحرص عليها ولو لم يطلب إليها وهو عنوان قلة الورع وعدم المبالاة في الدِّين.

(٣) متفق عليه، البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد =

وفي رواية أخرى عند الإمام البخاري (ت٢٥٦هـ): «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...**»(١).

وفي رواية أخرى عند الإمام مسلم (ت٢٦١هـ): «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي...**»(٢).

يقول الإمام النووي (ت٦٧٦هـ) في شرحه على هذه الأحاديث: «**اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنُهُ ﷺ وَالْمُرَادُ أَصْحَابُهُ**»(٣).

وقال الإمام الحسن البصري (ت١١٠هـ): «**لقد أدركنا أقواماً ـ أي: هم الصحابة ـ أهل القرن الأول كنا في جنبهم لصوصاً**»(٤).

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(٥).

قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) في شرح الحديث: «**قال الْبَيْضَاوِيُّ: مَعْنَى الْحَدِيثِ لَا يَنَالُ أَحَدُكُمْ بِإِنْفَاقِ مِثْلَ أُحُدٍ**

= (٣/ ١٧١)، ح(٢٦٥٢). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٣)، ح(٢٥٣٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٥/ ٢)، ح(٣٦٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٢)، ح(٢٥٣٣).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (١٦/ ٨٤)، ح(٢٥٣٣).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (٣/ ٤٧٩)، ح(٤٠٣٥).

(٥) متفق عليه، البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً**» (٥/ ٨)، ح(٣٦٧٣). واللفظ له. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب تحريم سبِّ الصحابة رضي الله عنهم (٤/ ١٩٦٧)، ح(٢٥٤٠).

ذَهَباً مِنَ الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ مَا يَنَالُ أَحَدُهُمْ بِإِنْفَاقِ مُدِّ طَعَامٍ أَوْ نَصِيفِهِ وَسَبَبُ التَّفَاوُتِ مَا يُقَارِنُ الْأَفْضَلَ مِنْ مَزِيدِ الْإِخْلَاصِ وَصِدْقِ النِّيَّةِ»(١).

وقال الإمام النووي (ت٦٧٦هـ): «**حَكَى الْقَاضِي عِيَاض عَنِ الْخَطَّابِيِّ وَمَعْنَاهُ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ ثَوَابُهُ فِي ذَلِك ثَوَابَ نَفَقَةِ أَحَدِ أَصْحَابِي مُدّاً وَلَا نِصْفَ مُدٍّ. قَالَ الْقَاضِي: وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا قَدَّمْنَاهُ فِي أَوَّلِ بَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ عَنِ الْجُمْهُورِ مِنْ تَفْضِيلِ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدَهُمْ وَسَبَبُ تَفْضِيلِ نَفَقَتِهِمْ أَنَّهَا كَانَتْ فِي وَقْتِ الضَّرُورَةِ وَضِيقِ الْحَالِ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ وَلِأَنَّ إِنْفَاقَهُمْ كَانَ فِي نُصْرَتِهِ ﷺ وَحِمَايَتِهِ وَذَلِك مَعْدُومٌ بَعْدَهُ وَكَذَا جِهَادُهُمْ وَسَائِرُ طَاعَتِهِمْ وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى:** ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً...﴾ [الحديد: ١٠] **الْآيَةُ... هَذَا كُلُّهُ مَعَ مَا كَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْإِيثَارِ وَالْجِهَادِ فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ، وَفَضِيلَةِ الصُّحْبَةِ وَلَوْ لَحْظَةً لَا يُوَازِيهَا عَمَلٌ وَلَا تُنَالُ درجتها بشيء وَالْفَضَائِلُ لَا تُؤْخَذُ بِقِيَاسٍ، ذَلِك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»**(٢).

* عن واثِلَةَ بن الأسْقَع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَنِي، وَالله لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي**»(٣).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٧/ ٣٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب تحريم سب الصحابة (١٦/ ٩٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، باب ما ذكر في الكف عن أصحاب النبي ﷺ (٦/ ٤٠٥)، ح(٣٢٤١٧). والطبراني في المعجم الكبير، باب الواو، عبد الله بن عامر اليحصبي عن واثلة (٢٢/ ٨٥)، ح(٢٠٧). وقال عنه الإمام ابن حجر العسقلاني في الفتح: إسناده حسن (٧/ ٥).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَناً، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئاً فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ»(١).

* وفي صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة، أرسلت قريش إلى النبي ﷺ عروة بن مسعود ليفاوض النبي ﷺ، فرأى مكانة النبي ﷺ في قلوب أصحابه، فلما عاد إلى قومه قال لهم: «أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ»(٢).



---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٦/ ٨٤)، ح(٣٦٠٠). والبزار في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٥/ ٢١٢)، ح(١٨١٦). والطبراني في المعجم الكبير، باب العين، خطبة ابن مسعود، ومن كلامه (٩/ ١١٢)، ح(٨٥٨٣). وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: «وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ». كتاب العلم، باب الاجتهاد (١/ ١٧٨)، ح(٨٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٣/ ١٩٣)، ح(٢٧٣١).

المبحث الثاني
إخبار النبي ﷺ عن وقوع الفتن

إن مما أخبر عنه النبي ﷺ من الأمور الغيبية الدالة على نبوته؛ أخبار الفتن التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ، فكان إخباره بذلك من الأمور الدالة على نبوته ﷺ.

ومن هذه الروايات:

* عن أسامة رضي الله عنه، قال: أشرف النبي ﷺ على أُطُم[1]، من آطام المدينة، فقال: «**هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى، إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ**»[2].

يقول الإمام النووي (ت٦٧٦هـ): «**وَالتَّشْبِيهُ بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ فِي الْكَثْرَةِ وَالْعُمُومِ؛ أَيْ: إِنَّهَا كَثِيرَةٌ وَتَعُمُّ الناس لا تختص بِهَا طَائِفَةٌ وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْحُرُوبِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهُمْ كَوَقْعَةِ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ وَالْحَرَّةِ وَمَقْتَلِ عُثْمَانَ وَمَقْتَلِ الْحُسَيْنِ** رضي الله عنهما وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِيهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُ ﷺ»[3].

ويقول الإمام ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): «**وَإِنَّمَا اخْتُصَّتِ الْمَدِينَةُ بِذَلِكَ لِأَنَّ قَتْلَ عُثْمَانَ** رضي الله عنه **كَانَ بِهَا ثُمَّ انْتَشَرَتِ الْفِتَنُ فِي الْبِلَادِ**

---

(١) هي الحصون التي تبنى بالحجارة وقيل: هو كل بيت مربع مسطح.

(٢) متفق عليه. البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب آطام المدينة (٣/ ٢١)، ح(١٨٧٨). ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤/ ٢٢١١)، ح(٢٨٨٥).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٨/ ٨)، ح(٢٨٨٦).

بَعْدَ ذَلِكَ فَالْقِتَالُ بِالْجَمَلِ وَبِصِفِّينَ، كَانَ بِسَبَبِ قتل عُثْمَان، والقتال بالنهروان كان بِسَبَبِ التَّحْكِيم بِصِفِّينَ وَكُلُّ قِتَالٍ وَقَعَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ إِنَّمَا تَوَلَّدَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَوْ عَنْ شَيْءٍ تَوَلَّدَ عَنْهُ ثُمَّ إِنَّ قَتْلَ عُثْمَانَ كَانَ أَشَدَّ أَسْبَابِهِ الطَّعْنُ عَلَى أُمَرَائِهِ ثُمَّ عَلَيْهِ بِتَوْلِيَتِهِ لَهُمْ، وَأَوَّلُ مَا نَشَأَ ذَلِكَ مِنَ الْعِرَاقِ وَهِيَ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ فَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ حَدِيثِ الْبَابِ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الْآتِي أَنَّ الْفِتْنَةَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَحَسُنَ التَّشْبِيهُ بِالْمَطَرِ لِإِرَادَةِ التَّعْمِيمِ لِأَنهُ إِذَا وَقَعَ فِي أَرْضٍ مُعَيَّنَةٍ عَمَّهَا وَلَوْ فِي بعض جهاتها»[١].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[٢].

وهذا أمر لم يكن قديماً فحسب؛ بل نراه في أيامنا أيضاً من أناس يبيعون دينهم بعرض من الدنيا زائل، لذلك حثَّنا رسول الله ﷺ على المبادرة إلى الأعمال الصالحة والاشتغال بها قبل الانشغال عنها بما يحدث من الفتن المتكاثرة، فنكون بذلك قد حصنَّا أنفسنا من الوقوع بها.

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً فمنّا من يصلح خِبَاءَهُ، ومنّا من يَنْتَضِلُ[٣]، ومنّا من هو في جَشَرِهِ[٤]، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فاجتمعنا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: **«ويل للعرب من شر قد اقترب»** (١٣/١٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١/ ١١٠)، ح(١١٨).

(٣) هو من المناضلة وهي الْمُرَامَاةُ بِالنُّشَّابِ.

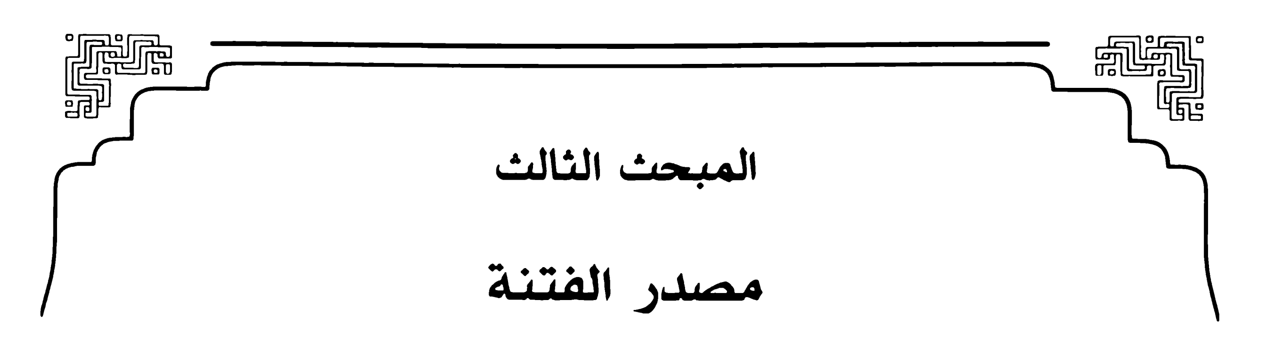
(٤) هي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها.

إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»(١).

هذه بعض الأحاديث التي ذكرت عن رسول الله ﷺ يبين فيها رسول الله ﷺ بعض الفتن، أو أن الفتن ستقع فلا بد من أخذ الحيطة والحذر وذلك بتقوية الإيمان، والثبات عليه.



(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول (٣/ ١٤٧٢)، ح(١٨٤٤).



المبحث الثالث

مصدر الفتنة

لسائلٍ أن يسأل: هل أخبر النبي ﷺ عن مصدر الفتن، ومن أي مكان تخرج؟

والجواب: نعم، فقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ في أحاديث صحيحة، عن الأماكن التي تخرج منها الفتن، وهذه طائفة منها:

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال وهو مستقبلٌ المشرق: **«أَلَا إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»**[١].

* وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: **«أَلَا إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا ـ يُشِيرُ إِلَى المَشْرِقِ ـ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»**[٢].

* وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ دعا فقال: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَمُدِّنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَكَّتِنَا وَمَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمَنِنَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَعِرَاقِنَا، فَقَالَ: «إِنَّ بِهَا قَرْنَ الشَّيْطَانِ، وَنَبْحَ الْفِتَنِ، وَإِنَّ الْجَفَاءَ[٣] بِالْمَشْرِقِ»**[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: **«الفتنة من قبل المشرق»** (٩/ ٥٣)، ح(٧٠٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب (٤/ ١٨١)، ح(٣٥١١).

(٣) المراد بالجفاء: أي: سوء الخلق والطبع والإعراض والمقاطعة.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب العين (١٢/ ٨٤)، ح(١٢٥٥٣)، واللفظ له، =

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ هَا هُنَا جَاءَتِ الفِتَنُ**(١)، **نَحْوَ المَشْرِقِ**»(٢).

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَفِي نَجْدِنَا؟ فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»(٣).

قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): «**أَوَّلُ الْفِتَنِ كَانَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً لِلْفُرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَذَلِكَ مِمَّا يُحِبُّهُ الشَّيْطَانُ وَيَفْرَحُ بِهِ وَكَذَلِكَ الْبِدَعُ نَشَأَتْ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ**»(٤).

ويقول أيضاً: «**قَالَ الْخَطَّابِيُّ: نَجْدٌ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ وَمَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ كَانَ نَجْدُهُ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ وَنَوَاحِيهَا وَهِيَ مَشْرِقُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَصْلُ النَّجْدِ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ خِلَافُ الْغَوْرِ فَإِنَّهُ مَا انْخَفَضَ مِنْهَا وَتِهَامَةُ كُلُّهَا مِنَ الْغَوْرِ وَمَكَّةُ مِنْ تِهَامَةَ. انْتَهَى**»(٥).

= وقال الهيثمي عن رواية الطبراني: رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٥)، ح(٥٨١٧)، وأحمد في مسنده بلفظ قريب، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (٥/ ١٦١)، ح(٥٦٤٣).

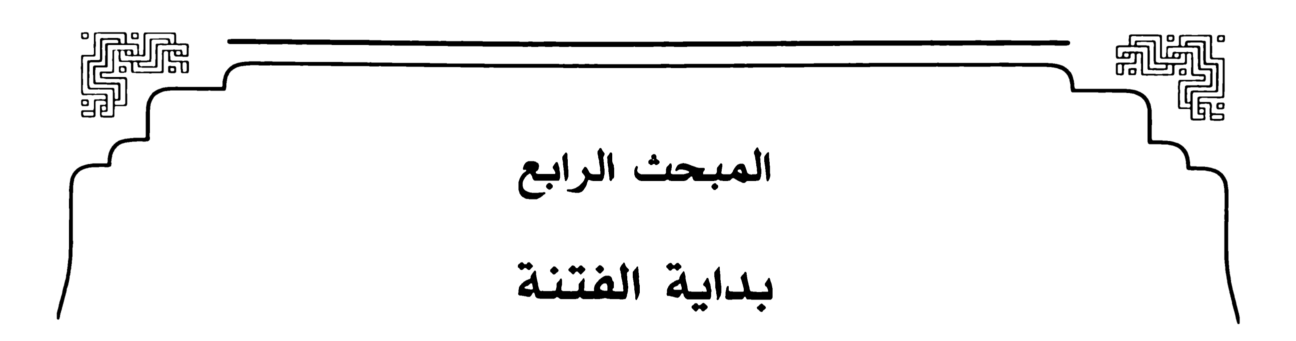
(١) أي: حركات الشر والفساد والفرقة في الأمة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ...﴾ (٤/ ١٧٩)، ح(٣٤٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق (٩/ ٥٤)، ح(٧٠٩٤).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، كتاب الفتن، قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق (١٣/ ٤٧).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١٣/ ٤٧).



المبحث الرابع

بداية الفتنة

بدأت الفتنة في هذه الأمة باستشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا الأمر مأخوذ من كلام رسول الله ﷺ، فقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تبين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الحاجز بين الأمة والفتن، فبموته يكسر هذا الباب وتنتشر الفتنة.

ومن هذه الأحاديث:

* عن قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُون، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أدرك عثمان بن مظعون، وهو على راحلته، فضغطت راحلته راحلة عثمان وقد مضت راحلة رسول الله ﷺ أمام الركب، فقال عثمان بن مظعون: أَوْجَعْتَنِي يَا غَلْقَ الْفِتْنَةِ، فَلَمَّا اسْتَهَلَّتِ الرَّوَاحِلُ دَنَا مِنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَبَا السَّائِبِ، مَا هَذَا الِاسْمُ الَّذِي سَمَّيْتَنِيهِ؟ فَقَالَ: لَا وَاللهِ مَا أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُكَهُ، سَمَّاكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، هَذَا هُوَ أَمَامَ الرَّكْبِ يَقْدَمُ الْقَوْمَ، مَرَرْتَ بِنَا يَوْماً وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«هَذَا غَلْقُ الْفِتْنَةِ ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ ـ لَا يَزَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْفِتْنَةِ بَابٌ شَدِيدُ الْغَلْقِ مَا عَاشَ هَذَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ»**(١).

* عن أبي ذر رضي الله عنه أنه لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً، فأخذ بيده فَغَمَزَهَا، وكان عمر رجلاً شديداً، فقال: أَرْسِلْ يَدِي يَا قُفْلَ الْفِتْنَةِ، فَقَالَ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/٣٨)، ح(٨٣٢١).

عُمَرُ: وَمَا قُفْلُ الْفِتْنَةِ؟ قَالَ: جِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَجَلَسْتُ فِي آخِرِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَا تُصِيبُكُمْ فِتْنَةٌ مَا دَامَ هَذَا فِيكُمْ»**[1].

* عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ فِي الفِتْنَةِ، قُلْتُ: أَنَا كَمَا قَالَهُ[2]، قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ[3]، قُلْتُ: **«فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ[4] وَمَالِهِ[5] وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ[6]، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ»**، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنِ الفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ البَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً، قَالَ: أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: يُكْسَرُ، قَالَ: إِذاً لَا يُغْلَقَ أَبَداً، قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ البَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ الغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ[7] فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقاً فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: البَابُ عُمَرُ[8]. فالمعنى العام للحديث: إن الحائل بين الفتنة وأمة الإسلام عمر وهو الباب فما دام حيّاً لا تدخل فيه الفتن، ولا تصاب الأمة بها، فإذا مات وقعت وهذا ما كان.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الألف (٢/ ٢٦٧)، ح(١٩٤٥). بإسناد رجاله ثقات. وابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٦/ ٦٠٦).

(٢) يقول حذيفة؛ أي: أنا أحفظه كما قاله رسول الله ﷺ.

(٣) أي: لَجَسُورٌ ومقدام.

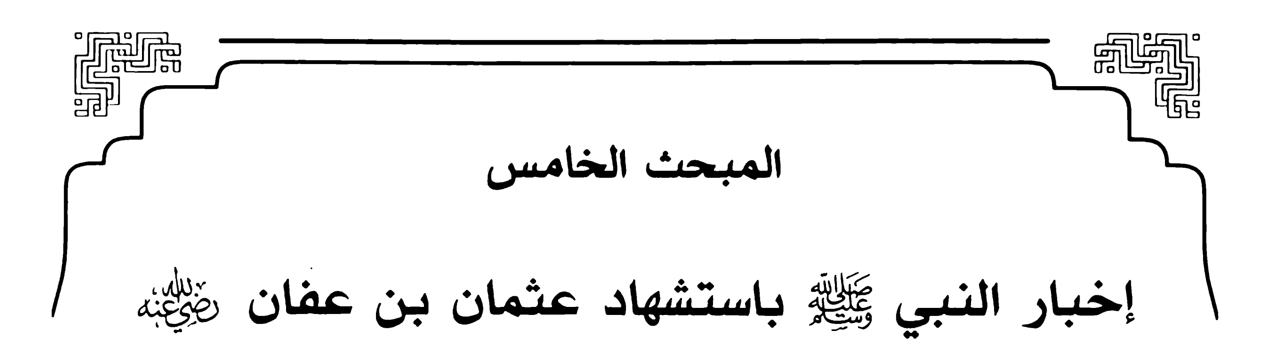
(٤) أن يأتي من أجلهم بما لا يحل من قول أو فعل وكذلك الفتنة في الولد.

(٥) الفتنة في المال: أن يأخذه من غير طريقه المشروع وينفقه في غير ما أمر به.

(٦) الفتنة في الجار: أن يحسده على ما هو فيه من نعمة.

(٧) المعنى: حدثته حديثاً صدقاً محققاً من أحاديث رسول الله ﷺ لا من اجتهاد ورأي ونحوه.

(٨) متفق عليه. البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة (١/ ١١١)، ح(٥٢٥). واللفظ له. ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً (١/ ١٢٨)، ح(١٤٤).



المبحث الخامس

إخبار النبي ﷺ باستشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه

لقد أخبر النبي ﷺ في أحاديثه عن الفتن التي ستقع في المستقبل، وهذا من دلائل نبوته ﷺ، ومن هذه الفتن قتل الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه، **ومن هذه الأحاديث:**

* عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه، أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ المَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ[(١)]، فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاجَتَهُ فَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا[(٢)]، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ الله ﷺ اليَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ[(٣)] ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**». فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ، وَرَسُولُ الله ﷺ

---

(١) هو بستان في المدينة قريب من قباء.

(٢) أي: حافتها.

(٣) أي: تمهل ولا تعجل.

يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ الله ﷺ مَعَهُ فِي القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي[١] يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ الله بِفُلَانٍ خَيْراً ـ يُرِيدُ أَخَاهُ ـ يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ الله بِفُلَانٍ خَيْراً يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى[٢] تُصِيبُهُ**» فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ فَجَلَسَ وِجَاهَهُ مِنَ الشَّقِّ الآخَرِ، قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ الله: قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: «فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ[٣]»[٤].

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ

---

(١) كان لأبي موسى رضي الله عنه أخوان هما أبو رهم وأبو بردة رضي الله عنهما.

(٢) أي: بلية وهي التي صار بها شهيد الدار عندما داهمه الثوار الآثمون.

(٣) أي: فسرت جلستهم على تلك الهيئة بما كان من تجاور قبورهم بعد موتهم وكون قبر عثمان رضي الله عنه بعيداً عنهم في البقيع.

(٤) متفق عليه، البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً**» (٥/٨)، ح(٣٦٧٤). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤/١٨٦٨)، ح(٢٤٠٣).

أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، قَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ**»[1].

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ فِتْنَةً، فَقَالَ: «**يُقْتَلُ هَذَا فِيهَا مَظْلُوماً لِعُثْمَانَ**»[2].

* وفي رواية أخرى عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ فِتْنَةً، فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ: «**يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا الْمُقَنَّعُ يَوْمَئِذٍ مَظْلُوماً**»، قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ[3].

* عَنْ عَبْدِ الله بْنِ حَوَالَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ، فَقَدْ نَجَا** ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ: **مَوْتِي، وَالدَّجَّالُ، وَقَتْلُ خَلِيفَةٍ مُصْطَبِرٍ بِالْحَقِّ مُعْطِيهِ**»[4].

* عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ادْعُوا لِي بَعضَ أَصْحَابِي**»، قُلْتُ: أَبُو بَكْرٍ؟ قَالَ: «**لَا**». قُلْتُ: عُمَرُ؟ قَالَ: «**لَا**». قُلْتُ: ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ؟ قَالَ: «**لَا**». قَالَتْ: قُلْتُ: عُثْمَانُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَلَمَّا جَاءَ، قَالَ: «**تَنَحَّيْ**». فَجَعَلَ يُسَارُّهُ، وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٥/ ١١)، ح(٣٦٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب (٥/ ٦٣٠)، ح(٣٧٠٨). وإسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (١٠/ ١٦٩)، ح(٥٩٥٢). والطبراني في المعجم الكبير، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٣/ ١٦١)، ح(١٣٨٤٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث عبد الله بن حوالة (٢٨/ ١٧٧)، ح(١٦٩٧٣). وابن شبة في تاريخ المدينة، باب تواضع عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣/ ١٠٧٧). وابن أبي عاصم في السُّنَّة، باب في ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢/ ٥٦١)، ح(١١٧٧). وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفتن، ما ذكر في فتنة الدجال (٧/ ٤٩٠)، ح(٣٧٤٧٥).

الدَّارِ وَحُصِرَ فِيهَا، قُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ: «**لَا، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ**»[١].

* عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ الله يُقَمِّصُكَ قَمِيصاً، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ**»[٢].

* وزيادة في رواية أحمد في «المسند» وابن حبان في «صحيحه»: أن النعمان بن بشير لما أخبرته السيدة عائشة رضي الله عنها بهذه الرواية قال لها: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَيْنَ كُنْتِ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، قَالَتْ: **يَا بُنَيَّ، أُنْسِيتُهُ كَأَنِّي لَمْ أسمعه قط**[٣].

هذه جملة من الأحاديث التي أخبر بها النبي ﷺ عن استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه، منبهاً فيها على خطورة الفتنة ونتيجتها المفجعة، مبيِّناً لعثمان رضي الله عنه الطريقة المُثلى في التعامل معها، لذلك فإن عثمان رضي الله عنه أبى أن يكون سبباً في إراقة دماء الصحابة، وآثر أن يفدي الأمة بدمه رضي الله عنه.

وقد يسأل سائل فيقول: لماذا خصَّ النبي ﷺ عثمان بذكر البلاء، مع أن عثمان قتل كما قتل عمر؟

---

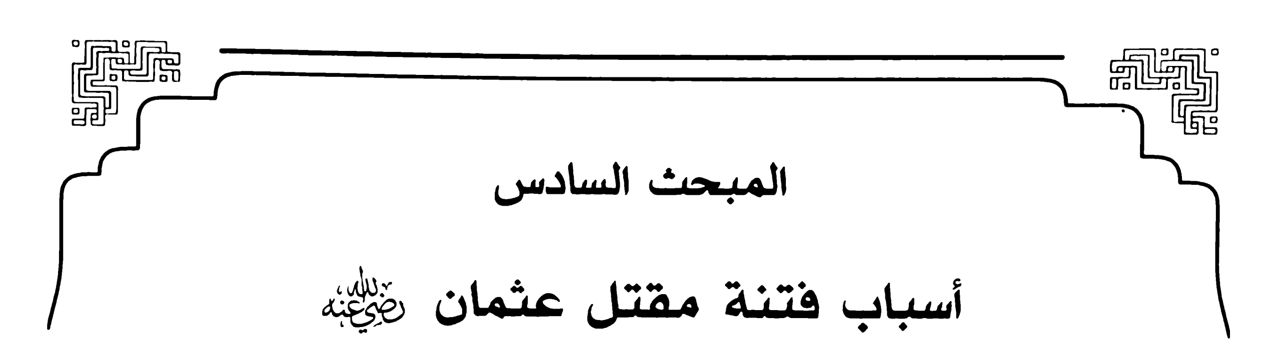
(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها (٤٠/ ٢٩٧)، ح(٢٤٢٥٣). وأبو يعلى في مسنده، مسند عائشة (٨/ ٢٣٤)، ح(٤٨٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب (٥/ ٦٢٨)، ح(٣٧٠٥). واللفظ له. وأحمد في مسنده، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها (٤٢/ ٨٤)، ح(٢٥١٦٢). وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم، ذكر الخبر الدال على أن عثمان بن عفان عند وقوع الفتن (١٥/ ٣٤٦)، ح(٦٩١٥). وابن شبة في تاريخ المدينة، باب تواضع عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣/ ١٠٦٩). وابن أبي عاصم في السُّنَّة، باب في ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢/ ٥٥٨)، ح(١١٧٢). وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، باب ما ذكر في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٦/ ٣٦٢)، ح(٣٢٠٤٥). كلهم بلفظ قريب من رواية الترمذي.

(٣) تقدم تخريجه في الحديث السابق.

والجواب:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه	عثمان بن عفان رضي الله عنه
١ ـ قتل والدولة فتيّة وقوية.	١ ـ قتل والدولة لم تكن بقوتها كما هي أيام عمر.
٢ ـ كان شخصية مهابة يحسب الناس له حساباً كبيراً إذا أخطأوا.	٢ ـ كان يُغَلِّب جانب العفو والمسامحة مما زاد من جرأة الناس في أيامه.
٣ ـ لم تكن في زمانه فتن.	٣ ـ امتحن بفتن لم تكن أيام عمر.
٤ ـ قَتَلَهُ رجل معروف بين الناس وبين الصحابة أنه غير مسلم.	٤ ـ تسلط عليه مجموعة ممن أرادوا أن يخلعوه من الإمامة.
٥ ـ حادثة قتل عمر تعتبر حادث فردي قام به رجل واحد.	٥ ـ قتل عثمان فهو حادث جماعي مخطط له يهدف لإحداث فتنة عظيمة بين أفراد الأمة، نتيجتها التي كانوا يسعون لها هو القضاء على الإسلام.



المبحث السادس

أسباب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه

يقول الإمام محمد بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ): ولي عثمان اثنتي عشرة سنة أميراً للمؤمنين، أول ستِّ سنين منها لم ينقم الناس عليه شيئاً، وإنه لأحبُّ إلى قريش من عمر بن الخطاب؛ لأنّ عمر كان شديداً عليهم، أما عثمان فقد لانَ لهم وَوَصَلهم[1]، ثم حدثت الفتنة بعد ذلك، وقد سمى المؤرخون المسلمون الأحداث في النصف الثاني من ولاية عثمان (٣٠ ـ ٣٥هـ) «**الفتنة**» التي أدَّت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه.

ولأهمية هذه المرحلة لا بد من ذكر أسباب الفتنة والوقوف عليها، لتتضح الصورة أمامنا:

أولاً: الرخاء وأثره في المجتمع:

كان رسول الله ﷺ يرى ما يعانيه أصحابه من شظف العيش وفقر الحال، فكان يصبّرهم، ثم يخبرهم أن هذا الحال الذي هم عليه لن يدوم طويلاً، حتى تفتح عليهم خزائن الدنيا وخيراتها، وحذرهم من الاشتغال بذلك عن العمل الصالح، وما يمكن أن يجره ذلك عليهم من التقاتل على الدنيا ومتاعها، فكان عمر يجتهد في منع المسلمين من التوسع في بلاد العجم، ولولا ظهور المصلحة في توسعهم لبقي المنع قائماً، إلا أن هذا التراجع من عمر لم يشمل كبار الصحابة والمهاجرين

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ذكر بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣/ ٦٤).

والأنصار الذين كانوا بالمدينة إذ منعهم عمر من الخروج من المدينة، وأبقى المنع في حقهم، ولما جاء عهد عثمان توسعت الفتوحات شرقاً وغرباً، وبدأت الأموال تتقاطر عليهم، وامتلأت أيدي الناس بالخيرات، فكانت سبباً في جلب الرخاء وما يترتب عليه من انشغال الناس بأمور الدنيا والافتتان بها، خاصة بين أولئك الذين لم يصقل الإيمان نفوسهم، ولم تهذبهم التقوى من أعراب البادية، ومن مسلمي الفتوحات الجُدُد. ومن هنا يعلم أثر الرخاء في تحريك الفتنة، إذ فاضت الدنيا على المسلمين وتفرغ الناس بعد أن فتحوا الأقاليم واطمأنوا، فأخذوا ينقمون على خليفتهم.

ثانياً: طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان رضي الله عنه:

حدثت تغيرات اجتماعية عميقة، ظلت تعمل في صمت وقوة لا يلحظها كثير من الناس، حتى ظهرت في قمة فورانها في التمرد الذي أدى إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه.

لما توسعت الدولة الإسلامية عبر حركة الفتوح حصل تغير في تركيبة المجتمع، إذ أن الدولة ورثت ما على هذه الأرض الواسعة من أجناس، وألوان، ولغات، وثقافات، وعادات، ونظم، وأفكار، ومعتقدات... إلخ ظهرت على سطح هذا النسيج ألوان مضطربة وخروقات غير منتظمة، مما أدى إلى عدم تجانس في المجتمع وتركيبته، فاتساع رقعة الدولة بصورة كبيرة مع عدم توفر الأعداد الكافية من الصحابة أو ممن تربى على أيديهم لتربية أهل تلك البلاد وتغيير واقعهم إلى الأفضل (إيمانيّاً وأخلاقيّاً وسلوكيّاً) كان سبباً في جعل بعض المجتمعات وخاصة من العجم سطحية الإيمان وقلة فقههم بالدين والعصبية وغيرها، جعلت أهل الأهواء يطمعون بهم، ويسعون لاستخدامهم في مؤامراتهم ضد الدولة الإسلامية.

ثالثاً: ظهور جيل جديد:

فقد حدث في المجتمع تغير أكبر، ذلك أن جيلاً جديداً من الناس ظهر، وأخذ يحتل مكانة في المجتمع، وهو غير جيل الصحابة، جيل يعيش في عصر غير العصر الذي كانوا يعيشون فيه، ويتصف بما لا يتصفون به، فهو جيل يعتبر أقل من الجيل الأول الذي حمل على كتفيه عبء بناء الدولة وإقامتها، إذا أنه من أخطر الصفات التي ظهرت في الجيل الثاني صفة المطامع الفردية، والعصبية للأجناس والأقوام، كما وأن بعضهم يحمل رواسب كثيرة من رواسب الجاهلية التي كانوا عليها، ولم ينالوا من التربية الإسلامية مثل ما نال الرعيل الأول من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

كان الجيل الجديد لا يرضى بالواقع الذي كان يتسم به جيل السابقين، فقد اعتاد على غير ما اعتادوا عليه، فتكونت عقلية جديدة ومفهوم جديد للحياة عندهم، لا يسعه أن يذعن لحكم الجيل الأول، ولذلك انضم المنحرفون من الجيل الجديد لدعاة الفتنة.

رابعاً: استعداد المجتمع لقبول الشائعات:

هذا الخليط غير المتجانس كان سبباً لجعل المجتمع مهيّأً للهزات، ومستعداً للاضطراب، قابلاً لتلقي الإذاعات والأقاويل والشائعات، لذلك نجد في أيام الصديق والفاروق لم تقع أي فتن لقرب عهدهم بالرسالة، ولأن الإيمان كان أصلح، أما في آخر خلافة عثمان وخلافة علي كثر ضعاف الإيمان وأهل الهوى، ويوضح ذلك ما دار بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأحد أتباعه، قال الرجل: ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر؟ قال علي رضي الله عنه: لأن أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلي، وأنا اليوم والٍ على أمثالك.

وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه مدركاً لما يدور في وسط المجتمع حيث قال في رسالته إلى الأمراء: أما بعد، فإن الرعية قد طعنت في الانتشار، ونزعت إلى الشَّره، وأعّداها على ذلك ثلاث: دنيا مؤثرة، وأهواء مُسْرعة، وضغائن محمولة، يوشك أن تُنَفَّر فَتُغيَّر.

خامساً: مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما:

كان مجيء عثمان رضي الله عنه مباشرة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه واختلاف الطبع بينهما مؤدياً إلى تغير أسلوبهما في معاملة الرعية، فبينما كان عمر قوي الشكيمة، شديد المحاسبة لنفسه، ولمن تحت يديه، كان عثمان ألين طبعاً وأرقّ في المعاملة، ولم يكن يأخذ نفسه أو يأخذ الناس بما يأخذهم به عمر حتى يقول عثمان نفسه: يرحم الله عمر، ومن يطيق ما كان عمر يطيق، لكن الناس وإن رغبوا في الشوط الأول من خلافته؛ لأنه لَان معهم وكان عمر شديداً عليهم.

وقد أدرك عثمان ذلك حين قال لأقوام سجنهم: أتدرون ما جرّأكم عليَّ؟ ما جرّأكم عليَّ إلَّا حلمي.

حتى من خرجوا على عثمان فقد ألزمهم الحجة في ردّه على المآخذ التي أخذوها عليه أمام الناس من الصحابة وغيرهم، ولم يرضَ قتلهم أو محاربتهم، مع أن الناس كانت تريد من عثمان أن يقاتلهم وكان يأبى ذلك ويقول: بل نعفو ونقبل، ولنبصرهم بجهدها، ولا نحادّ أحداً حتى يرتكب حدّاً أو يبدي كفراً.

سادساً: خروج كبار الصحابة من المدينة:

كان عمر رضي الله عنه قد منع كبار الصحابة الخروج في البلدان إلا بإذن وأجل، فقد كان عمر يخاف على هؤلاء الصحابة من انتشارهم في البلاد

المفتوحة وتوسعهم في القطاع والضياع، فكان يأتيه الرجل من المهاجرين وهو ممن حبس في المدينة فيستأذنه في الخروج فيجيبه عمر: لقد كان لك في غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلغك، وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك.

وأما عثمان فقد سمح لهم بالخروج ولَان معهم، يقول الشعبي: فلما ولي عثمان خلّى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع إليهم الناس. فكان أحبّ إليهم من عمر، فكان من نتائج هذا التوسع أن اتخذ رجال من الصحابة أموالاً في الأمصار، وانقطع إليهم الناس.

سابعاً: العصبية الجاهلية:

يقول ابن خلدون: لما استكمل الفتح واستكمل للملّة الملك ونزل العرب بالأمصار في حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر، وكان المختصون بصحابة الرسول ﷺ والاقتداء بهُداه وآدابه المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم. وأما سائر العرب من بني بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأزد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم، فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان إلّا قليلاً منهم، وكان لهم في الفتوحات قدم، فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم، وما كانوا فيه من الذهول والدهش لأمر النبوة وتردّد الوحي وتنزل الملائكة، فلما انحسر ذلك العباب وتنوسي الحال بعض الشيء وذلّ العدو واستفحل الملك، كانت عروق الجاهلية تنفض، ووجدوا الرئاسة عليهم للمهاجرين والأنصار من قريش وسواهم، فأنفت نفوسهم منه، ووافق أيام عثمان فكانوا يظهرون الطعن في ولاته بالأمصار، والمؤاخذة لهم باللحظات والخطرات، والاستبطاء عليهم في

الطاعات والتجني بسؤال الاستبدال منهم والعزل، ويفيضون في النكير على عثمان. وفشت المقالة في ذلك من أتباعهم وتنادوا بالظلم من الأمراء في جهاتهم وانتهت الأخبار بذلك إلى الصحابة بالمدينة، فارتابوا لها وأفاضوا في عزل عثمان وحمله على عزل أمرائه. وبعث إلى الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر... فرجعوا إليه فقالوا: ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعيان المسلمين ولا عوامهم[1].

ثامناً: توقف الفتوحات:

حين توقفت الفتوح في أواخر عهد عثمان أمام حواجز طبيعية أو بشرية لم تتجاوزها، سواء في جهات فارس وشمالي بلاد الشام، أم في جهة إفريقية، توقفت الغنائم على أثرها، فتساءل الأعراب، أين ذهبت الغنائم القديمة؟ أين ذهبت الأراضي المفتوحة التي يعدّونها حقّاً من حقوقهم؟ وانتشرت الشائعات الباطلة التي اتهمت عثمان ﷺ بأنه تصرف في الأراضي الموقوفة على المسلمين وفق هواه، وأنه أقطع منها لمن شاء من الناس، وقد كان لها أثر ووقع على الأعراب، وخاصة أن معظمهم بقي بدون عمل يقضون شطراً من وقتهم في الطعام والنوم، والشطر الآخر بالخوض في سياسة الدولة، والحديث عن تصرفات عثمان التي كانت تهوّلها السبئية، فكان ذلك سبباً من الأسباب في اندلاع الفتنة.

تاسعاً: المفهوم الخاطئ للورع:

الورع في الشريعة طيب وهو: أن يترك ما لا بأس به مخافة مما فيه بأس، وهو في الأصل ترفع عن المباحات في الله ولله، والورع شيء

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون (٢/٥٨٦ ـ ٥٨٧) بتصرف.

شخصي يصح للإنسان أن يطالب به نفسه، ولكن لا يصح أن يطالب به الآخرين، ومن أخطر أنواع الورع: الوَرِعُ الجاهل الذي يجعل المباح حراماً أو مفروضاً، وهذا الذي وقع فيه أصحاب الفتنة، فقد استغل أعداء الإسلام هذا الأمر عند بعض الناس البسطاء، وقالوا: إن ما فعله عثمان من المباحات أو المصالح، خروجاً على الإسلام وتغييراً لسُنَّة من سبقه، فعظمت هذه المسائل في أعين الجهلة فأعانوا من استباح دم الخليفة، فكانت الفتنة.

عاشراً: طموح الطامحين وتآمر الحاقدين:

وُجِدَ في الجيل الثاني من أبناء الصحابة من يعتبر نفسه جديراً بالحكم والإدارة، ووجد هؤلاء أن الطريق أمامهم مغلق، فوجدوا في الفتنة فرصة لتحقيق ما يطمحون إليه.

وأما تآمر الحاقدين فقد دخل في الإسلام منافقون اجتمع لهم من الحقد والذكاء والدهاء ما استطاعوا أن يدركوا نقاط الضعف التي يستطيعون من خلالها أن يوجدوا الفتنة، ووجدوا من يستمع إليهم بآذان صاغية، وهؤلاء ممن وقع عليهم عقوبة بسبب خطأ ارتكبوه من الخليفة أو ولاته على الأمصار وبالذات في الكوفة والبصرة ومصر، فاستغل أولئك الحاقدون من اليهود والفرس، وقد تردد في المصادر اسم عبد الله بن سبأ الصنعاني اليهودي ضمن هؤلاء الحاقدين، وسيأتي الحديث عنه بإذن الله تعالى.

الحادي عشر: استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس:

وأهم هذه الأساليب، إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والتحريض كثيراً، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على

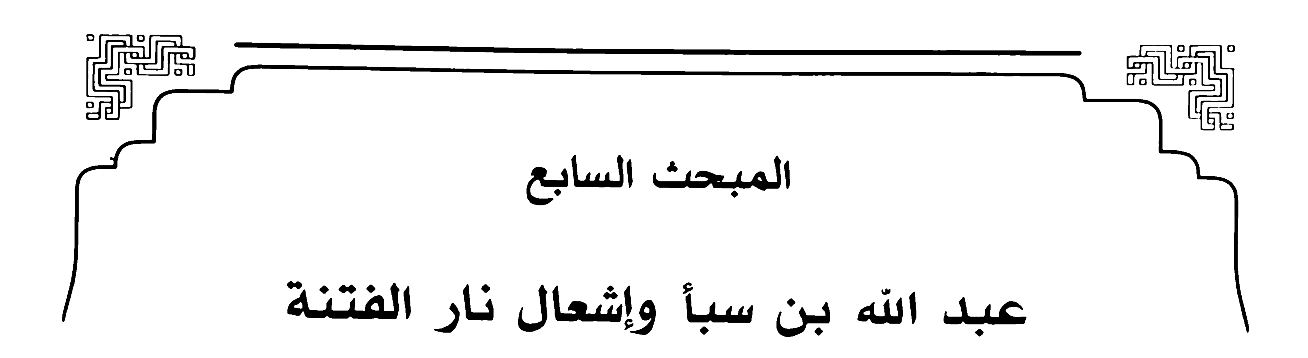
الولاة، واستخدام تزوير الكتب(١) واختلاقها على لسان الصحابة رضي الله عنهم، والإشاعة بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاؤوا إلا بدعوة من الصحابة، وصعَّدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل، وإلى جوار هذه الرسائل استخدموا مجموعة من الشعارات منها: التكبير، ومنها: أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها: أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها: المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وسارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة(٢).

هذه أبرز الأمور التي ذكرها المؤرخون وقد أدت إلى وقوع الفتنة ومقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.



(١) المراد بها: تزوير الرسائل باسم كبار الصحابة كعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وسيأتي الحديث عن ذلك.

(٢) انظر: سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، د. علي محمد الصلابي (ص٣١٢ ـ ٣٣٤) بتصرف.



المبحث السابع

عبد الله بن سبأ وإشعال نار الفتنة

١ ـ من هو ابن سبأ[١]؟

ما بين عام (٣٠) إلى (٣١هـ) ظهر في اليمن رجل اسمه عبد الله بن سبأ، وكانت أمه جارية سوداء، ومن ثَمَّ لُقِّب بابن السوداء، وكان يهوديّاً، عاش في اليمن فترة طويلة، وكانت اليمن قبل الإسلام مقاطعة فارسية، فتعلّم عبد الله بن سبأ الكثير عن المجوسية، وأراد هذا اليهودي أن يطعن في الإسلام والمسلمين، وبدأ بالتفكير في عمل هذه الفتنة، فدخل في الإسلام ظاهراً في بداية عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبدأ يتنقل في البلاد حتى ينشر بعض الأفكار السامة، والطاعنة في الإسلام، فذهب إلى الحجاز، ولما لم يجد صدًى كافياً انطلق إلى العراق، فذهب إلى البصرة، وكانت موطناً للفتن، ووقع هناك على رجل يُسمّى «حكيم بن جبلة»، وكان من المسلمين، ولكنه كان لصّاً يُغير على أهل الذمة، وقد حدد الخليفة إقامته بألَّا ينتقل من البصرة، فقد كان رجلاً سيئ الخلق، وبدأ ابن سبأ يلقي في روعه بعض الأفكار الجديدة عن الإسلام، والمقتبسة من اليهودية، والمجوسية، وخرجت عقائد إثر هذه الأفكار التي جاء بها ابن سبأ، حتى أصبح أتباعه فرقة يطلق عليهم اسم «السبئية».

(١) انظر هذا المبحث: تاريخ الطبري (٣٤١/٤ ـ ٣٤٥) بتصرف.

٢ ـ أتباع ابن سبأ:

تبعه حكيم بن جبلة، وبعض من قبيلته، وبعض من أصدقائه، وكان كل هذا الأمر يدور سرّاً، فهو لا يجرؤ على الجهر به ابتداءً، ثم انتقل من البصرة إلى الكوفة، وهي موطن للفتن، والثورات أيضاً، واستجاب له من أهل الكوفة أفراد كثيرون، ولكن سرّاً، ومنهم على سبيل المثال «الأشتر النخعي»، وهذا أمر غريب، فقد كان الأشتر من المجاهدين في اليرموك، والمواقع التي جاءت بعدها، ولكن الله تعالى يثبّت من يشاء، وقد استجاب الأشتر لابن سبأ إما عن جهلٍ، وإما عن رغبةٍ في الرئاسة أو غير ذلك، وكان الأشتر ذو مكانة ورأي في قومه، وبدأ يدعو الناس إلى ما هو عليه من أفكار، ويفسر بعض المؤرخين سبب انضمام الأشتر إلى أصحاب الفتنة بتفسيرين يناقض كلٌّ منهما الآخر؛ **فالأول**: أنه كان من المغالين المتشدِّدين في الدِّين، ويبالغ في بعض الأمور التي كان يظن أنها خطأ، ومن ثَمّ يتشدد لها، **والأمر الثاني**: أنه كان محبّاً للرئاسة، والسيطرة، وقام بالمشاركة في هذه الفتنة حتى يُمكّن له ويصل إلى ما يريد.

٣ ـ من أين انطلق، وما هي الأفكار التي نشرها بين أتباعه؟

انتقل ابنُ سبأ إلى مصر، ووجد في مصر مناخاً مناسباً لأفكاره؛ لأن معظم المجاهدين خرجوا إلى الفتوحات في ليبيا، وآخرين في السودان ومن كان موجوداً إنما هم قلّة من المسلمين، فاستطاع ابن سبأ أن يجمع حوله قلة من الناس، واستقرّ في مصر، ولم يكن استقراره أمراً مقصوداً، لكنه كان بطبيعته يستقرّ في كل بلد ينزل فيها مدة، ثم يغادرها إلى غيرها، فلما كان بمصر كان قد قرب عهد الفتنة فخرج من مصر.

كانت أفكار ابن سبأ تهدف لهدم الإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم، **ومن هذه الأفكار**:

١ ـ **القول بعقيدة الرجعة:** وأصل هذه العقيدة نابعة من عند المجوس، وقد وُجدت في اليهودية افتراءً على الله تعالى، فاليهود يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هذا من عند الله، وقد كان ابنُ سبأ يقول للناس من الجهال وضعاف الإيمان: إذا كان عيسى ابن مريم سيرجع فكيف لا يرجع محمد ﷺ، فمحمد ﷺ سيرجع، فكان ابن سبأ يخاطب الجهّال فيصدقونه، وقد سأله البعض عن دليلٍ على رجعة سيدنا محمد ﷺ فقال: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ . . .﴾ [القصص: ٨٥]. وقال: إن هذا المعاد في الدنيا، فَخُدِع به بعض الجُهَّال.

٢ ـ **عقيدة الوصاية:** قال ابن سبأ: إن أمر النبوة منذ آدم حتى محمد ﷺ بالوصاية؛ أي: أن كل نبي يوصي للنبي الذي بعده ـ وهذا تخريف منه وتحريف ـ وكان هناك ألف نبي وكل منهم أوصى لمن بعده، فهل يأتي محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء، ولا يوصي بالأمر من بعده لأحد، إذن أوصى محمد ﷺ إلى أحد الناس، هذا في البداية، ثم بدأ في البحث عن رجل إذا تكلم عنه أمام الناس يخجل الناس أن يردوا كلامه، فقال: إن محمداً ﷺ أوصى بالأمر لعلي رضي الله عنه وقد علمت ذلك منه، ووضع حديثاً في ذلك يقول ـ افتراءاً على الرسول ﷺ ـ: أنا خاتم النبيين، وكذلك علي وذريته يختمون الأوصياء إلى يوم القيامة[1].

(١) هذا الحديث المكذوب على رسول الله ﷺ ذكره الإمام ابن الجوزي في الموضوعات وقال عنه: هذا حديث موضوع انفرد فيه الحسن بن محمد العلوي وهو منكر الحديث، وقال ابن الجوزي: فيه إبراهيم بن عبد الله، قال عنه ابن حبان: كان يسرق الحديث ويسويه ويروي عن الثقاة ما ليس من أحاديثهم واستحق الترك. انظر: الموضوعات، ابن الجوزي (١/ ٣٧٧). والأباطيل، الجورقاني، كتاب الفضائل (١/ ٤٤٠).

٤ ـ ما هي الخطوات التي اتبعها ابن سبأ لإثارة الناس:

لقد قام ابن سبأ بدراسة حياة المدينة دراسة جيدة، ويدل على ذلك الخطوات التي وضعها لإحداث الفتنة، وهي على الشكل التالي:

النقطة الأولى: قال لأتباعه: أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتستميلوا الناس إليكم. **وهذا هو الأصل الأول من أصول الضلال**.

النقطة الثانية: قال: ابدؤوا في الطعن في أمرائكم، وقولوا للناس: إن عثمان قد أخذ الخلافة بغير حقٍّ، وإن عليّاً هو وصي رسول الله ﷺ، فانضموا وردُّوا الحق إلى صاحبه.

اتبع ابن سبأ مجموعة من الطوائف، فمنهم الذين هم على شاكلته ممن دخلوا في الإسلام ظاهراً، وأبطنوا الكفر والنفاق، وطائفة أخرى يرغبون في الإمارة والرئاسة والسيطرة، ولم يولهم عثمان رضي الله عنه، إما لسوء خلقهم، أو لوجود من هو أفضل منهم، وطائفة ثالثة من الموتورين الذي أقام عثمان رضي الله عنه الحد على أحدهم، أو على قريب لهم، فقاموا حمية له، وطائفة أخرى من جهال المسلمين الذين ينقصهم العلم، فتبعوا ابن سبأ بدافع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٥ ـ بدأ الطعن بالخليفة عثمان رضي الله عنه:

ثم بدأ الطعن في الخليفة نفسه، وأعد ابن سبأ قائمة بالطعون في عثمان رضي الله عنه، وأرسلها إلى الأمصار والبلدان، ووصل الأمر إلى أمراء المسلمين، وإلى الخليفة عثمان رضي الله عنه، فأرسل مجموعة من الصحابة يفقهون الناس، ويعلمونهم، ويدفعون عنهم هذه الشبهات، فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعمار بن

ياسر إلى مصر، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وكان أهل الشام أقل الناس تأثراً بهذه الفتنة، وكان معاوية رضي الله عنه يسوس الناس بحكمة وحلم، وكان الناس يحبونه حباً شديداً، وقد رفض الناس دعوة ابن سبأ عندما عرضها عليهم، فذهب إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ـ وهو من كبار الصحابة ومن شديدي الزهد كما يعرف ذلك من يطالع سيرته ـ ولما مر به عبد الله بن سبأ في طريقه قال له: يا أبا ذر إن أهل الشام ينغمسون في الدنيا وفي الملذات وينشغلون عن أمر الدين. محاولاً بهذا الكلام إثارته، فذهب أبو ذر إلى معاوية وقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤]. متأوِّلاً معنى الآية أنه لا يجوز للإنسان أن يكنز أكثر من قوت يوم واحد، وهذا الفهم يخالف أصول الإسلام في هذه الناحية، فقال له معاوية: إنك تحمل الناس على أمر لا يطيقونه، ولم يقره رسول الله ﷺ، وأصرَّ أبو ذر على رأيه، فأرسل معاوية إلى عثمان رضي الله عنه، فاستدعى عثمان رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه، ودار بينهما حوار ـ سنذكر تفاصيله فيما بعد ـ وكان هذا من المطاعن على عثمان رضي الله عنه التي تبع ابن سبأ فيها الكثير.

وذهب ابن سبأ أيضاً إلى عبادة بن الصامت، وحاول معه مثل هذا الأمر، فقبض عليه، وأتى به إلى معاوية بن أبي سفيان، وقال له: هذا الذي أثار عليك أبا ذر الغفاري. فكلمه معاوية رضي الله عنه، وكان معاوية حليماً شديد الحلم، فرجع ابن سبأ عن قوله ظاهراً، ولم يطمئن إليه معاوية، فأخرجه من بلاده فذهب إلى مصر بعد ذلك. أما مجموعة الصحابة الذين أرسلهم عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار ليعلمونهم ويدرؤون عنهم هذه الشبهات، فقد رجعوا جميعاً إلى عثمان رضي الله عنه إلا عمار بن ياسر الذي

كان قد ذهب إلى مصر، وكان بها عبد الله بن سبأ، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر، وهم من رؤوس الفتنة، فقد جلسوا مع عمار بن ياسر، وأقنعوه ببعض الأفكار والمآخذ على الأمراء، وعلى عثمان رضي الله عنه، فتأخر عمار بن ياسر عن العودة إلى عثمان رضي الله عنه بالمدينة، فخاف المسلمون أن يكون قد قتل، ولكن جاءهم في هذا الوقت كتاب من عبد الله بن أبي السرح، والي عثمان رضي الله عنه على مصر يخبرهم أن عمار بن ياسر قد استماله القوم، وأرسل عثمان رضي الله عنه إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه خطاباً يعاتبه فيه، ولما قرأ الخطاب ظهر له الحق، ورجع إلى عثمان رضي الله عنه في المدينة، وتاب بين يديه عن هذا الظن.

ثم ظهرت الفتنة، ولأول مرة بصورة علنية، وكان ذلك في الكوفة سنة (٣٣هـ)، فقد جمع الأشتر النخعي حوله مجموعة من الرجال تسعة أو عشرة، وبدأ يتحدث جهاراً نهاراً عن مطاعن يأخذها على عثمان رضي الله عنه. وسمع سعيد بن العاص والي الكوفة من قبل عثمان رضي الله عنه هذا الكلام فنهى الأشتر، ومن معه، ثم أرسل بعد ذلك إلى عثمان رضي الله عنه يخبره بما عليه الأشتر النخعي ومن معه، فأرسل عثمان رضي الله عنه رسالة إلى سعيد بن العاص أن يرسل الأشتر النخعي، ومن معه إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام، وكان معاوية كما ذكرنا حليماً شديد الحلم، فقد كانوا يسبونه علناً مرة، والثانية، والثالثة، ويأخذهم باللين والرفق، ولم يحاول معاوية بن أبي سفيان أن يشتد معهم، فأرسلهم إلى عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد والي حمص، وكان كأبيه خالد رضي الله عنه له مخالب كمخالب الأسد شديداً حازماً، فعنَّفهم بشدة ولما ردّوا عليه أذلَّهم ذلاّ عظيماً، وحبسهم فأظهروا توبتهم، فأرسل إلى عثمان رضي الله عنه أن هؤلاء قد تابوا، فأرسل إليه أن يجعل أحدهم يأتيه فأرسل إليه الأشتر النخعي وأعلن توبته على يدي عثمان رضي الله عنه، فرده عثمان إلى الشام، وظل فيها هو ومن معه،

وبينما هم في الشام جاءتهم رسالة من رجل يسمى يزيد بن قيس من البصرة أنه سوف يعلن الثورة في البصرة جهراً، وأرسل لهم رسالة يستعين بهم، ولما وقعت الرسالة في أيديهم ترددوا في أمر الثورة، وأصر عليهم الأشتر النخعي، فقيل: إنهم رجعوا معه، وقيل: لم يرجعوا معه، ولكنه عاد إلى الكوفة، وكما ذكرنا من قبل أنه كان مسموع الكلمة وذا رأي في قومه.

وفي هذا الوقت أرسل عثمان رضي الله عنه إلى ولاته كي يستشيرهم في أمر هذه الفتنة، فأرسل إلى معاوية بن أبي سفيان واليه على الشام، وإلى عبد الله بن عامر واليه على البصرة، وسعيد بن العاص واليه على الكوفة، وعبد الله بن أبي السرح واليه على مصر، وجاؤوا جميعاً إلى عثمان رضي الله عنه بالمدينة، وبعد أن عرض عليهم الموقف بدؤوا يقولون رأيهم؛ فأشار عبد الله بن عامر أن يشغل الناس بالجهاد حتى لا يتفرغوا لهذه الأمور، وأشار سعيد بن العاص باستئصال شأفة المفسدين وقطع دابرهم، وأشار معاوية رضي الله عنه بأن يرد كل وال إلى مصره فيكفيك أمره، أما عبد الله بن أبي السرح فكان رأيه أن يتألفهم بالمال. وقد جمع عثمان رضي الله عنه في معالجة هذا الأمر بين كل هذه الآراء، فخرج بعض الجيوش للغزو، وأعطى المال لبعض الناس، وكلف كل وال بمسؤوليته عن مصره، ولكنه لم يستأصل شأفتهم.

إلى هذا الوقت لا زال الأمر لم يعلن عدا أمر العشرة الذين كانوا مع الأشتر النخعي في الكوفة، وظهور أمر يزيد بن قيس في البصرة، ورجع الأمراء من عند عثمان رضي الله عنه إلى أقطارهم، وعندما رجع سعيد بن العاص إلى الكوفة وجد أن الأشتر النخعي قد سبقه إليها، وقام بثورة كبيرة بعد أن جمع الجموع، ونشر فيهم الفتنة نشراً عظيماً، ومنع دخول

سعيد بن العاص الكوفة، وأصروا على أمرهم، وآثر سعيد بن العاص أن يقمع الفتنة فرفض الدخول في قتال معهم ورجع إلى عثمان رضي الله عنه، وأخبره بما حدث، وآثر عثمان رضي الله عنه السلامة في هذه البلاد التي تدير وسط وشمال فارس وارتضى أهل الكوفة أن يولى عليهم أبو موسى الأشعري، ووافقهم عثمان رضي الله عنه على ذلك، وكان ذلك سنة (٣٤هـ).

وبدأ الطعن يكثر في عثمان رضي الله عنه، وتنتشر أفكار ابن سبأ في البلاد، وأصبح للفتنة جذوراً في بلاد كثيرة، فكان يزيد بن قيس في البصرة، والأشتر النخعي في الكوفة، وكذا حكيم بن جبلة، وعبد الله بن سبأ رأس الفتنة في مصر، ومعه كنانة بن بشر وسودان بن حمران. وأراد رؤوس الفتنة أن يشعلوا الأمر أكثر وأكثر، حتى يجتثوا الدولة الإسلامية من جذورها، فبدؤوا يكثرون الطعن على عثمان، ويكتبون هذه المطاعن المكذوبة والمفتراة، ويرسلونها إلى الأقطار موقَّعة بأسماء الصحابة افتراءً على الصحابة، فيوقِّعون الرسائل باسم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوَّام، والسيدة عائشة رضي الله عنهم. وكان من الصعب نظراً لصعوبة الاتصال وتنائي الأقطار أن يتم تنبيه الناس إلى كذب هذه الرسائل، وأن الصحابة رضي الله عنهم لم يكتبوا هذه المطاعن ولم يوقِّعوا عليها. ومن ثم انقاد بعض الناس لهذه الفتنة، بينما انتظر آخرون حتى يتثبتوا من الأمر نظراً لخطورته.

٦ ـ خروج المتمردين إلى المدينة:

عَلِمَ عثمان رضي الله عنه بمجيء القوم، وعَلِمَ مرادهم، فأرسل عثمان رجلين واحد من بني مخزوم، والآخر من بني زهرة، وكان عثمان قد قام بمعاقبة الرجلين ظاهراً ليطمئن المتآمرون إليهما، وكان عثمان قد طلب منهما أن ينظرا ما يريد هؤلاء الناس وأن يعلما ما هي نيتهم، فلما رأوهما أفشوا لهما سرَّهم وأخبروهما بما يريدون، فقالا لهم: فكيف

تريدون أن تصنعوا؟ وشرح هؤلاء القوم للرجلين أبعاد المؤامرة كاملة والخطَّة المقترحة، «**وقالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس ثُمَّ نرجع إِلَيْهِم فنزعم لَهُمْ أَنَّا قرَّرناه بِهَا، فلم يخرج منها ولم يتب، ثُمَّ نخرج كأَنَّا حُجَّاج حَتَّى نقدم فنحيط بِهِ فنخلعه، فإن أبى قتلناه وكانت إياها، فرجعا إِلَى عُثْمَانَ بالخبر، فضحك وَقَالَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ هَؤُلاءِ، فإنك إن لم تُسَلِّمْهُم شَقوا**»[1] ثم أرسل إلى الكوفيين والبصريين ونادى: الصلاة جامعة، وهم عنده في أصل المنبر، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وحقيقة ما يريدون من تأكيد الشبهات عليه تمهيداً للخروج عليه وخلعه أو قتله، وقام الرجلان اللذان حادثا السبئيين، فشهدا بما أخبروهما به، فقال المسلمون جميعاً في داخل المسجد: **اقتلهم يا أمير المؤمنين؛ لأنهم يريدون الخروج على أمير المؤمنين، وتفريق كلمة المسلمين**[2]، ورفض عثمان رضي الله عنه دعوة الصحابة لقتلهم؛ لأنهم مسلمون في الظاهر، من رعيته، ولا يرضى أن يقال: عثمان يقتل مسلمين مخالفين له، ولذلك رد عثمان بن عفان على تلك الدعوة قائلاً: لا نقتلهم؛ بل نعفو ونصفح، ونبصِّرهم بجهدنا، ولا نقتل أحداً من المسلمين، إلا إذا ارتكب حدَّاً يوجب القتل، أو أظهر رِدَّة وكفراً[3].

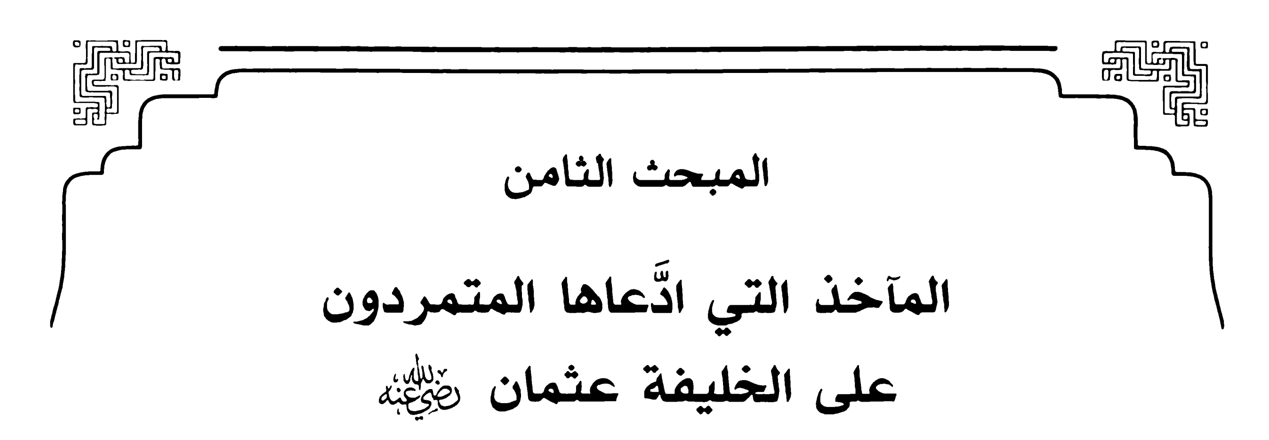
❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣٤٦/٤).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣٤٦/٤). والخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص١٥٤).

(٣) انظر: الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص١٥٤).



المبحث الثامن

المآخذ التي ادَّعاها المتمردون على الخليفة عثمان رضي الله عنه

دعا عثمان رضي الله عنه المتمردين إلى عرض ما عندهم من شبهات ومطاعن وإظهار ما يرونه أنه خطأ وتجاوزات وقع هو فيها، وطلب عثمان رضي الله عنه أن يقوموا بعرضها أمام الصحابة وعلى مرأى ومسمع المسلمين في المدينة، وعقدت الجلسة بحضور الجميع في المسجد.

ويمكن تقسيم هذه المطاعن على النحو الآتي:

المأخذ الأول:

يقول عثمان: قالوا: أتممت الصلاة في الحج ـ في منى ـ وقد قصرها من قبلك رسول الله ﷺ وصاحباه، وهذا ابتداع لم يأتِ به النبي ﷺ وصاحباه.

رد عثمان رضي الله عنه: قَالُوا: أتم الصَّلاة فِي السفر، وكانت لا تتم، أَلا وإني قدمت بلداً فِيهِ أهلي، فأتممت[1] لهذين الأمرين[2]، أوَ كذلك؟ قَالُوا[3]: اللَّهُمَّ نَعَمْ[4].

(١) وهذا اجتهاد من عثمان رضي الله عنه، وهو أهل لذلك.
(٢) أي: الإقامة واتخاذ الأهل.
(٣) أي: الصحابة.
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٧٤).

وإتمام عثمان رضي الله عنه الصلاة بمنى أمر ثابت، ودليل ذلك: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «**صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْراً مِنْ إِمَارَتِهِ ثُمَّ أَتَمَّهَا**»[1].

وهنالك روايات تبين أن عثمان إنما أتم الصلاة لأسباب أخرى نستعرضها في الروايات التالية:

وفي رواية الإمام البيهقي: عن عثمان بن عفان أنه أتم الصلاة بمنى، ثم خطب الناس فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ السُّنَّةَ سُنَّةُ رَسُولِ الله ﷺ، وَسُنَّةُ صَاحِبَيْهِ، وَلَكِنَّهُ حَدَثَ الْعَامَ مِنَ النَّاسِ، فَخِفْتُ أَنْ يَسْتَنُّوا»[2].

قال ابن جُرَيْج (ت١٥٠هـ): بَلَغَنِي أَنَّهُ أَوْفَى[3] أَرْبَعاً بِمِنًى قَطْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ أَعْرَابِيّاً نَادَاهُ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ بِمِنًى: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا زِلْتُ أُصَلِّيهِمَا رَكْعَتَيْنِ مُنْذُ رَأَيْتُكَ عَامَ أَوَّلٍ صَلَّيْتَهَا رَكْعَتَيْنِ، فَخَشِيَ عُثْمَانُ أَنْ يَظُنَّ جُهَّالُ النَّاسِ إِنَّمَا الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، وَإِنَّمَا كَانَ أَوْفَاهَا بِمِنًى قَطْ»[4].

وقد جاء عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه إلى عثمان رضي الله عنه يستفسر عن سبب قصره للصلاة، فقال له عثمان رضي الله عنه: «إِنِّي أُخْبرت أَن بعض حُجَاج الْيمن وجفاة النَّاس قَالُوا: الصَّلَاة للمقيم رَكْعَتَانِ واحتجوا بصلاتي»[5].

ويؤيد هذا ما نقله الإمام ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، عن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب تقصير الصلاة، باب الصلاة بمنى (٢/ ٤٢)، ح(١٠٨٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب صلاة المسافر والجمع في السفر، باب من ترك القصر في السفر غير رغبة عن السُّنَّة (٣/ ٢٠٦)، ح(٥٤٣٨).

(٣) أي: أن عثمان أتم الصلاة ولم يقصرها.

(٤) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف، كتاب الصلاة، باب الصلاة في السفر (٢/ ٥١٨ ـ ٥١٩)، ح(٤٢٧٧).

(٥) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى المالقي (ص٤٨).

الزهري (ت١٢٤هـ) قال: «إِنَّمَا صَلَّى عُثْمَانُ بِمِنًى أَرْبَعاً لِأَنَّ الْأَعْرَابَ كَانُوا كَثُرُوا فِي ذَلِكَ الْعَامِ فَأَحَبَّ أَنْ يُعْلِمَهُمْ أَنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعٌ»[١].

وما روى البيهقي أن عثمان أتم بمنى ثم خطب فقال: «إِنَّ الْقَصْرَ سُنَّةُ رَسُولِ الله ﷺ وَصَاحِبَيْهِ وَلَكِنَّهُ حَدَثٌ طَغَامٌ ـ يَعْنِي: بِفَتْحِ الطَّاءِ وَالْمُعْجَمَةِ ـ فَخفت». ثم يعقب ابن حجر على هذا الكلام فيقول: «وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً ولا مانع أن يكون هذا أصل سبب الإتمام»[٢].

وعلى كلٍّ فمسألة قصر الصلاة أو إتمامها مسألة اجتهادية، وأكثر جمهور الفقهاء في بلاد الإسلام على أن القصر في السفر جائز لا واجب، وهو رخصة، والإتمام عزيمة. والله تعالى يحبُّ أن تؤتى رخصه كما يحبُّ أن تؤتى عزائمه، فإذا كان عثمان رضي الله عنه لم يأخذ برخصة قصر الصلاة فقد أخذ بالعزيمة[٣].

خلاصة الأمر أن عثمان رضي الله عنه ما أتم الصلاة إلا لأحد أمرين:

أ ـ لأنه تزوج في مكة فكان يرى أنه في بلده في مكة ولذلك أتمَّ هناك.

ب ـ إنه خشي أن يُفتن الأعراب ويرجعون إلى بلادهم فيقصرون الصلاة هناك فأتمَّ حتى يبين لهم أن أصل الصلاة أربع ركعات.

المأخذ الثاني:

قالوا: إني حميتُ حمى[٤]، وضيَّقتُ على المسلمين، وجعلتُ أرضاً واسعة، خاصة لرعي إبلي!

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٢/ ٥٧١).
(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٢/ ٥٧١).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة، أ.د. محمد أمحزون (ص٣٢٧).
(٤) الحمى: هو موضع فيه الكلأ والعشب، يحميه الإمام من الناس، فلا يرعى فيه أحد، =

رد عثمان ﷺ: لقد كان الحمى قبلي، لإبل الصدقة والجهاد، حيثُ جعلَ الحمى كلٌّ من رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وأنا زدتُ فيه لَمَّا كثرت إبلُ الصدقة والجهاد، ولم نمنع ماشية فقراء المسلمين من الرعي في ذلك الحمى، وما حميتُ الحمى لماشيتي. ولما ولّيتُ الخلافة كنتُ من أكثر المسلمين إبلاً وغنماً، وقد أنفقتها كلها، وما لي الآن ثَاغِيَةَ ولا رَاغِيَةَ[١]، ولم يبق لي إلا بعيران، خصَّصْتُهما لحجّي. أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللَّهُمَّ نعم[٢].

وفي رواية أخرى: قال عثمان ﷺ: «وأما الحمى فوالله ما حميته لإبلي ولا غنمي وإنما حميته لإبل الصدقة لتسمن وتصلح وتكون أكثر ثمناً للمساكين»[٣].

وقد جاءت الروايات الصحيحة أن الحمى كانت في أيام رسول الله ﷺ، ومن هذه الروايات: عن ابن عباس ﷺ: أن الصَّعْبَ بْنَ جَثَّامَةَ ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«لَا حِمَى إِلَّا للهِ وَلِرَسُولِهِ»** وَقَالَ: بَلَغَنَا «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَمَى النَّقِيعَ»[٤]، وَأَنَّ عُمَرَ ﷺ «حَمَى السَّرَفَ[٥]

= ولا يقربه أحد، والمعنى: لا يحمي شيء من الأرض إلّا ما يرصد لرعي خيل الجهاد وإبلها وإبل الزكاة وما في معنى هذا.

(١) أي: لا شاة تثغو ولا ناقة ترغو، العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢/١٨).

(٢) الخلفاء الراشدون، الخالدي (ص١٥٥).

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٣٩/٢٤٩).

(٤) **النقيع في اللغة**: القاع، عند الخطّابي، والنقيع في قول غيره: الموضع الذي يستنقع فيه الماء، وبه سمي هذا الموضع، وحمى النقيع على عشرين فرسخاً (أي: ما يقارب١١٠ كيلو متر) أو نحو ذلك من المدينة، والنقيع موضع قرب المدينة كان لرسول الله ﷺ، حماه لخيله، وله هناك مسجد يقال له مقمّل وهو من ديار مزينة. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/٣٠١) بتصرف.

(٥) **السرف**: وهو موضع على ستّة أميال من مكّة، وقيل: سبعة وتسعة واثني عشر، تزوّج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث. معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/٢١٢). =

وَالرَّبَذَةَ[١]»[٢].

وإذا كان رسول الله ﷺ قد حمى والدولة لا تزال ناشئة فمن المعلوم أن يكون أبو بكر قد حمى، ولا سيما وقد استهلَّت الفتوح في بلاد فارس والروم، وزادت الحاجة إلى الخيل والإبل للجهاد في سبيل الله، خاصة إذا علمنا أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لم يخرج عن شيء كان الحال عليه زمن النبي ﷺ ففي أول خطبة له قال: «**أيها الناس إنما أنا متَّبع، ولست بمبتدع**»[٣][٤].

ويقول علي رضي الله عنه مدافعاً عن عثمان رضي الله عنه: «**أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن، ولم يحمه لإبله ولا لغنمه، وقد حماه عمر من قبله**»[٥].

ويقول الإمام ابن العربي (ت٥٤٣هـ): «وأما أمر الحِمَى، فكان قديماً، فيقال أن عثمان زاد فيه لما زادت الرعية، واجتاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة؛ لزيادة الحاجة»[٦].

= والميل يساوي: ٤٠٠٠ ذراعاً = ١٨٤٨ متراً. معجم لغة الفقهاء، قلعجي وقنيبي (ص٤٥١).

(١) **الربذة**: من قرى المدينة على ثلاثة أيّام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب لا حمى إلا لله ورسوله ﷺ (٣/ ١١٣)، ح(٢٣٧٠).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٦١). واللفظ له. والدارمي في السنن، باب ما يتلقى من تفسير حديث النبي ﷺ وقول غيره عند قوله ﷺ (١/ ٤٠٢)، ح(٤٤٧).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، أ. د. محمد أمحزون (ص٣٢٥).

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٢٧٢).

(٦) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، أبو بكر ابن العربي (ص٨٤ ـ ٨٥).

المأخذ الثالث:

قالوا: إني أبقيت نسخة واحدة من المصاحف، وحرَّقت ما سواها، وجمعتُ الناس على مصحف واحد!

رد عثمان رضي الله عنه: ألا إن القرآن كلامُ الله، من عندِ الله، وهو واحد، ولم أفعل سوى أن جمعتُ المسلمين على القرآن، ونهيتُهُم عن الاختلاف فيه، وأنا في فعلي هذا تابعٌ لما فعله أبو بكر، لمَّا جمعَ القرآن! أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللَّهُمَّ نعم.

لذلك كان إحراق عثمان رضي الله عنه المصاحف وجمع الناس على مصحف واحد، منقبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لأنه حسم مادة الخلاف بين المسلمين وجمعهم على مصحف واحد[١]. وهذا ما يقوله العلماء العارفون، ومثال ذلك ما قاله ابن العربي: «وأما جمع القرآن، فتلك حسنته العظمى، وخصلته الكبرى، وإن كان وجدها كاملة، لكنه أظهرها ورَدَّ الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بينَّا في كتب القرآن وغيرها»[٢].

ومن الروايات التي تبيِّن أهمية ما فعله عثمان في قضية جمع الناس على مصحف واحد، ما روي أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في سنة ثلاثين للهجرة سار إلى غزو مدينة الباب، فلما رجع قال لسعيد بن العاص: «لقد رَأَيْتُ فِي سَفَرِي هَذَا أمراً عجيباً وَلَئِن ترك النَّاس ليختلفن فِي الْقُرْآن ثمَّ لَا يقومُونَ عَلَيْهِ أبداً. قَالَ: وَمَا ذَاك؟ قَالَ: رَأَيْتُ نَاساً من أهل حمص يَقُولُونَ: قراءتهم خير من قِرَاءَة غَيرهم؛ لأَنهم أخذوها عَن الْمِقْدَاد، وَأهل دمشق يَقُولُونَ مثل ذَلِك، وَأهل الْكُوفَة يَقُولُونَ مثل ذَلِك؛

---

(١) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، أ.د. محمد أمحزون (ص٣٢٠) بتصرف.

(٢) العواصم من القواصم، ابن العربي (ص٨٠).

لأنهم قرؤوا على ابْن مَسْعُود، وَأهل الْبَصْرَة يَقُولُونَ مثل ذَلِك، وَأَنَّهُمْ قرؤوا على أبي مُوسَى، ويسمون مصحفه لباب الْقُلُوب، وَوَافَقَ حُذَيْفَة أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ وَكثير من التَّابِعين فَسَار حُذَيْفَة إِلَى عُثْمَان رضي الله عنه وَأخْبرهُ بذلك، وَقَالَ: أَنا النذير الْعُرْيَان فَجمع عُثْمَان رضي الله عنه الصَّحَابَة واستشارهم فَرَأَوْا مثل مَا رأى حُذَيْفَة فَأرْسل عُثْمَان رضي الله عنه إِلَى حَفْصَة بنت عمر رضي الله عنها لترسل إِلَيْهِ بالصحف ينسخها وَكَانَ أَبُو بكر رضي الله عنه قد جمعهَا لما كثر الْقَتْل فِي الْمُسلمين يَوْم الْيَمَامَة. فأرسلتها إِلَيْهِ فَأمر عُثْمَان رضي الله عنه زيد بن ثَابت وابن الزبير وَسَعِيد بن الْعَاصِ وَعبد الرَّحْمَن بن الْحَارِث بن هِشَام رضي الله عنهم فنسخوها، وَقَالَ لَهُم: إِذا اختلفتم فِي حرف فاكتبوه بلغَة قُرَيْش، فَفَعَلُوا فَأرْسل إِلَى كل مِصْرَ مُصحفاً وَحرق مَا سوى ذَلِك فَشكر النَّاس هَذَا الْفِعْل».

وَلما قدم عَليّ رضي الله عنه الْكُوفَة قَامَ إِلَيْهِ رجل وَعَابَ عُثْمَان رضي الله عنه بِجمع الْمَصَاحِف، فصاح بِهِ عَليّ رضي الله عنه قَالَ: «عَن مَلأ منا فعل ذَلِك وَلَو وليت مَا ولي عُثْمَان لَسَلَكْتُ سَبيله»[(١)].

وما يقوله علي رضي الله عنه دلالة على أن هذا العمل لم يكن تصرفاً فرديّاً من عثمان؛ بل كان رأي كثير من الصحابة الذين رأوا جميعاً رأي حذيفة وأعجبهم هذا العمل الجليل[(٢)].

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يدخل على عثمان بعد نسخ المصاحف فيقول له: «أصبت ووفقت، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أشد أمتي حباً لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني يعملون بما في الورق**

---

(١) انظر: التمهيد والبيان، المالقي (ص٦٢ ـ ٦٣) بتصرف.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، أ.د. محمد أمحزون (ص٣٢١).

المعلق»، فقلت: أي ورق؟ حتى رأيت المصاحف»[١].

حتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي جاءت الروايات تنقل معارضته على جمع المصاحف في بداية الأمر، أناب إلى المتابعة، وترك المخالفة، وقام خطيباً في أهل الكوفة[٢] قائلاً: «إن الله لَا ينْزع الْعلم انتزاعاً وَلَكِن يَنْزعهُ بذهاب الْعلمَاء وَإِن الله لَا يجمع أمة مُحَمَّد ﷺ على ضَلَالَة فجامعوهم على مَا اجتمعوا عَلَيْهِ»[٣].

ويروي ابن عساكر بسنده أن حميد بن منهب قال: زرت الحسن بن أبي الحسن[٤] فخلوت به يوماً، فقلت له: يا أبا سعيد، أما ترى ما الناس فيه من الاختلاف؟ فقال لي: يا أبا يحيى، أصلح أمر الناس أربعة فذكرهم، ثم قال: «وعثمان بن عفان حيث جمع الناس على هذه القراءة وقد كانوا يقرؤونه على سبعة أحرف، فكان هؤلاء يلقون هؤلاء فيقولون: قراءتنا أفضل من قراءتكم، حتى كاد بعضهم أن يكفر بعضاً، فجمعهم عثمان على هذا الحرف، ولولا ما فعل عثمان من ذلك لألحد الناس في القرآن إلى يوم القيامة»[٥].

وفي هذه الروايات ما يدل على أن ما قام به عثمان هو الصواب، وأنه بهذا الفعل حفظ للأمة أمر دينها.

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٣٩/ ٢٤٤). البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٣٩٤). والحديث الذي ذكره أبو هريرة عن النبي ﷺ، أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين (٤/ ٩٦)، ح(٦٩٩٣). وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والبزار في المسند، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١/ ٤١٣)، ح(٢٨٩).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، أ.د. محمد أمحزون (ص٣٢٢).

(٣) التمهيد والبيان، المالقي (ص٦٤).

(٤) هو الحسن البصري، العالم الفقيه، رأى (١٢٠) صحابياً، توفي سنة (١١٠هـ).

(٥) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٣٩/ ٢٥٠).

المأخذ الرابع:

قالوا: إني رددت الحَكَمَ بن أبي العاص إلى المدينة، وقد كان رسول الله ﷺ نفاه إلى الطائف!

رد عثمان رضي الله عنه: إنَّ الحكم بن أبي العاص مكّي، وليس مدنيّاً، وقد سيَّره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، وأعاده الرسول ﷺ إلى مكة بعدما رضي عنه، فالرسول ﷺ سيَّره إلى الطائف، وهو الذي ردَّه وأعاده.

أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللَّهُمَّ نعم[(١)].

المأخذ الخامس:

قالوا: إني استعملتُ الأحداث، وولَّيت الشبَّانَ صغارَ السن!

رد عثمان رضي الله عنه: لم أستعمل إلا مجتمعاً محتملاً مرضيّاً، وهؤلاء أهل عملهم، فسلوهم عنه، وهؤلاء أهل بلده، وَلَقَدْ ولَّى من قبلي أحدث مِنْهُمْ، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي فِي استعماله أُسَامَة بن زيد رضي الله عنه.

أكذلك هو؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، يعيبون لِلنَّاسِ مَا لا يفسرون[(٢)].

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن عثمان: «وَأَمَّا تَوْلِيَتُهُ الْأَحْدَاثَ فَلَمْ يُوَلِّ إِلَّا رَجُلاً سَوِيّاً عَدْلاً، وَقَدْ وَلَّى رَسُولُ الله ﷺ، عَتَّابَ بْنَ أُسَيدٍ عَلَى مَكَّةَ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً»[(٣)].

---

(١) الخلفاء الراشدون، الخالدي (ص١٥٦).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٤/٣٤٧).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/٢٧٣).

المأخذ السادس:

قالوا: إني أعطيت عبد الله بن سعد بن أبي السرح ما أفاءَ الله به عليه.

رد عثمان ﷺ: إنما أعطيتهُ خُمسَ الخُمس، وكان مئة ألف لما فتحَ إفريقية، جزاءَ جهاده. وقد قلت له: إن فتح الله عليك إفريقية، فلكَ خمسُ الخمسِ من الغنيمة نفلاً. وقد فعلها قبلي أبو بكر وعمر ﷺ.

يقول عثمان ﷺ: ومع ذلك قال لي الجنودُ المجاهدون: إنّا نكره أن تعطيه خمس الخمس ـ ولا يحق لهم الاعتراض والرفض ـ فأخذتُ خمس الخمس من ابن سعد ورَدَدْتُه على الجنود، وبذلك لم يأخذ ابن سعد شيئاً.

أليس كذلك؟ قال الصحابة: اللَّهُمَّ نعم[(١)].

المأخذ السابع:

قالوا: إني أحبُّ أهل بيتي وأعطيهم!

رد عثمان ﷺ: فأما حبي لأهل بيتي، فإنه لم يحملني على أن أميل معهم إلى جور وظلم الآخرين؛ بل أحملُ الحقوق عليهم، وآخذُ الحق منهم.

وأما إعطاؤهم فإني أُعطيهم من مالي الخاص، وليس من أموالِ المسلمين؛ لأني لا أستحلُّ أموال المسلمين لنفسي، ولا لأحدٍ من الناس.

ولقد كنتُ أعطي العطيةَ الكبيرة الرغيبةَ من صُلبِ مالي، أزمانَ رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ﷺ، وأنا يومئذٍ شحيحٌ حريص. أفحينَ أتيتُ على أسنان أهل بيتي، وفَنِيَ عمري، وجعلْتُ مالي الذي لي لأهلي وأقاربي، قال هؤلاء ما قالوا؟

---

(١) الخلفاء الراشدون، الخالدي (ص١٥٦ ـ ١٥٧).

وإني والله ما أخذتُ من مصرٍ من أمصار المسلمين، ولم يُحضروا إلى المدينة إلا الأخماس من الغنائم، ولقد تولى المسلمون تقسيمَ تلك الأخماس، ووضْعَها في أهلها!

ووالله ما أخذتُ من تلك الأخماس ولا غيرها فلْساً فما فوقَه، وإنني لا آكل إلا من مالي، ولا أُعطي أهلي إلا من مالي[1]!

المأخذ الثامن:

قالوا: إني أعطيتُ الأرض المفتوحة لرجال معيّنين.

رد عثمان رضي الله عنه: إن هذه الأرَضين المفتوحة، قد اشترك في فتحها المهاجرون والأنصار وغيرُهم من المجاهدين، ولما قسمت هذه الأراضي على المجاهدين الفاتحين، منهم من أقام بها واستقرَّ فيها، ومنهم من رجع إلى أهله في المدينة أو غيرها، وبقيت تلك الأرض ملكاً له، وقد باعَ بعضهم تلك الأراضي، وكان ثمنها في أيديهم[2]..

المأخذ التاسع والعاشر والحادي عشر:

قالوا: لم يحضر بدراً، وفرَّ يوم أحد، ولم يحضر بيعة الرضوان.

الرد: جاء في «صحيح البخاري» عن عُثْمَانُ هُوَ ابْنُ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ[3] مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ، فَرَأَى قَوْماً جُلُوساً، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ القَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي.

هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

---

(١) الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص١٥٧).
(٢) الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص١٥٧ ـ ١٥٨).
(٣) قيل: يزيد بن بشر السكسكي، وقيل: العلاء بن عرار.

قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ.

أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ[١].

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً، وَسَهْمَهُ»**.

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ[٢] بِبَطْنِ مَكَّةَ[٣] مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَمَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَى: **«هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»**. فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ[٤][٥].

---

(١) أي: في جملة من عفا عنهم من المسلمين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران ١٥٥]. ﴿تَوَلَّوْاْ﴾: هربوا. ﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾: النبي ﷺ وأصحابه وقريش ومن معها والمراد اللقاء يوم أحد. استزلهم: وسوس لهم حتى أوقعهم في الخطيئة. ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾: بسبب ما ارتكبوه من ذنوب سابقة كتركهم أماكنهم.

(٢) أكثر عشيرة ومنعة.

(٣) في مكة.

(٤) أي: اقرن هذا الجواب بما كان عندك وحدّث من شئت بذلك. شرح المفردات في هذا الحديث مأخوذة من تعليقات العلامة الشيخ مصطفى البغا على صحيح البخاري.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه (٥/ ١٥)، ح(٣٦٩٨).

المأخذ الثاني عشر:

قالوا: زاد الأذان الثاني يوم الجمعة وهو بدعة.

الرد: أن سُنَّة الخلفاء الراشدين من سُنَّة النبي ﷺ، ودليل ذلك قول النبي ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**[(١)]. **وعثمان** رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين، ولا شك أن عثمان رضي الله عنه رأى من المصلحة أن يزاد هذا الأذان لتنبيه الناس عن قرب وقت صلاة الجمعة بعد أن اتسعت رقعة المدينة فاجتهد في هذا ووافقه الصحابة على ذلك ولم يعترض عليه أحد منهم بهذا الفعل، فلو كان الأمر خلاف السُّنَّة لأنكر عليه كبار الصحابة، وهم موجودون في المدينة.

ومن أدلة ذلك ما رواه الإمام البخاري عن السَّائب بن يزيد، قال: «كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَى المِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رضي الله عنهما، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه، وَكَثُرَ النَّاسُ زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَى الزَّوْرَاءِ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ[(٢)]: «الزَّوْرَاءُ: مَوْضِعٌ بِالسُّوقِ بِالْمَدِينَةِ»، وأيضاً ما رواه الإمام الصنعاني عن سعيد بن الْمُسَيَّب قال: «كَانَ الْأَذَانُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَذَاناً وَاحِداً حَتَّى يَخْرُجَ الْإِمَامُ، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ كَثُرَ النَّاسُ فَزَادَ الْأَذَانَ الْأَوَّلَ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَهَيَّأَ النَّاسُ لِلْجُمُعَةِ»[(٣)]. واستمر العمل به حتى

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة (٧/ ١٦)، ح(٤٦٠٧). وابن ماجه في السنن، أبواب السُّنَّة، باب اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين (١/ ٢٨)، ح(٤٢).

(٢) هو الإمام البخاري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف، كتاب الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة (٣/ ٢٠٦)، ح(٥٣٤٢).

في زمان علي رضي الله عنه، وزمن معاوية رضي الله عنه، ومن بعدهم بني أمية وبني العباس، وإلى يومنا هذا لم يخالفه أحد من المسلمين، ثم إن هذا الأمر له أصل في الشرع وهو: الأذان الأول في الفجر، فلعلَّ عثمان قاس هذا الأذان عليه[(١)].

المأخذ الثالث عشر:

ما نُسِبَ إليه في معاملة المعترضين عليه من الصحابة كأبي ذرٍّ وعمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

الرد: سنذكر الردود على هذه الافتراءات على الشكل التالي:

• **قصة نفي أبي ذر** رضي الله عنه: ادعى المتمردون أن عثمان رضي الله عنه نفى أبا ذر الغفاري رضي الله عنه إلى الرَّبذة، وهذا كلام باطل وغير صحيح، ولتوضيح الأمر نورد ما رواه الإمام البخاري (ت٢٥٦هـ) عن زيد بن وهب قال: مَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ[(٢)] فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْزَلَكَ مَنْزِلك هَذَا؟ قَالَ: «كُنْتُ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفْتُ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ فِي: ... ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]». قَالَ مُعَاوِيَةُ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الكِتَابِ، فَقُلْتُ: «نَزَلَتْ فِينَا وَفِيهِمْ، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي ذَاكَ[(٣)]، وَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه يَشْكُونِي، فَكَتَبَ إِلَيَّ عُثْمَانُ: أَنِ اقْدَمِ المَدِينَةَ فَقَدِمْتُهَا، فَكَثُرَ عَلَيَّ النَّاسُ[(٤)] حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَبْلَ ذَلِكَ،

---

(١) انظر: حقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص١٠٧) بتصرف.

(٢) **الرَّبَذَةُ**: بفتح أوّله وثانيه، من قرى المدينة على ثلاثة أيّام، وبها قبر أبي ذر الغفاري، أقام بها إلى أن مات فيها سنة (٣٢هـ). انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٤) بتصرف.

(٣) أي: نزاع فيمن نزلت هذة الآية.

(٤) يسألونه عن سبب خروجه من دمشق وعما جرى بينه وبين معاوية.

فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِعُثْمَانَ»، فَقَالَ لِي: إِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ[١]، فَكُنْتَ قَرِيباً، «فَذَاكَ الَّذِي أَنْزَلَنِي هَذَا الْمَنْزِلَ، وَلَوْ أَمَّرُوا عَلَيَّ حَبَشِيّاً لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ»[٢].

وفي رواية أخرى: أنَّ أبا ذرٍّ رضي الله عنه هو الذي استأذن للخروج إلى الرَّبذة، فعن عبد الله بن الصامت قال: «دَخَلْتُ مَعَ أَبِي ذَرٍّ عَلَى عُثْمَانَ فَحَسَرَ عَنْ رَأْسِهِ، فَقَالَ[٣]: وَاللهِ مَا أَنَا مِنْهُمْ ـ يَعْنِي: الْخَوَارِجَ ـ فَقَالَ[٤]: إِنَّمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ لِتُجَاوِرَنَا بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، ائْذَنْ لِي بِالرَّبَذَةِ: قَالَ: نَعَمْ»[٥].

وجاء أيضاً عند الطبري أن أبا ذر استأذن عثمان في الخروج إلى الرَّبذة فقال له عثمان: «أوَ تستبدل بِهَا إِلا شَرّاً مِنْهَا! قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَخْرُجَ مِنْهَا إِذَا بَلَغَ الْبِنَاءُ سَلْعاً، قَالَ: فَانْفِذْ لِمَا أَمَرَكَ بِهِ، قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى نَزَلَ الرَّبَذَةَ، فَخَطَّ بِهَا مَسْجِداً، وَأَقْطَعَهُ عُثْمَانُ صِرْمَةً مِنَ الإِبِلِ وَأَعْطَاهُ مَمْلُوكَيْنِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ تَعَاهَدِ الْمَدِينَةَ حَتَّى لا تَرْتَدَّ أَعْرَابِيّاً، فَفَعَلَ»[٦].

وقد قال رسول الله ﷺ عن أبي ذر: «**رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ**»[٧].

فمن الروايات التي ذكرناها يتضح أن عثمان رضي الله عنه لم يطرد

---

(١) أي: اعتزلت وتباعدت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز (٢/ ١٠٧)، ح(١٤٠٦).

(٣) أي: أبو ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٤) أي: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٧٤).

(٦) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٢٨٤).

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب المغازي والسرايا (٣/ ٥٢)، ح(٤٣٧٣).

أبا ذر رضي الله عنه إلى الربذة ولم يرسله معاوية رضي الله عنه مهاناً من الشام إلى المدينة، فكل هذا من الأكاذيب التي روَّجها أصحاب الفتن بهدف تشويه صورة هؤلاء الأطهار والانتقاص من مكانتهم.

• **قصة عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما:**

من الافتراءات التي ادعاها المتمردون على عثمان رضي الله عنه أنه ضرب عمار بن ياسر رضي الله عنه حتى فتق أمعاءه، ووطئ ابن مسعود حتى أصابه الفتق.

ويعلِّق ابن العربي على هذه الحوادث المفتعلة بقوله: «وأما ضربه لعمار وابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن تشتغل بها؛ لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا تُذْهِب الزمان في مماشاة الجهال، فإن ذلك لا آخر له»[١].

إن أخلاق عثمان رضي الله عنه في سنِّه وإيمانه وحيائه ولين عريكته ورقَّة طبعه وسابقته وجليل مكانته في الإسلام أجلُّ من أن تنزل به إلى هذا الدرك من التصرُّف مع رجل من أجلَّاء أصحاب النبي ﷺ يعرف له عثمان سابقته وفضله مهما كان بينهما من اختلاف في الرأي. أفيرضى عثمان لنفسه، وهو الذي أبى على الناس أن يقاتلوا دونه ورضي بالموت صابراً محتسباً حقناً لدماء المسلمين واتقاءً للفتنة العامة، أفيرضى أن يصنع بعمار ـ وهو أعلم بسابقته وفضله في الإسلام ـ ما ذكرت الروايات المزعومة بأنه أمر غلمانه بأن يضربوه حتى غُمي عليه، ثم يقوم عثمان في هذه الحال فيطأه في بطنه؟! ثم هل ترضى أخلاق عثمان وحياؤه بأن يدعو بدعوة الجاهلية فيعيِّر عماراً بأمِّه سُمَيَّة، وهي من السابقة والفضل،

---

(١) العواصم من القواصم، ابن العربي (٧٧ ـ ٧٩).

وعثمان يعرف شرف انتساب عمار إلى أمّه سُمَيِّة «أول شهيدة في الإسلام»[1].

وفي قصة عمار روى ابن أبي شيبة في المصنف فقال: «قَالَ عُثْمَانُ: جَاءَ سَعْدٌ وَعَمَّارٌ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمَا، فَانْصَرَفَ سَعْدٌ وَأَبَى عَمَّارٌ أَنْ يَنْصَرِفَ، فَتَنَاوَلَهُ رَسُولٌ مِنْ غَيْرِ أَمْرِي؛ فَوَاللهِ مَا أَمَرْتُ وَلَا رَضِيتُ، فَهَذِهِ يَدِي لِعَمَّارٍ فَيَصْطَبِرُ»[2][3].

وفي هذه الرواية ما يكشف عن وجه الحق في موقف عثمان رضي الله عنه وهي:

١ ـ أن رسول عثمان تناول عماراً بغير إذن عثمان ولا رضاه، فما ذنب عثمان في ذلك وما حيلته.

٢ ـ أن عثمان حلف حين عوتب أنه ما أمر بتناول عمار ولا رضي بذلك؛ بل كرهه حين بلغه.

٣ ـ أنه لم يقف من عمَّار عند هذا الحد؛ بل أسرع إلى إرضائه بقوله: «فَهَذِهِ يَدِي لِعَمَّارٍ فَيَصْطَبِرُ»؛ أي: ليقتصَّ مني. وفي ذلك تقدير من عثمان لعمار؛ لأنه كافأه بنفسه، إذ جعل القصاص منه، ولم يجعله من رسوله إلى عمار[4].

ولم يكن عمار ناقماً على عثمان بسبب ما حدث ودليل ذلك ما رواه أبو الزناد عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**أن عثمان لما حوصر ومنع الماء**

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، أمحزون (ص٣٣٣).

(٢) أي: ليقتصَّ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفتن، ما ذكر في عثمان رضي الله عنه (٧/ ٥٢١)، ح(٣٧٦٩١). وابن شبة في تاريخ المدينة، كلام عمرو بن العاص في عثمان رضي الله عنهما (٣/ ١١٠١).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، أمحزون (ص٣٣٣ ـ ٣٣٤).

قال لهم عمار: سبحان الله! قد اشترى بئر رومة وتمنعوه ماءها! خلوا سبيل الماء، ثم جاء إلى علي وسأله إنفاذ الماء إليه، فأمر براوية ماء، وهذا يدل على رضائه عنه»[(١)].

وأما ضرب عثمان لابن مسعود رضي الله عنهما ومنعه عطاءه فزور كما ذكر ابن العربي، كما وأن ابن مسعود كان يشيد بعثمان رضي الله عنه، فلما ولي عثمان الخلافة ذهب ابن مسعود إلى الكوفة وقال: «لَمَّا تُوُفِّيَ عُمَرُ بَايَعْنَا خَيْرَنَا وَلَمْ نَأْلُ»[(٢)].

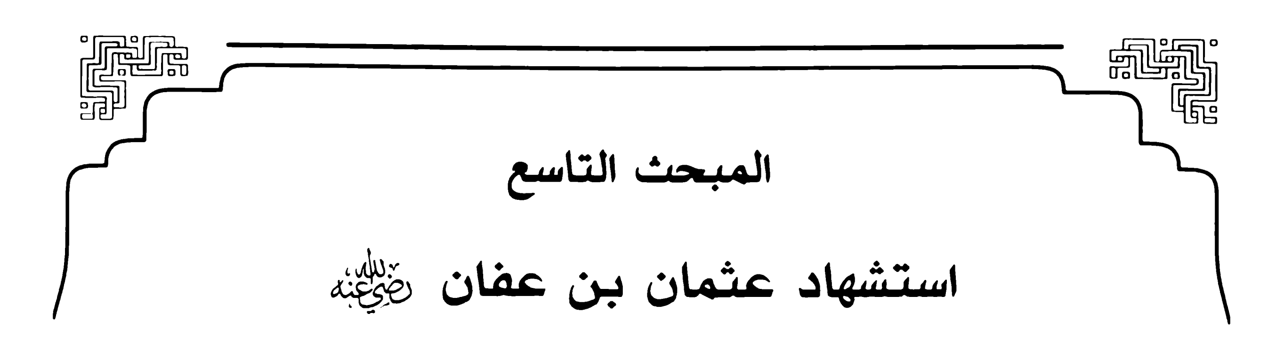
وفي رواية عن سلمة بن سعيد، قال: ما سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قائلاً لعثمان سوءاً قط، ولقد سمعته يقول: **«لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَا تَسْتَخْلِفُونَهُ»**[(٣)].

يمكن القول أن المآخذ السابق ذكرها والمدونة في تاريخ الإمام الطبري وغيره من كتب التاريخ، والمروية عن طريق المجاهيل والإخباريين الضعفاء، أو الكذَّابين كأبي مخنف لوط بن يحيى، وغيره، كانت ولا تزال بلية عظمى على الحقائق في سِيَرِ الخلفاء والأئمة الأعلام، خاصة في مراحل الاضطرابات والفتن.

وقد كان لسيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من ذلك الحظ الوافر، فرواية الحوادث ووضع الأباطيل على النهج الملتوي بعض ما نال تلك السيرة النيِّرة من تحريف المنحرفين وتشويه الغالين بغية التأليب عليه أو التشهير به، ويقول ابن العربي عن تلك المآخذ التي ادعاها المتمردون مستندين إلى ذلك بروايات مكذوبة، جملة مهمة: **«هذا كله باطل سنداً ومتناً، أما قولهم: جاء عثمان بمظالم ومناكير فباطل»**[(٤)].

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة، محب الدين الطبري (٣/ ٩٨).
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٣٨٥).
(٣) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة، باب تواضع عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣/ ١٠٥٢).
(٤) العواصم من القواصم، ابن العربي (ص٧٧).



المبحث التاسع

استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه

بعد إقامة عثمان رضي الله عنه الحجج على المتمردين (السبئية) دعاة الفتنة، لم يتأثر أصحاب الفتنة بذلك، ولم يتراجعوا لأنهم وجدوا الحق، أو راغبين في الخير، وإنما كان هدفهم الفتنة، والكيد للإسلام والمسلمين.

ـ رأي الصحابة في كيفية التعامل مع السبئية:

وقد أشار الصحابة والمسلمون على عثمان بقتل أولئك المتمردين بسبب ما ظهر من كذبهم، وتزويرهم، ولكن عثمان كان له رأي آخر، فآثر أن يتركهم، ورأى عدم قتلهم، مع علمه بما يخطّطون ويريدون، وتركهم يغادرون المدينة، ويعودوا إلى بلادهم[(١)].

ـ مخطط السبئية تُجَاه عثمان رضي الله عنه:

اتفق السبئيون فيما بينهم على القيام بخطوتهم العملية النهائية، في مهاجمة عثمان في المدينة، وحمله على التنازل عن الخلافة، وإلا يُقتل، وقرروا أن يأتوا من مراكزهم الثلاثة: مصر والكوفة والبصرة في موسم الحج، وأن يغادروا بلادهم مع الحجاج، وأن يكونوا في صورة الحجاج، وأن يعلنوا للآخرين أنهم خارجون للحج، فإذا وصلوا المدينة، تركوا الحجاج يذهبون إلى مكة لأداء مناسك الحج، واستغلوا فراغ المدينة من معظم أهلها ـ المشغولين بالحج ـ ليقوموا بمحاصرة

---

(١) انظر: الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص١٥٨ ـ ١٥٩) بتصرف.

عثمان، تمهيداً لخلعه أو قتله[١].

ـ خروج السبئية من الأمصار:

فلمَّا كَانَ شوال سنة خمس وثلاثين للهجرة خرج أهل مصر فِي أربع فِرَق، عَلَى أربعة أمراء: عبد الرَّحْمَن بن عَديس البَلَويّ، وكنانة بن بشر التَّجيبي، وسودان بن حُمرانِ السَّكوني، وقَتيرَةُ بن فُلان السَّكوني، وعلى هؤلاء الأمراء جميعاً الغافقي بن حَرْب العكّي، وعددهم ألف رجل، معهم عبد الله بن سبأ رئيسهم وزعيمهم.

وخرج أهل الْكُوفَة فِي أربع فرق، وعليها: زَيْد بن صُوحَانَ العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النَّضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، أحد بني عَامِر بن صعصعة، وعددهم كعدد أهل مصر ألف رجل، وعلى هؤلاء الأمراء جميعاً عَمْرو بن الأصم.

وخرج أهل الْبَصْرَة فِي أربع فِرَق أيضاً، وعلى الفِرَق: حكيم بن جَبَلَة العبدي، وذريحُ بن عبّاد العبدي، وبشرُ بن شريح القيسي، وابن المحرِّش بن عبد بن عَمْرو الحنفي، وعددهم كعدد أهل مصر، ألف رجل، وأميرهم جميعاً حُرقوص بن زهير السَّعدي، سوى من تلاحق بهم مِنَ الناس[٢].

كان عبد الله بن سبأ يسير مع هؤلاء مزهوّاً مسروراً بنجاح خطته اليهودية الشيطانية.

كان سبئيو مصر يريدون علي بن أبي طالب رضي الله عنه خليفة، وكان سبئيو الكوفة يريدون الزبير بن العوام رضي الله عنه خليفة، وكان سبئيو البصرة

---

(١) الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص١٥٩).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣٤٨/٤ ـ ٣٤٩) بتصرف.

يريدون طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه خليفة[١].

وهذا العمل منهم كان بهدف الإيقاع بين الصحابة رضي الله عنهم، وهو ما ذهب له الإمام الآجري حيث قال: «**وقد برَّأ الله عز وجل علي بن أبي طالب وطلحة والزبير رضي الله عنهم من هذه الفِرَق، وإنما أظهروا ليموّهوا على الناس وليوقعوا بين الصحابة، وقد أعاذ الله الكريم الصحابة من ذلك**»[٢].

ـ السبئية في المدينة:

دخل السبئيون إلى المدينة في شهر ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وحاصروا عثمان رضي الله عنه في بيته بعد أن زوَّروا كتاباً باسم عثمان قالوا فيه: أن عثمان كتب لواليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح يأمر بقتل من خرج من مصر؛ بل وقاموا بتزوير كتاب باسم علي وكتاب باسم السيدة عائشة رضي الله عنهم.

فقد ادعى السبئيون أنهم ألقوا القبض على رسول بعثه عثمان إلى واليه على مصر يأمره بقتل المتمردين من أهل مصر، إن هم وصلوا إليه، وهذه أول كذبة؛ لأن والي عثمان في مصر وهو عبد الله بن سعد بن أبي السرح، كان قد استأذن عثمان أن يركب إليه إلى المدينة، بعدما سمع ما سمع، فأذن له عثمان؛ أي: في ذلك الوقت كان والي عثمان في طريقه إلى المدينة.

وهذا يبين أن السبئيين قاموا باستئجار رجل كانت مهمته إثارة شكوك العائدين حوله وذلك بالتعرض لهم تارة، ثم مفارقتهم تارة أخرى، وهذا ما أراده مستأجرو هذا الرجل لتمثيل هذا الدور؛ وذلك

---

(١) الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص١٦٠).

(٢) عثمان بن عفان، علي محمد الصلابي (ص٣٧٢ ـ ٣٧٣).

ليشد الأنظار إليه، ولما سألوه عن حاله قال: أنا رسول أمير المؤمنين ـ يقصد عثمان ـ إلى عامله على مصر، ففتَّشوه، فإذا هو بالكتاب المفترى على عثمان، ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور صادراً عن عثمان أو أحد ولاته؛ لأنه لا مصلحة له في تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله، وإنما المصلحة للدعاة الأولين إلى إحداث الشغب، ومنهم الأشتر وحكيم بن جبلة اللذان لم يرجعا مع جماعتهما إلى بلديهما؛ بل تخفيا في المدينة لأجل التدبير لإيقاع الفتنة من جديد.

الأمر الأخر الذي يثير الاستغراب والعجب: أن قوافل العراقيين التي كانت متباعدة في الشرق عادت معاً إلى المدينة في آنٍ واحد؛ أي: أن قوافل العراقيين التي كانت بعيدة بمراحل عن قوافل المصريين علمت بقصة رسول عثمان ـ المنسوب له كذباً وزوراً ـ بنفس الوقت الذي حدثت فيه القصة مع المصريين فرجعت فوراً إلى المدينة ووصلت إليها بنفس الوقت مع المصريين. ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين، استأجروا راكباً آخر خرج من المدينة معه قاصداً قوافل العراقيين ليخبرهم بأن المصريين اكتشفوا الكتاب، فقال لهم علي: **«كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة»** يشير كرَّم الله وجهه إلى تخلف الأشتر وحكيم في المدينة، وأنهما هما اللذان دبَّرا هذه المسرحية. قال الخارجون من العراقيين: **«فضعوه على ما شئتم. لا حاجة لنا إلى هذا الرجل. ليعتزلنا»** وهذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مفتعلة، وأن الغرض الأول والأخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان وسفك دمه الذي عصمه الله بشريعة رسوله ﷺ[1].

(١) انظر: العواصم من القواصم، ابن العربي (ص١٣٣) بتصرف.

ـ تزوير الكتب على عثمان وعلي وعائشة رضي الله عنهم:

ثم إن السبئيين ذهبوا إلى علي رضي الله عنه وقالوا له: ألم تر إلى عدو الله ـ يقصدوا عثمان رضي الله عنه ـ كتب فينا بكذا؟ وقد أحل الله دمه، قالوا له: فقم معنا إليه، قال: **والله لا أقوم معكم،** قالوا له: فلم كتبت إلينا؟ قال: **والله ما كتبت إليكم**. فنظر بعضهم إلى بعض[(١)].

وهذه الرواية تبين أن الخارجين على عثمان ينقسمون إلى **قسمين**:

١ ـ رؤساء خادعين على درجات متفاوتة.

٢ ـ مرؤسين مخدوعين، وهم الكثرة التي بثت فيها دعايات مغرضة حتى ظنت هذه الفئة أن هنالك منفيِّين ومظلومين ومحرومين سلبوا حقهم.

ولما ذهبوا إلى عثمان قالوا له: كتبت فينا كذا. قال لهم: «**إما أن تقيموا اثنين من المسلمين**[(٢)]**، أو يميني**»، فلم يقبلوا ذلك منه، ونقضوا عهده، وحصروه[(٣)].

وأما بالنسبة للسيدة عائشة رضي الله عنها فقد نسبوا إليها كتاباً تهيج فيه الصحابة على قتل عثمان رضي الله عنه.

فَعَنْ أُمِّ الْحَجَّاجِ الْعَوْفِيَّةِ قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَدَخَلَ عَلَيْهَا الْأَشْتَرُ، وَعُثْمَانُ رضي الله عنه مَحْصُورٌ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَقُولِينَ فِي قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ[(٤)]؟ قَالَتْ: فَتَكَلَّمَتِ امْرَأَةٌ بَيِّنَةُ اللِّسَانِ صَيِّتَةٌ فَقَالَتْ: «**مَعَاذَ اللهِ أَنْ آمُرَ بِسَفْكِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَقَتْلِ إِمَامِهِمْ وَاسْتِحْلَالِ حُرْمَتِهِمْ**». فَقَالَ الْأَشْتَرُ: كَتَبْتِنَّ إِلَيْنَا حَتَّى إِذَا قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ انْسَلَلْتِنَّ مِنْهَا. قَالَ

---

(١) انظر: العواصم من القواصم، ابن العربي (ص١٣٤ ـ ١٣٥) بتصرف.

(٢) أي: يشهدوا على صدق ادعائكم.

(٣) العواصم من القواصم، ابن العربي (ص١٣٥ ـ ١٣٦).

(٤) يقصد عثمان رضي الله عنه.

أَبُو وَكِيعٍ: فَسَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَزِيدُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها حَلَفَتْ يَوْمَئِذٍ بِيَمِينٍ مَا حَلَفَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا قَالَتْ: **«وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ مَا كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ حَتَّى قَعَدْتُ مَقْعَدِي هَذَا»**[1].

وفي رواية أخرى: عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَ: قَالَتْ: **«حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ تَرَكْتُمُوهُ كَالثَّوْبِ النَّقِيِّ مِنَ الدَّنَسِ، ثُمَّ قَرَّبْتُمُوهُ فَذَبَحْتُمُوهُ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ هَذَا»**، قَالَ: فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: أَنْتِ كَتَبْتِ إِلَى أُنَاسٍ تَأْمُرِينَهُمْ بِالْخُرُوجِ؟ قَالَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: **«لَا، وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ، مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ بِسَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا»**، قَالَ الْأَعْمَشُ: فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى لِسَانِهَا[2].

يقول الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ): **«وَفِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ، قَبَّحَهُمُ اللهُ، زَوَّرُوا كُتُباً عَلَى لِسَانِ الصَّحَابَةِ إِلَى الْآفَاقِ، يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى قِتَالِ عُثْمَانَ»**[3].

ـ استمرار الحصار والتزام الناس بيوتها:

بعد حصار الخوارج للمدينة بالعموم ولعثمان بن عفان رضي الله عنه في بيته

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة، أمر عائشة رضي الله عنها (٤/ ١٢٢٤ ـ ١٢٢٥). واللفظ له. وأبو بكر الخلال في السُّنَّة، خلافة عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه (٢/ ٣٣٩)، ح(٤٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفضائل، ما ذكر في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٦/ ٣٦٣)، ح(٣٢٠٥١). واللفظ له. وابن شبة في تاريخ المدينة، أمر عائشة رضي الله عنها (٤/ ١٢٢٥).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٣٤٠).

بالخصوص، لزم الناس بيوتهم، وكان عدد الرجال في المدينة قليلاً؛ لأنَّ معظمهم كانوا مجاهدين في جبهات القتال، أو دعاةً في البلاد المفتوحة، وكثيرٌ ممن بقي في المدينة ذهبوا إلى أداء مناسك الحج. فكان عدد الرجال في المدينة أقل من الخوارج المحاصرين لها.

وفي أواخر شهر ذي القعدة لم يتمكن عثمان من الخروج للحج، وكان يحج كل سنة، أما في هذه السنة فإن السبئيين قد احتلوا المدينة، وحاصروه في داره. لذلك استدعى عثمان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكلَّفه أن يحجَّ بالناس هذا الموسم.

فقال له ابن عباس: دعني أكن معك وبجانبك يا أمير المؤمنين، في مواجهة هؤلاء، فوالله إن جهاد هؤلاء الخوارج أحبُّ إليَّ من الحج.

قال له عثمان: عزمتُ عليك أن تحجَّ بالمسلمين.

فلم يجد ابن عباس أمامه إلا أن يطيعَ أمير المؤمنين.

وكتب عثمان كتاباً مع ابن عباس، ليُقرأ على المسلمين في الحج، بيَّن فيه قصته مع الخوارج عليه، وموقفه منهم، وطلباتهم منه.

ـ عثمان يكتب إلى أهل الأمصار:

ومع دخول شهر ذي الحجة أدرك عثمان أن هؤلاء السبئيين لا يريدون مغادرة المدينة، فكتب كتاباً إلى المسلمين في الشام والكوفة والبصرة، يطلب منهم المددَ والقدوم للمدينة، ليطردوا عنها الخوارج السبئيين، وكان مما قاله عثمان في كتابه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، أما بعد:

فإن الله عز وجل بعثَ محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، بشيراً ونذيراً، فبلَّغَ عن الله ما أمره به، ثم مضى، وقد قضى الذي عليه، وخلَّف فينا كتابه، فيه حلاله

وحرامه، وبيانُ الأمور التي قدَّرها، فأمضاها، على ما أحبَّ العبادُ وكرهوا، فكان الخليفة أَبُو بَكْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ أدخلت فِي الشورى عن غير علم وَلا مسألة عن ملأ من الأمة، ثُمَّ أجمع أهل الشورى عن ملأ مِنْهُمْ ومن الناس عليَّ، عَلَى غير طلب مني وَلا محبة، فعملت فِيهِمْ مَا يعرفون وَلا ينكرون، تابعاً غير مستتبع، متَّبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلف.

فلما انتهت الأمور، وانتكث الشر بأهله، بدت ضغائن وأهواء عَلَى غير إجرام وَلا ترة فِيمَا مضى إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة وَلا عذر، فعابوا عليَّ أشياء مما كَانُوا يرضون، وأشياء عن ملأ من أهل الْمَدِينَة لا يصلح غيرها، فصبرت لَهُمْ نفسي وكففتها عَنْهُمْ منذ سنين وأنا أَرَى وأسمع، فازدادوا عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ جرأة، حَتَّى أغاروا علينا فِي جوار رسول الله ﷺ وحَرَمه وأرض الهجرة، وثابت إِلَيْهِم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا مَا يظهرون، فمن قدر عَلَى اللحاق بنا فليلحق)[1].

ـ خروج أهل الأمصار لمناصرة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ولما وصلَ الكتابُ للمسلمين في الأمصار، تأثروا به، وعجبوا من جرأة الخوارج المشاغبين، وهبّوا لنجدة خليفتهم، وإنقاذهِ من الحصار، فأرسل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جيشاً من الشام، بقيادة حبيب بن مسلمة الفِهري. وأرسل عبد الله بن سعد جيشاً من مصر، بقيادة معاوية بن خديج السكونيّ. وقام الصحابة في الكوفة، يحضّون أهلها على الخروج لنجدة عثمان، وكان بعض التابعين من أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يقومون بنفس الأمر مثل: مسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد،

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/٣٥١ ـ ٣٥٢).

وشريح بن الحارث، وعبد الله بن عكيم. حيث كان يطوف هؤلاء الصحابة والتابعون في طرق الكوفة وعلى مجالس أهلها ويقولون لهم: أيها الناس: إن الكلام اليوم وليس غداً، وإن النظر يحسُنُ اليوم، ويقبحُ غداً، وإن القتالَ يحلُّ اليوم ويحرمُ غداً، انهضوا إلى خليفتكم، وعصمة أمركم.

وسارت الجيوش من مصر والشام والكوفة والبصرة لنجدة عثمان، لكنَّ قَدَرَ الله كان أسبق من نجدتهم.

ـ اقتحام الخوارج بيت عثمان رضي الله عنه:

إذ أن الخوارج السبئيين لما علموا بمسير الجيوش، خافوا على أنفسهم، فعجَّلوا بتنفيذ مؤامرتهم، وقاموا باقتحام بيت عثمان وهو جالس في بيته صائماً يقرأ القرآن، وكان بعض رجال المدينة من الصحابة وغيرهم يقومون بحراسة عثمان رضي الله عنه، وبدأ القتال بينهم وبين السبئيين الخوارج، فكان أول شهيد على باب دار عثمان هو **المغيرة بن الأخنس**، حيث قتله رجلٌ **ليثي من بني ليث**، فلما قتله ندم فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له **عبد الرحمٰن بن عُديس** وهو أحد زعماء الخوارج لِلَّيثي: ما لك؟

قال: إني أُتيتُ فيما يرى النائم، فقيل لي: بشِّر قاتلَ المغيرة بن الأخنس بالنار! فابتُليتُ أنا بقتله.

وقَتَل **قُبَاثٌ الْكِنَانِيُّ نِيَارَ بْنَ عَبْدِ الله الأَسْلَمِيَّ**، فكان الأسلمي هو الشهيد الثاني على باب دار عثمان.

ـ عثمان رضي الله عنه يأمر المدافعين عنه بالعودة إلى منازلهم:

ولما رأى عثمان رضي الله عنه جثتي الشهيدين حزن وتألَّم، وأقسم على

الرجال المدافعين عنه أن يتوقَّفوا عن القتال، وأن يغمدوا سيوفهم، وأن يعودوا إلى منازلهم.

وكان لا بدَّ من أن ينفِّذوا الأمر، فغادروا الدار جميعاً وعادوا إلى منازلهم، وكان آخر من غادر الدار هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، حيث أرسلَ معه عثمانُ وصيَّته.

ـ اللحظات الأخيرة في حياة عثمان رضي الله عنه:

بقي عثمان رضي الله عنه محاصراً وحده داخل الدار، مع أهله وخدمه. وجاء يوم الجمعة، الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة، وقد مضى على حصار عثمان أربعون يوماً كاملة.

أصبح عثمان يوم الجمعة صائماً، وهو يوقن أنه قد دنا أجله، وأن القوم قاتلوه، فأقبل على قراءة القرآن، ليلقى الله صائماً قارئاً.

دخل السبئيون على بيت عثمان، فأقبل عليه أحدهم ليقتُلَه، **وقال لعثمان**: اخلع نفسَك من الخلافة وسوفَ ندعُك ونتركُك.

فقال له عثمان: ويحك، والله ما كشفتُ امرأةً في جاهلية ولا إسلام، ولا تَغَنَّيْتُ ولا تَمَنَّيْتُ، والله ما وضعت يميني على عورتي منذُ بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولست خالعاً قميصاً[1] كسانيه الله عز وجل، وأنا على مكاني هذا، حتى يُكرمَ الله أهل السعادة، ويُهينَ أهلَ الشقاء.

فكفَّ الرجل يده عن عثمان، وخرج إلى الخوارج، فقالوا له: ماذا صنعت؟ ولماذا لم تقتله؟

فقال لهم: لقد وقعْنا والله في مشكلة لا حلَّ لها، والله ما ينْجينا من الناس إلا قتله، ووالله لا يحلُّ لنا قتلُه ولا أدري ماذا نفعل.

---

(١) يقصد الخلافة.

فأدخل السبئيون رجلاً آخر لقتله.

فقال له عثمان: من أين أنت؟

قال: أنا ليثي.

قال له: وكيف؟ ألست أنت الذي دعا لك رسول الله ﷺ يوم كذا وكذا، وأنت في نفر من أصحابك؟

قال: بلى.

قال: اذهبْ، ولا تُضيِّع دعاءَ رسول الله ﷺ.

فرجع الرجل وندم، وفارق القوم السبئيين.

فأدخلوا عليه رجلاً من قريش.

فقال الرجل: يا عثمان، إني قاتلك.

قال عثمان: كلا يا فلان، لن تقتلني.

قال: وكيف؟

قال عثمان: إن رسول الله ﷺ استغفر لك يوم كذا وكذا، فلن تُقارف دماً حراماً.

فاستغفر الرجل وندم على ذلك ورجع، وفارق القوم.

وكان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر، **فقال له عثمان:** ويلك! أعلى الله تغضب! ماذا فعلتُ بك؟ لقد ارتكبتَ جرماً فأقمتُ عليك حكم الله.

فندم محمد بن أبي بكر، وخرج من الدار[1].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/٣٨٩ ـ ٣٩١). والخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص١٨٤ ـ ١٨٧) بتصرف.

وفي رواية أخرى: أَنَّهُ[1] اسْتَحْيَى وَرَجَعَ حِينَ قَالَ لَهُ عُثْمَانُ: لَقَدْ أَخَذْتَ بِلِحْيَةٍ كَانَ أَبُوكَ يُكْرِمُهَا. فَتَذَمَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَغَطَّى وَجْهَهُ وَرَجَعَ وَجَاحَفَ دُونَهُ فَلَمْ يُفِدْ، وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً[2].

تعجب قادة الخوارج من نكوص القوم عن قتل عثمان، ومن دخولهم إليه ثم خروجهم نادمين من عنده.

عندها قرر ثلاثة من قادة السبئيين وشياطينهم، أن يدخلوا عليه جميعاً، وأن يقتلوه معاً.

وكان الوقت بعد عصر يوم الجمعة، وعثمان صائم، وجالسٌ وأمامه المصحف يقرأ فيه.

ـ كيف قَتِلَ عثمان رضي الله عنه؟ ومن قَتَلَهُ؟

دخل عليه الغافقيُّ بن حرب العكّي أميرُ الخوارج، وسودان بن حمران السَّكوني، وقَتيرة بن فُلان السَّكوني.

فضرب الغافقي عثمان بحديدة كانت معه، وضرب المصحف الذي أمام عثمان برجله، فاستدارَ المصحف واستقرَّ بين يدي عثمان. وسال الدمُ من وجه عثمان بسبب ضرب الغافقيِّ بن حرب له، واستقرَّتْ قطرات من دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧].

وجاء سودانُ بن حمران السَّكوني، وأهوى بسيفه على عثمان، فدافعت عنه زوجته «نائلة بنتُ الفَرافِصة»، واتَّقت السيف بيدها، فضربها

---

(١) أي محمد بن أبي بكر.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/٣٠٨).

سودان بالسيف، فقطع أصابع يدها، فذهبت والدمُ يسيل من أصابعها المقطوعة. فغمزَ سودانُ أوراكها، وقال: إنها لكبيرةُ العجيزة.

وضرب سودانُ بن حمران عثمان بسيفه عدة ضربات فقتَلَه.

ولما رأى أحدُ غلمان عثمان الأمر، راعَه قتلُ عثمان، وكان يسمى «نجيح» فهجمَ نجيحٌ على سودان بن حمران بسيفه فقتله.

ولما رأى قتيرةُ بن فلان السكوني نجيحاً قد قتل سودان، هجم على نجيح فقتله.

وهجم غلامٌ آخر لعثمان اسمه «صبيح» على قتيرة بن فلان فقتله.

فصار في البيت أربعةُ قتلى، شهيدان ومجرمان.

ولما تم قتل عثمان رضي الله عنه نادى منادِ السبئيين قائلاً: إنه لم يحلّ لنا دم الرجل ويحرم علينا ماله. ألا إن ماله حلال لنا، فانهبوا ما في البيت.

وهجم أحدُ السبئيين، ويدعى كلثوم التجيبي على امرأة عثمان «نائلة»، ونهب الملاءة التي عليها، ثم غمزَ وركها، وقال لها: ويح أمك، من عجيزةٍ ما أتمك.

فرآه غلامُ عثمان «صبيح»، وسمعه وهو يتكلم في حق نائلة هذا الكلام الفاحش، فعلاه بالسيف فقتله.

وهجم أحد السبئيين على الغلام فقتله.

ـ أعداد وأسماء الشهداء والقتلى في بيت عثمان رضي الله عنه:

وهكذا أغلق بيت عثمان رضي الله عنه على ستة قتلى.

ثلاثة شهداء وهم: عثمان، وغلاماه نَجيح وصبيح.

وثلاثة مجرمين وهم: سودان وقتيرة وكلثوم التجيبي.

وكان قد استشهد من قبل في الدفاع عن عثمان وهم: المغيرة بن الأخنس، ونيار بن عبد الله الأسلمي.

ـ تاريخ استشهاد عثمان رضي الله عنه:

كان استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه قبل غروب شمس يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين للهجرة، وذلك بعد أن حاصره الخوارج السبئيون من مصر والكوفة والبصرة أربعين يوماً، من الثامن من شهر ذي القعدة، وحتى الثامن عشر من شهر ذي الحجة.

وكانت خلافته رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً؛ لأنه بويع بالخلافة في بداية شهر محرم سنة أربع وعشرين للهجرة.

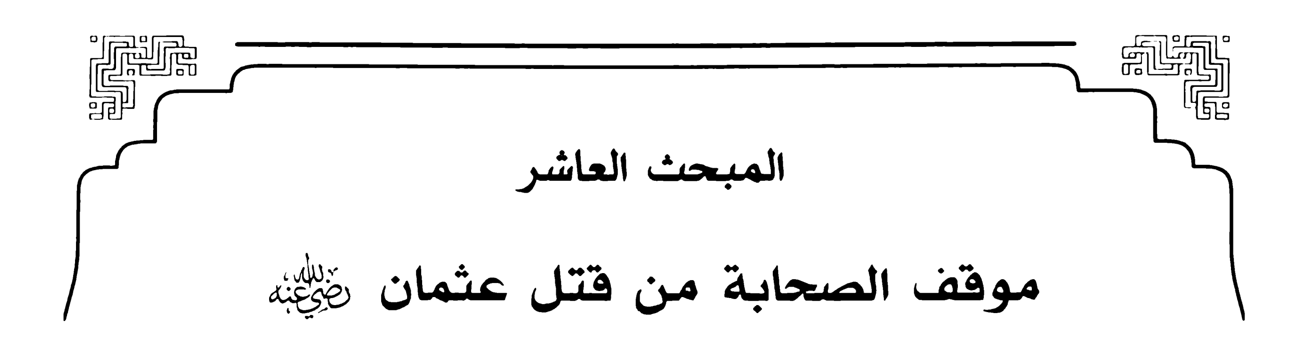
وكان عمره عند استشهاده حوالي ثلاث وثمانين سنة رضي الله عنه[١].

ـ تجهيزه ودفنه:

وقام نفر من الصحابة في يوم قتله بغسله وتكفينه وحَمْلِهِ، منهم: حكيم بن حزام، وحويطب بن عبد العزى، وأبو الجهم بن حذيفة، وجبير بن مطعم، والزبير بن العوام، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم وجماعة من الصحابة والنساء، منهم: امرأتاه نائلة وأم البنبن بنت عتبة بن حصين، وصلَّى عليه الزبير بن العوام رضي الله عنه، ومن ثم قاموا بدفنه ليلاً في أرضٍ كان قد اشتراها عثمان رضي الله عنه فوسع بها البقيع، وكان دفنه بين المغرب والعشاء، رضي الله عنه وأرضاه.



(١) انظر: الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص١٨٤ ـ ١٩٠) بتصرف.



المبحث العاشر

موقف الصحابة من قتل عثمان رضي الله عنه

في قراءة هذه الأحداث الأليمة، التي مرت على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، قد يطرح البعض أسئلة على ذلك، منها سؤالان اثنان **هما**:

السؤال الأول: **أين كان الصحابة رضي الله عنهم والسبئيون يحاصرون بيت الخليفة؟**

والجواب: لقد كان عثمان رضي الله عنه إزاء هذه الأحداث الخطيرة التي ألمَّت به المثل الأعلى في التضحية والفداء، فلقد كان قادراً على أن يفدي نفسه بدماء الصحابة وأبناء الأمة من أهل المدينة وغيرها؛ بل ما كان يحتاج أكثر من أن يتقبل رجاءهم له بأن يسمح لهم بالدفاع عنه وأن يقدموا أرواحهم ودماءهم بين يديه، ولكن عثمان رضي الله عنه رفض ذلك، ولم يأذن للصحابة بذلك والأدلة على ذلك كثيرة نسوق منها على سبيل الذكر لا الحصر هذه الروايات:

١ ـ **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه:

أَرْسَلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه إِلَى عُثْمانَ رضي الله عنه: **إِنَّ مَعِي خَمْسَمِائَةِ دَارِعٍ فَأْذَنْ لِي فَأَمْنَعْكَ مِنَ الْقَوْمِ، فَإِنَّكَ لَمْ تُحْدِثْ شَيْئاً بَعْدَ التَّوْبَةِ يُسْتَحَلُّ بِهَا دَمُكَ**. فَقَالَ: «**جُزِيتَ خَيْراً، مَا أُحِبُّ أَنْ يُهْرَاقَ دَمٌ بِسَبَبِي**». قَالَ: وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بِمِثْلِهَا. فَقَالَ: «**مَا أُحِبُّ أَنْ يُهَرَاقَ دَمٌ فِي سَبَبِي**»(١).

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٤/١١٤٩).

٢ ـ أبو هريرة رضي الله عنه:

عَن أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: قلت لعُثْمَان الْيَوْم طَابَ الضَّرْب[١] مَعَك، قَالَ: «**أعزم عَلَيْك لتخْرجن**»[٢]. وفي رواية الذهبي: فقلت[٣]: طاب الضرب، فقال: «**أَيَسُرُّكَ أن يقتل الناس جميعاً وأنا معهم**»؟ قلت: لا، قال: «**فإنك إن قتلت رجلاً واحداً، فكأنما قتلت الناس جميعاً**»، فانصرفتُ ولم أقاتل[٤].

٣ ـ زيد بن ثابت رضي الله عنه:

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: هَذِهِ الْأَنْصَارُ بِالْبَابِ، قَالُوا: إِنْ شِئْتَ أَنْ نَكُونَ أَنْصَاراً لله مَرَّتَيْنِ[٥]، قَالَ: «**أَمَّا قِتَالٌ فَلَا**»[٦].

٤ ـ الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان[٧] رضي الله عنهم:

عَن مُحَمَّد بْن سِيرِين قَالَ: انْطلق الْحسن وَالْحُسَيْن وَابْن عُمَر وَابْن

---

(١) أي: حلَّ القتال معك.

(٢) أخرجه ابن خياط في تاريخه (ص١٧٣). وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/ ٥٠٢).

(٣) أي: أبو هريرة رضي الله عنه.

(٤) تاريخ الإسلام، الذهبي (٢/ ٢٤٢).

(٥) يقصد بذلك أنهم مرة نصروا النبي ﷺ، ومرة ينصرون فيها أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ما جاء في خلافة عثمان وقتله (٧/ ٤٤٢)، ح(٣٧٠٨٢). وابن سعد في الطبقات، ذكر ما قيل لعثمان في الخلع، وما قال لهم (٣/ ٧٠). والذهبي في تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٢). ونعيم بن حماد في الفتن (ص١٧٣).

(٧) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أبو عبد الملك القرشي، الأموي. وقيل: يكنى: أبا القاسم، وأبا الحكم. مولده: بمكة، وهو أصغر من ابن الزبير بأربعة أشهر. من كبار التابعين. توفي سنة (٦٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/ ٤٧٩ ـ ٤٨١) بتصرف.

الزبير ومروان كلهم شاكي[١] السِّلَاح، حَتَّى دخلُوا الدَّار فَقَالَ عُثْمَان: **«أعزم عَلَيْكُم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بُيُوتكُمْ»**[٢].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ: اخْرُجْ فَقَاتِلْهُمْ، فَإِنَّ مَعَكَ مَنْ قَدْ نَصَرَ اللهُ بِأَقَلَّ مِنْهُ، وَالله إِنَّهُ لَحَلَالٌ، قَالَ: فَأَبَى[٣].

٥ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: كُنْتُ مَعَ عُثْمَانَ رضي الله عنه فِي الدَّارِ فَقَالَ: **«أَعْزِمُ عَلَى كُلِّ مَنْ رَأَى أَنَّ لِيَ عَلَيْهِ سَمْعاً وَطَاعَةً إِلَّا كَفَّ يَدَهُ وَسِلَاحَهُ، فَإِنَّ أَفْضَلَكُمْ عَنِّي غَنَاءً مَنْ كَفَّ يَدَهُ وَسِلَاحَهُ»**[٤].

يقول القاضي أبو بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ): إن عثمان مظلوم، محجوج بغير حجة. وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم؛ لأنهم أتوا إرادته، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه[٥].

وهذه الروايات وغيرها تبين موقف الصحابة مما حدث في هذه الفتنة، كما وتبين كذب الروايات التي يرويها أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره في أن البعض من الصحابة كان راضياً بقتل عثمان.

---

(١) أي: يحمل سلاحه.

(٢) أخرجه ابن خياط في تاريخه (ص١٧٤). والإمام الذهبي في تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٢). وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٣٩١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ما جاء في خلافة عثمان وقتله (٧/ ٤٤٢)، ح(٣٧٠٨٣).

(٤) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة، كراهة عثمان رضي الله عنه القتال ونهيه أصحابه عنه (٤/ ١٢٠٨). وابن سعد في الطبقات، ذكر ما قيل لعثمان في الخلع وما قال لهم (٣/ ٧٠). ونعيم بن حماد في الفتن (١/ ١٦٩)، ح(٤٤١). وابن خياط في تاريخه (ص١٧٣).

(٥) العواصم من القواصم، ابن العربي (ص١٤٥).

السؤال الثاني: **هل كان عثمان ﷺ عاجزاً عن الخروج إلى الشام أو مصر؟**

الجواب: لا؛ بل طُلِبَ منه الخروج؛ لكنه رفض. فقد عرض معاوية ﷺ لعثمان ﷺ أن يرحل إلى الشام، فإنهم قوم كثيرة طاعتهم للأمراء. فقال عثمان ﷺ: **لَا أَخْتَارُ بِجِوَارِ رَسُولِ الله ﷺ، سِوَاهُ**. فَقَالَ: **أُجَهِّزُ لَكَ جَيْشاً مِنَ الشَّامِ يَكُونُونَ عِنْدَكَ يَنْصُرُونَكَ؟** فَقَالَ: **إِنِّي أَخْشَى أَنْ أُضَيِّقَ بِهِمْ بَلَدَ رَسُولِ الله ﷺ، عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ**. قَالَ مُعَاوِيَةُ: **فَوَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَتُغْتَالَنَّ** ـ أَوْ قَالَ: **لَتُغْزَيَنَّ** ـ فَقَالَ عُثْمَانُ: **حَسْبِيَ الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**. وفي رواية أخرى قال عثمان: **إني لَا أبيع جوارَ رسول الله ﷺ بشيءٍ وإنْ كان فيه قطع خَيْطِ عُنُقي**(١).

الأسباب التي دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال:

١ ـ العمل بوصية رسول الله ﷺ التي سارّه بها، وبيَّنها عثمان ﷺ يوم الدار، وأنها عهدٌ عُهِدَ به إليه، وأنه صابر نفسه عليه.

٢ ـ ما جاء في قوله: «**لَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ خَلَفَ رَسُولَ الله ﷺ فِي أُمَّتِهِ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ**»(٢).

٣ ـ علمه أن البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يتوقى بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه.

٤ ـ علمه أن هذه الفتنة فيها قتله؛ وذلك فيما أخبره بها

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٢٦٧). وتاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٣٥٤). والكامل في التاريخ، ابن الأثير (٢/ ٥٢٨). وتاريخ دمشق، ابن عساكر (٣٩/ ٣٠٨). وتاريخ الإسلام، الذهبي (٢/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عثمان بن عفان ﷺ (١/ ٥١٩)، ح(٤٨١).

رسول الله ﷺ عند تبشيره إياه بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه سيقتل مصطبراً بالحق معطيه في فتنة، والدلالات تدل على أن أوانها قد حان، وأكد ذلك تلك الرؤيا التي رآها ليلة قتله، فقد رأى رسول الله ﷺ، وقال له: «**أَفْطِرْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ** ـ أَوْ ـ **إِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ**»[١]. **ففهم** رضي الله عنه أن موعد الاستشهاد قد قرب.

٥ ـ العمل بمشورة عبد الله بن سلام رضي الله عنه إذ قال له: «**الْكَفَّ الْكَفَّ، فَهُوَ أَبْلَغُ لَكَ فِي الْحُجَّةِ**»[٢].

وفيما تقدم يتبين هدوؤه في التفكير رضي الله عنه، وأن شدة البلوى لم تحل بينه وبين ذلك التفكير الصحيح، والرأي السليم، فقد تضافرت الأسباب لتحديد هذا الموقف المسالم في قتال الخارجين عليه، ولا شك أنه رضي الله عنه كان على الحق في مواقفه التي اتخذها، لما صح عن النبي ﷺ أنه أشار إلى وقوع الفتنة، وشهد لعثمان وأصحابه أنهم على الحق فيها[٣].

عقاب الله تعالى لقتلة عثمان رضي الله عنه:

١ ـ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ أَرْطَاةَ الْعَدَوِيَّةِ قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ عَائِشَةَ سَنَةَ قُتِلَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَمَرَرْنَا بِالْمَدِينَةِ وَرَأَيْنَا الْمُصْحَفَ الَّذِي قُتِلَ وَهُوَ فِي

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة، ذكر رؤيا عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤/ ١٢٢٧). وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم، ذكر تسبيل عثمان بن عفان رومة على المسلمين (١٥/ ٣٦٠)، ح(٦٩١٩). والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣/ ١١٠)، ح(٤٥٥٤). وقال عنه: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ما جاء في خلافة عثمان وقتله (٧/ ٤٤١)، ح(٣٧٠٨٠). وابن شبة في تاريخ المدينة، كلام عثمان رضي الله عنه وهو محصور (٤/ ١١٨٩). وابن سعد في الطبقات الكبرى، ذكر ما قيل لعثمان في الخلع، وما قال لهم (٣/ ٧١).

(٣) انظر: عثمان بن عفان، علي محمد الصلابي (ص٣٨٥ ـ ٣٨٦) بتصرف.

حِجْرِهِ، فَكَانَتْ أَوَّلُ قَطْرَةٍ قَطَرَتْ مِنْ دَمِهِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٧]، قَالَتْ عَمْرَةُ: **فَمَا مَاتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ سَوِيّاً**[(١)].

٢ ـ وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: كُنْتُ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي. وَمَا أَظُنُّ أَنْ تَغْفِرَ لِي. فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ الله مَا سَمِعْتُ أَحَداً يَقُولُ مَا تَقُولُ. قَالَ: كُنْتُ أَعْطَيْتُ الله عَهْداً إِنْ قَدَرْتُ أَنْ أَلْطِمَ وَجْهَ عُثْمَانَ إِلَّا لَطَمْتُهُ، فَلَمَّا قُتِلَ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي الْبَيْتِ وَالنَّاسُ يَجِيؤونَ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، فَدَخَلْتُ كَأَنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ خَلْوَةً فَرَفَعْتُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَلَطَمْتُهُ، وَسَجَّيْتُهُ، وَقَدْ يَبِسَتْ يَمِينِي. قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: **فَرَأَيْتُهَا يَابِسَةً كَأَنَّهَا عُودٌ**[(٢)].

٣ ـ وعن الْمُبَارَكِ بْنُ فَضَالَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ البصري يَقُولُ: **«مَا عَلِمْتُ أَحَداً أَشْرَكَ فِي دَمِ عُثْمَانَ** رضي الله عنه **وَلَا أَعَانَ عَلَيْهِ إِلَّا قُتِلَ»**[(٣)].

فالمتتبع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان رضي الله عنه المعتدين عليه يجد أن الله تعالى لم يمهلهم؛ بل أذلهم وأخزاهم وانتقم منهم، فلم ينج منهم أحد، وهو سبحانه حسبُ المؤمنين[(٤)].

ملحوظة مهمة:

لا بد من العلم أنه لم يشارك أحدٌ من صحابة النبي ﷺ في قتل عثمان رضي الله عنه، وإنما الذي شارك في قتله هم من السبئية والمنافقين؛ وقد

---

(١) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (١/ ٥٠١)، ح(٨١٧). وإسناده صحيح.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٣٢٦). وتاريخ دمشق، ابن عساكر (٣٩/ ٤٤٦).

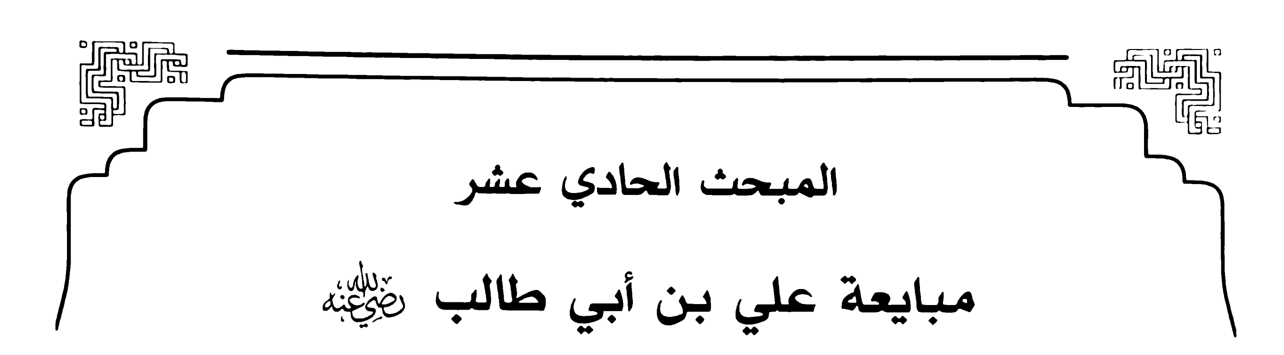
(٣) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة، قول حذيفة رضي الله عنه (٤/ ١٢٥٢).

(٤) الفتنة بين الصحابة، د. محمد حسان (ص١٦٤).

قال الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ): «وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ أَسْلَمَهُ وَرَضِيَ بِقَتْلِهِ، فَهَذَا لَا يَصِحُّ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ رَضِيَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ بَلْ كُلُّهُمْ كَرِهَهُ، وَمَقَتَهُ، وَسَبَّ مَنْ فَعَلَهُ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَوَدُّ لَوْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَمْرِ؛ كَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ وَغَيْرِهِمْ»[١].



(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٣٤٥).



المبحث الحادي عشر

مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه، استمر قادة السبئيين خمسة أيام، وهم يتصلون بكبار الصحابة ويطلبون من الواحد منهم أن يكون خليفة ليبايعوه.

وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يرفضون كلام السبئيين، ويردّونهم؛ بل كانوا يلعنونهم لإقدامهم على سفك دم عثمان رضي الله عنه.

وقد بقي على قيد الحياة خمسةٌ من الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وهم: علي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام رضي الله عنهما، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد رضي الله عنهم، بينما توفي الخمسة الآخرون وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنهم[(١)].

حاول السبئيون إقناع أحد الصحابة الخمسة بأخذ البيعة له، ولكن الجميع رفضوا، حتى أن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد كانا قد اعتزلا الفتنة، وأقام كل واحد منهما في أرض له بمنطقة «العَقيق» وهي منطقة قريبة من المدينة.

ـ السبئيون وأخذ البيعة لعلي رضي الله عنه:

بقيت المدينة خمسة أيام بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه من غير إمام؛

---

(١) الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص٢٠٦).

بل كان الغافقي قاتل عثمان هو الذي يقود أمر المسلمين؛ بل ويتقدم للصلاة في مسجد النبي ﷺ[١].

وفي اليوم السادس، وهو يوم الخميس الرابع والعشرون من ذي الحجة، قام السبئيون بجمع أهل المدينة ـ كرهاً ـ في المسجد. ولم يكن مع المجتمعين طلحة والزبير وسعد؛ لأنهم خرجوا إلى أراضيهم خارج المدينة.

وبعدما جمعوهم قالوا لهم: يا أهل المدينة: أنتم أهلُ الشورى، وأنتم أهلُ الحل والعقد في الأمة، وبرضاكم تنعقدُ الإمامة، وأمرُكم نافذٌ في الأمة، فاختاروا منكم رجلاً، وبايعوه أميراً للمؤمنين، ونحن نتابعكم ونوافقكم على من تختارون.

ثم هدَّدوا أهل المدينة قائلين: لقد أجَّلْناكم يومين لتختاروا الخليفة، والله لئن لم تختاروا الخليفة فيهما، لنقتلَنَّ عليّاً وطلحة والزبير، وأُناساً كثيرين منكم.

ـ طريقة مبايعة علي بالخلافة:

خاف أهل المدينة أن ينفِّذ الخوارج تهديدهم، فأتى بعضهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وطلبوا مبايعته أميراً للمؤمنين، فرفض الخلافة، وأشار عليهم بطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام . فعن عوف، قال: أما أنا فأشهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن عليّاً جاء فقال لطلحة: **ابسط يدك يا طلحة لأبايعك**، فقال طلحة: **أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك**، قال: فبسط علي يده فبايعه[٢] ثم انطلق علي

(١) انظر: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٣٢). والعواصم من القواصم، ابن العربي (ص١٢٢).
(٢) انظر: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٣٤).

وطلحة إلى الزبير، فقال له عليٌّ مثلما قال لطلحة؛ فقال له الزبير مثلما قال طلحة رضي الله عنهم.

فانطلق علي مع طلحة والزبير إلى المسجد واجتمع الناس وبايعوا علياً رضي الله عنه.

يقول القاضي أبو بكر بن العربي: «**فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى، علم أن الحق لا يترك الناس سُدى، وأنَّ الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النَّظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدراً وعلماً وتقًى وديناً. فانعقدت له[1] البيعة، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي لجرى على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضاً عليه، فانقاد إليه**»[2].

- روايات في موقف علي رضي الله عنه من مبايعته:

* عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيّاً رضي الله عنه يَوْمَ الْجَمَلِ[3] يَقُولُ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَقَدْ طَاشَ عَقْلِي يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ، وَأَنْكَرَتْ نَفْسِي وجَاؤونِي لِلْبَيْعَةِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ أَنْ أُبَايِعَ قَوْماً قَتَلُوا رَجُلاً قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»، وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ أَنْ أُبَايِعَ وَعُثْمَانُ قَتِيلٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُدْفَنْ بَعْدُ، فَانْصَرَفُوا، فَلَمَّا دُفِنَ رَجَعَ النَّاسُ فَسَأَلُونِي الْبَيْعَةَ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي مُشْفِقٌ مِمَّا أَقْدَمُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَتْ عَزِيمَةٌ[4] فَبَايَعْتُ فَلَقَدْ قَالُوا: يَا**

---

(١) أي: لعلي رضي الله عنه.

(٢) العواصم من القواصم، ابن العربي (ص١٤٦ ـ ١٤٧).

(٣) أي: يوم موقعة الجمل وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

(٤) أي: عزم عليَّ بعض الصحابة والمسلمين.

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَأَنَّمَا صُدِعَ قَلْبِي(١)**، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لِعُثْمَانَ حَتَّى تَرْضَى»**(٢).

* وعَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ(٣)، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه وَعُثْمَانُ مَحْصُورٌ، قَالَ: فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَقْتُولٌ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَقْتُولٌ السَّاعَةَ. قَالَ: فَقَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه. قَالَ مُحَمَّدٌ: فَأَخَذْتُ بِوَسَطِهِ تَخَوُّفاً عَلَيْهِ، فَقَالَ: «خَلِّ لَا أُمَّ لَكَ». قَالَ: فَأَتَى عَلِيٌّ الدَّارَ وَقَدْ قُتِلَ الرَّجُلُ رضي الله عنه، فَأَتَى دَارَهُ فَدَخَلَهَا وَأَغْلَقَ بَابَهُ، فَأَتَاهُ النَّاسُ فَضَرَبُوا عَلَى الْبَابِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا قُتِلَ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ خَلِيفَةٍ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَداً أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ. قَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ: «**لَا تُرِيدُونِي، فَإِنِّي لَكُمْ وَزِيرٌ خَيْرٌ مِنِّي لَكُمْ أَمِيرٌ**»، فَقَالُوا: لَا وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَداً أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ. قَالَ: **فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيَّ فَإِنَّ بَيْعَتِي لَا تَكُونُ سِرّاً، وَلَكِنْ أَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُبَايِعَنِي بَايَعَنِي**. قَالَ: فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَبَايَعَهُ النَّاسُ(٤).

* وفي رواية أخرى: عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ

---

(١) أي: لَّما سمعتهم يقولوا يا أمير المؤمنين.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، فضائل أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣/ ١٠١)، ح(٤٥٢٧). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٤). وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٥٠).

(٣) هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقال له: محمد ابن الحنفية نسبة لقبيلة أمه فقد كانت من بني حنيفة.

(٤) أخرجه أبو بكر الخلال في السُّنَّة، تثبيت خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢/ ٤١٥)، ح(٦٢٠). وأحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٥٧٣)، ح(٩٦٩). وابن شبة في تاريخ المدينة (٤/ ١٢٢٣) بلفظ قريب.

مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه، فَقَامَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَأَتَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ قُتِلَ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ، وَلَا نَجِدُ أَحداً أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ، أَقْدَمَ مَشَاهِداً وَلَا أَقْرَبَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «**لَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي وَزِيرٌ خَيْرٌ مِنِّي أَنْ أَكُونَ أَمِيراً**»، فَقَالُوا: لَا وَاللهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى نُبَايِعَكَ. قَالَ: «**فَفِي الْمَسْجِدِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي بَيْعَتِي أَنْ تَكُونَ خَفِيّاً، وَلَا تَكُونَ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**». قَالَ: فَقَامَ سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ: فَلَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُشْغَبَ عَلَيْهِ، وَأَبَى هُوَ إِلَّا الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا دَخَلَ جَاءَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَبَايِعُوا وَبَايَعَ النَّاسُ[١].

ومن الروايات المهمة ما رواه الإمام الذهبي، عَنِ الْحَسَنِ[٢] قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ الْبَصْرَةَ قَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكَوَّاءِ[٣]، وَقَيْسُ بْنُ عَبَّادٍ، فَقَالا لَهُ: أَلا تُخْبِرُنَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا[٤] الَّذِي سِرْتَ فِيهِ، تَتَوَلَّى عَلَى الأُمَّةِ، تَضْرِبُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، أَعَهْدٌ من رَسُول الله ﷺ عَهِدَهُ إِلَيْكَ[٥]، فَحَدِّثْنَا فَأَنْتَ الْمَوْثُوقُ الْمَأْمُونُ عَلَى مَا سَمِعْتَ، فَقَالَ: أَمَّا أَنْ يَكُونَ عِنْدِي عَهْدٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ فَلا، وَالله إِنْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَ بِهِ، فَلا أَكُونُ أَوَّلَ

---

(١) أخرجه أبو بكر الخلال في السُّنَّة، تثبيت خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢/٤١٦)، ح(٦٢٣). وابن جرير الطبري في تاريخه (٤/٤٢٧).

(٢) هو الحسن البصري رحمه الله.

(٣) هو عبد الله بن الكواء أحد زعماء الخوارج.

(٤) أي: مسيرك إلى البصرة.

(٥) أي: هل خروجك من المدينة إلى البصرة بوصية من رسول الله ﷺ لك؟ أم رأيك أنت حينما رأيت الأمة قد تفرقت واختلفت كلمتها بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ عِنْدِي مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ فِي ذَلِكَ، مَا تَرَكْتُ أَخَا بَنِي تَيْم بْنِ مُرَّةَ[١]، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُومَانِ عَلَى مِنْبَرِهِ، وَلَقَاتَلْتُهُمَا بِيَدِي، وَلَوْ لَمْ أَجِدْ إلا بُرْدِي هَذَا، وَلَكِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يُقْتَلْ قَتْلاً، وَلَمْ يَمُتْ فَجْأَةً، مَكَثَ فِي مَرَضِهِ أَيَّاماً وَلَيَالِيَ، يَأْتِيهِ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤَذِّنُهُ بِالصَّلاةِ، **فَيَأْمُرُ أَبَا بَكْرٍ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَهُوَ يَرَى مَكَانِي**[٢]، ثُمَّ يَأْتِيهِ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤَذِّنُهُ بِالصَّلاةِ، فَيَأْمُرُ أَبَا بَكْرٍ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَهُوَ يَرَى مَكَانِي، وَلَقَدْ أَرَادَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِ[٣] أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَى وَغَضِبَ وَقَالَ: «**أَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**[٤]، **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ**». فلمّا قبض الله نبيه، نظرنا فِي أمورنا، **فاخترنا لدُنيانا من رضيه نبيُّ الله لدِيننا**. وكانت الصلاة أصل الْإِسْلَام، وهي أعظم الأمر، وقوام الدّين.

فبايعنا أَبَا بَكْر، وكان لذلك أهلاً، لم يختلف عليه منا اثنان، ولم

---

(١) يقصد أبا بكر الصديق رضي الله عنه؛ أي: أن النبي ﷺ لو عهد لعلي رضي الله عنه بالخلافة أو الإمارة من بعده لما سمح علي لأحد بأن يتولاها أو يأخذها منه؛ لأنه أصبح مكلفاً بها من النبي ﷺ، وهذا لم يكن.

(٢) أي: لو أراد تكليفي بالإمامة في الصلاة لفعل لأنه يراني، ولكنه كلف أبا بكر بذلك.

(٣) وهي السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٤) المراد بأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ: صواحب جمع صاحبة والمراد أَنَّهنَّ مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن، ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع، فالمراد به واحد وهي عائشة فقط، كما أن صواحب صيغة جمع، والمراد زليخا فقط، ووجه المشابهة بينهما في ذلك أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة، ومرادها زيادة على ذلك وهو أن يَنْظُرْنَ إلى حسن يوسف ويعذرنها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به، وقد صرَّحت هي فيما بعد ذلك، فقالت: لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته، إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٢/ ١٥٣).

يشهد بعضنا على بعضٍ، ولم نقطع منه البراءة، فأدّيتُ إِلَى أبي بَكْر حقَّه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه فِي جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسَوْطي، فلمّا قُبِض، ولّاها عُمَر، فأخذ بسُنَّة صاحبه، وما يعرف من أمره، **فبايعْنا عُمَر، لم يختلف عليه مِنَّا اثنان**، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع البراءة منه. فأدّيت إلى عمر حقّه، وعرفت طاعته، وغزوت معه فِي جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزوا إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بِسَوْطي.

فَلَمَّا قُبِض تذكَّرت فِي نفسي قرابتي وسابقتي وسالفتي وفضلي، وأنا أظن أن لَا يَعْدِلَ بي، ولكنْ خشي أن لَا يعمل الخليفة بعده ذَنْباً إلّا لحِقَه فِي قبره، فأخرج منها نفسه وولده، ولو كَانَتْ محاباةً منه لآثر بها ولده فبرئ منها إِلَى رهطٍ من قريش ستّة، أَنَا أحدهم.

فَلَمَّا اجتمع الرهط تذكَّرت فِي نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي، وأنا أظن أن لَا يَعْدِلُوا بي، فأخذ عَبْد الرَّحْمَن مواثقنا على أن نسمع ونُطيع لمن ولّاه الله أمرَنا، ثُمَّ أخذ بيد ابن عَفَّان فضرب بيده على يده، فنظرت في أمري، **فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي**، وَإِذَا ميثاقي قد أَخَذَ لغيري، فبايعنا عثمان، فأدّيت له حقَّه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه فِي جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بِسَوْطي.

فلما أصيبَ نظرت فِي أمري، فإذا الخليفتان اللّذان أخذاها بِعَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ إليهما بالصلاة قد مضيا، وهذا الَّذِي قد أخذ له الميثاق، قد أصيب، فبايعني أَهْل الحرمين[١]، وأهل هذين المصرين[٢][٣].

---

(١) مكة والمدينة.

(٢) الكوفة والبصرة.

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي (٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٥).

وبذلك انعقدت البيعة لعلي رضي الله عنه، لما له من الفضل على من بقي من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلاماً، وأوفرهم علماً، وأقربهم بالنبي ﷺ نسباً، وأشجعهم نفساً، وأحبهم إلى الله ورسوله، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً، فكان رضي الله عنه متعيناً للخلافة دون غيره، وقد قام من بقي من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة بعقد البيعة به بالخلافة، فكان حينئذٍ إماماً حقاً وجب على سائر الناس طاعته، وحرم الخروج عليه ومخالفته[١].

ـ اختلاف الصحابة في طريقة الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه:

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، ثم من بعد ذلك بين علي ومعاوية رضي الله عنهم، لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين علي وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محلّ إجماع بينهم.

١ ـ قال أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) رحمه الله: **«وَلم يُنكر مُعَاوِيَة قطّ فضل عَليّ واستحقاقه الْخلَافَة لَكِن اجْتِهَاده أداه إِلَى أَن رأى تَقْدِيم أَخذ الْقود من قتلة عُثْمَان رضي الله عنه على الْبيعَة وَرَأى نَفسه أَحَق بِطَلَب دم عُثْمَان»**[٢].

٢ ـ قال أبو العباس أحمد بن تيمية الحرَّاني (ت٧٢٨هـ): **«وَمُعَاوِيَةُ لَمْ يَدَّعِ الْخِلَافَةَ؛ وَلَمْ يُبَايَعْ لَهُ بِهَا حَيْنَ قَاتَلَ عَلِيّاً، وَلَمْ يُقَاتِلْ عَلَى أَنَّهُ خَلِيفَةٌ، وَلَا أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْخِلَافَةَ، وَيُقِرُّونَ لَهُ بِذَلِك، وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ يُقِرُّ**

---

(١) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلَّابي (ص٢٢٧).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٤/ ١٢٤).

بِذَلِك لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْهُ، وَلَا كَانَ مُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ يَرَوْنَ أَنْ يَبْتَدُوا عَلِيّاً وَأَصْحَابَهُ بِالْقِتَالِ، وَلَا يَعْلُوَا...»[١].

ـ منشأ الاختلاف في الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه:

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحاً في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وإنما اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذاً كان أمير المؤمنين علي موافقاً من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان رأيه أن يرجئ الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة[٢].

وفي ذلك يقول الإمام النووي (٦٧٦هـ): وَاعْلَمْ أَنَّ سَبَبَ تِلْكَ الْحُرُوبِ[٣] أَنَّ الْقَضَايَا كَانَتْ مُشْتَبِهَةً، فَلِشِدَّةِ اشْتِبَاهِهَا اخْتَلَفَ اجتهادهم وصاروا **ثلاثة أقسام**:

١ ـ قسم ظهر لهم بِالِاجْتِهَادِ أَنَّ الْحَقَّ فِي هَذَا الطَّرَفِ وَأَنَّ مُخَالِفَهُ بَاغٍ فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ نُصْرَتُهُ وَقِتَالُ الْبَاغِي عَلَيْهِ فِيمَا اعْتَقَدُوهُ فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ التَّأَخُّرُ عَنْ مُسَاعَدَةِ إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

٢ ـ وَقِسْمٌ عَكْسُ هَؤُلَاءِ ظَهَرَ لَهُمْ بِالِاجْتِهَادِ أَنَّ الْحَقَّ فِي الطَّرَفِ الْآخَرِ فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مُسَاعَدَتُهُ وَقِتَالُ الْبَاغِي عَلَيْهِ.

٣ ـ وَقِسْمٌ ثَالِثٌ اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمُ الْقَضِيَّةُ وَتَحَيَّرُوا فِيهَا وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٥/ ٧٢).

(٢) علي بن أبي طالب، علي محمد الصلّابي (ص٤٨٢ ـ ٤٨٣).

(٣) يقصد التي جرت بين الصحابة، موقعة الجمل وصفين.

تَرْجِيحُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ فَاعْتَزَلُوا الْفَرِيقَيْنِ وَكَانَ هَذَا الِاعْتِزَالُ هُوَ الْوَاجِبُ فِي حَقِّهِمْ لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ الْإِقْدَامُ عَلَى قِتَالِ مُسْلِمٍ حَتَّى يَظْهَرَ أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ وَلَوْ ظَهَرَ لِهَؤُلَاءِ رُجْحَانُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ وَأَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ لَمَا جَازَ لَهُمُ التَّأَخُّرُ عَنْ نُصْرَتِهِ فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ عَلَيْهِ فَكُلُّهُمْ مَعْذُورُونَ.

وَلِهَذَا اتَّفَقَ أَهْلُ الْحَقِّ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِهِ فِي الْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِ شَهَادَاتِهِمْ وَرِوَايَاتِهِمْ وَكَمَالِ عَدَالَتِهِمْ رضي الله عنهم[١].

إذاً بايع الناس عليّاً، وكان أول من بايع طلحة والزبير رضي الله عنه، وبعد البيعة بأيامٍ قليلة بدأ الخلاف.

ذهب طلحة والزبير رضي الله عنهما وبعض الصحابة الآخرين إلى علي رضي الله عنه، وقالوا له: عندما بايعناك اشترطنا إقامة الحدود، وهؤلاء القومُ الخوارج، قد اشتركوا في دم عثمان رضي الله عنه، ونريدُ منك إقامة الحدّ عليهم، فاعتذر علي وقال: «**إِنَّ هَؤُلَاءِ لَهُمْ مَدَدٌ وَأَعْوَانٌ**»[٢] **وهنا يبدأ الخلاف**. فكلٌّ له وجهة نظر، وكلٌّ له اجتهاده.

فقال لهم: **يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيفَ أصنعُ بقوم يملكوننا[٣] ولا نملكهم! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبيدكم، وثابت إليهم[٤] أعرابكم، وهم خلالكم[٥] يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون[٦]** **قالوا: لا**، قال لطلحة والزبير ومن معهم: **فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله، إن هذا**

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (١٥/١٤٩).
(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/٤٢٦).
(٣) يقصد علي أنهم يسيطرون على المدينة.
(٤) أي: انضمت إليهم.
(٥) أي: بينكم.
(٦) أي: هل تجدون مجالاً لتنفيذ ما تريدون.

الأمر أمر جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادة[١]، ولهم مدد يأتيهم من البلدان، ونحن تحت قوتهم.

إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها[٢] وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا[٣].

وانقسم الصحابة في المدينة إلى **قسمين**:

١ ـ قسمٌ يرى رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ أي: يرون التأجيل حتى تجتمع كلمة المسلمين وتقوى شوكتهم خلف علي رضي الله عنه.

٢ ـ وقسمٌ يرى الإسراع في إقامة الحدود عليهم، وعدم تأخير ذلك وتأجيله، مهما كانت النتائج.

وأمام إلحاح أصحاب الرأي الثاني، خرج علي في اليوم الثالث من خلافته على الناس، وقال لهم: «**أخرجوا عنكم الأعراب، الذين تجمعوا في المدينة**». وقال للأعراب: «**أيها الأعراب، الحقوا بمياهكم**».

ـ مكر الخوارج:

رفض الخوارج السبئيون هذا الأمر من علي أمير المؤمنين، واعتبروه خطّة منه، ليفرِّقَ عنهم الغوغاء والرعاع، وليتفرغ لهم، ويقتصَّ منهم.

وحثّ السبئيون الأعراب على عدم الانصراف، وحرضوهم على العصيان، فاستجابوا لهم.

---

(١) أي: قوة.

(٢) أي: تعود القلوب إلى أماكنها، وتزول هذه الغاشية.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٣٧).

ولما رأى عليّ عدم استجابة السبئيين والأعراب له، دخل بيته متأثراً، ودخل عليه بعد ذلك طلحة والزبير وبعض أصحاب النبي ﷺ. فقال لهم: «**أرأيتم؟ دونكم ثأركمُ فخذوا به، واقتلوا هؤلاء**»، فقالوا: لا نقدر.

ـ رأي طلحة والزبير:

ثم طلب منه طلحة والزبير أن يأذن لهما أن يذهب طلحة إلى البصرة والزبير إلى الكوفة ويأتيا بقوة يعيناه فيها على القضاء على الخوارج.

لكن أمير المؤمنين علي ﵁ قال لهما: «**أمهلاني حتى أنظر وأفكر فيما تقولان**».

ولما رأى طلحة والزبير بطء عليّ في معاقبة قتلة عثمان، عتبا عليه ولم يَرَيا رأيه، ولم يقبلا وجهة نظره، ثم بدا لهما أن يفارقاه، فاستأذنا منه في الذهاب إلى العمرة، فأذن لهما.

ـ خروج طلحة والزبير إلى مكة:

غادر طلحة والزبير المدينة، قاصدَيْن مكة؛ لأداء العمرة، وهناك قابلا أم المؤمنين عائشة ﵂، والتي كانت ما تزال في مكة، منذ أداء مناسك الحج.

ـ قميص عثمان وأصابع نائلة:

وقد كانت نائلة زوجة عثمان قد أرسلت قميص عثمان الذي قُتل فيه، ووضعت فيه أصابعها التي قُطعت، وهي تدافع عنه، إلى معاوية، وكان عاملاً لعثمان على بلاد الشام.

فما إن وصل القميصُ إلى معاوية حتى بكى بكاءً شديداً، وخرج بقميص عثمان إلى المسجد، وعلق قميص عثمان على المنبر، وعلق في القميص أصابع نائلة.

فما أن رأى المسلمون هذا المشهد أجهشوا بالبكاء، وطلبوا من معاوية أن يأخذ بالثأر لعثمان، والأخذ على يد من قتله، وإقامة الحد عليهم.

وهنا رفض معاوية رضي الله عنه أن يعطي البيعة لعلي رضي الله عنه حتى يقيم الحدَّ على قتلة عثمان رضي الله عنه أو يسلمهم إليه.

إذاً الخلاف هو متى يقام الحد على قتلة عثمان رضي الله عنه، بعد البيعة؟ أم قبل البيعة لعلي رضي الله عنهم.

ـ اجتهاد علي ومعاوية:

علي رضي الله عنه اجتهد فرأى أن يوحد الصف في الأمة ثم يقتص من قتلة عثمان، ومعاوية رأى أن القصاص أولاً حتى لا يتجرأ أحدٌ بعد ذلك على خليفة المسلمين، ثم يبايع علي بالخلافة.

إذاً كلاهما اجتهد، فأصاب عليٌّ في اجتهاده وأخطأ معاوية في اجتهاده، وكلاهما مأجور على ذلك؛ لأن هدف الاثنين هو من أجل هذه الأمة. وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[1].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٠٨/٩)، ح(٧٣٥٢). ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب، أو أخطأ (١٣٤٢/٣)، ح(١٧١٦).

ـ علي يقرر مقاتلة أهل الشام:

بعد رفض معاوية رضي الله عنه مبايعة علي رضي الله عنه جهز علي جيشاً لقتال أهل الشام، لخروجهم عليه وعدم طاعتهم له، وطلب من ولاته في البصرة والكوفة ومصر تجهيز الناس لقتال أهل الشام.

دخل الحسن بن علي رضي الله عنهما على أبيه ودعاه إلى التأني وعدم الإقدام على قتال أهل الشام، والرفق بهم، وكان رأي الحسن أنهم فيما بعد سيدخلون في طاعته، وذلك عندما يزول الإشكال، فرفض علي كلامه، كما رفض كلام الآخرين الذين أشاروا عليه بمثل ما أشار عليه ابنه الحسن.

ـ قرار عائشة وطلحة والزبير:

وقبل أن يتوجه علي لقتال أهل الشام، وصلته الأخبار من مكة، باجتماع طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم على مطالبة علي بالإسراع بمعاقبة القتلة، الذين هم الآن في جيشه، وأنهم سيخرجون إلى البصرة من أجل ذلك، فقرر علي رضي الله عنه تغيير طريقه والتوجه إلى البصرة.



المبحث الثاني عشر
معركة الجمل (سنة ٣٦هـ)

طلب طلحة والزبير رضي الله عنهما من السيدة عائشة رضي الله عنها أن تخرج معهما لحثِّ الناس على المطالبة بدم عثمان، وظن طلحة والزبير أن ذلك سيجعل الناس يلتفون حول السيدة عائشة رضي الله عنها مراعاة لحرمة نبيهم ﷺ؛ فهذه أم المؤمنين.

ـ خروج عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم إلى البصرة:

استقر رأي السيدة عائشة وطلحة والزبير على الخروج إلى البصرة؛ وذلك لأنه كان معهم في ذلك الوقت عبد الله بن عامر، وهو والي عثمان على البصرة.

وقد أخبرهم عبد الله بن عامر بأنَّ له من الأعوان في البصرة ما يستطيع أن يحمِّس بهم أهلها؛ للمطالبة بدم عثمان، فضلاً عن وجود معاوية رضي الله عنه في بلاد الشام.

يقول الزبير بن العوام رضي الله عنه مخاطباً بعض من سأله عن خروجهم إلى البصرة: «**قَالَ: ننهضُ بالنَّاس فندرك هذا الدم**[١] **لئلا يبطل، فإن فِي إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبداً، إذا لم يُفْطَم الناس عن أمثالها**[٢] **لم يبق إمام إلا قتله هَذَا الضرب**[٣]**، قَالَ: وَالله إن ترك هَذَا لشديد، وَلا**

(١) يقصد دم عثمان رضي الله عنه.
(٢) أي: أمثال هذه الفاجعة من الجرأة على قتل الخلفاء.
(٣) أي: هذا الصنف من الناس.

تدرون إِلَى أين ذَلِكَ يسير! فودع كل واحد منهما صاحبه، وافترقا ومضى الناس[١].

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: «**قُتِلَ وَالله عُثْمَانُ مَظْلُوماً، وَالله لأَطْلُبَنَّ بِدَمِهِ**»[٢].

هذا الكلام يبين الدافع الرئيس للصحابة للمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه. ومن أجل ذلك خرجوا.

أَعَدّوا لعائشة رضي الله عنها الجمل؛ لتركبه إلى البصرة، واسمه «عَسْكَر»، كان قد اشتراه يَعْلى بن أمية رضي الله عنه من اليمن، وقد سُمِّيت موقعة الجمل؛ لأن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت راكبة على جمل. وقد عرض على بعض أمهات المؤمنين الخروج مع السيدة عائشة رضي الله عنها إلى البصرة ولكنهنَّ رفضن ذلك.

- إخبار النبي ﷺ عن فتنة الجمل:

وقد أخبر النبي ﷺ عن هذه الفتن الواقعة، ومن هذه الروايات: عن قيس بن أبي حازم البجلي قال: لَمَّا بَلَغَتْ عَائِشَةُ بَعْضَ مِيَاهِ بَنِي عَامِرٍ لَيْلاً نَبَحَتِ الْكِلَابُ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: **أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟** قَالُوا: مَاءُ الْحَوْأَبِ[٣]، فَوَقَفَتْ فَقَالَتْ: **مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً**، فَقَالَ لَهَا طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ: **مَهْلاً رَحِمَكِ الله، بَلْ تَقْدُمِينَ فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ فَيُصْلِحُ الله ذَاتَ بَيْنِهِمْ**، قَالَتْ: **مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: كَيْفَ**

---

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٦١).

(٢) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٥٩).

(٣) **الحَوْأَب**: مَنْزل بَيْنَ مَكَّةَ والبَصْرة، وَهُوَ الَّذِي نَزَلَتْهُ عَائِشَةُ لمَّا جَاءَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي وقْعَة الجَمل. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١/ ٤٥٦).

بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ»[١].

بل إن النبي ﷺ ذكر هذه الحادثة للسيدة عائشة رضي الله عنها وذلك حين ذكر لها نباح كلاب الحوأب؛ فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ لِنِسَائِهِ: «**لَيْتَ شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب**[٢]، **تخرج كِلابُ حَوْأَبٍ؛ فَيُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا، وعَن يَسَارِهَا قَتْلاً كَثِيراً، ثُمَّ تَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ**[٣]»[٤].

لما وصلت السيدة عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ومن معهم إلى البصرة، وبلغ عثمان بن حُنَيف ـ وهو والي البصرة من قبل علي ـ بقدومهم، أرسل إليها يسألها عن سبب خروجها فكان جوابها: «**إِنَّ الْغَوْغَاءَ مِنْ أَهْلِ الأَمْصَارِ وَنُزَّاعَ الْقَبَائِلِ غَزَوْا حَرَمَ رَسُولِ الله ﷺ وَأَحْدَثُوا فِيهِ الأَحْدَاثَ، وَآوَوْا فِيهِ الْمُحْدِثِينَ، وَاسْتَوْجَبُوا فِيهِ لَعْنَةَ الله وَلَعْنَةَ رَسُولِهِ، مَعَ مَا نَالُوا مِنْ قَتْلِ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ بِلا تِرَةٍ وَلا عُذْرٍ، فَاسْتَحَلُّوا الدَّمَ الْحَرَامَ فَسَفَكُوهُ، وَانْتَهَبُوا الْمَالَ الْحَرَامَ، وَأَحَلُّوا الْبَلَدَ الْحَرَامَ، وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ، وَمَزَّقُوا الأَعْرَاضَ وَالْجُلُودَ، وَأَقَامُوا فِي دَارِ قَوْمٍ كَانُوا كَارِهِينَ لِمُقَامِهِمْ ضَارِّينَ مُضِرِّينَ، غَيْرُ نَافِعِينَ وَلا مُتَّقِينَ، لا يَقْدِرُونَ عَلَى امْتِنَاعٍ**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجمل، في مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير (٧/٥٣٦)، ح(٣٧٧٧١). وأحمد في مسنده، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما (٤٠/٢٩٨ ـ ٢٩٩)، ح(٢٤٢٥٤). والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة (٣/١٢٩)، ح(٤٦١٣). وابن حبان في صحيحه، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته (١٥/١٢٦)، ح(٦٧٣٢).

(٢) الأدبب: الكثيرُ وبَرِ الْوَجْهِ. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٢/٩٦).

(٣) أي: بعدما كادت أن تهلك.

(٤) أخرجه البزار في مسنده، مسند ابن عباس رضي الله عنهما (١١/٧٣)، ح(٤٧٧٧). وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجمل، في مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير (٧/٥٣٨)، ح(٣٧٧٨٥).

وَلا يأمنون، فَخَرَجْتُ فِي الْمُسْلِمِينَ أُعْلِمُهُمْ مَا أَتَى هَؤُلاءِ الْقَوْمُ وَمَا فِيهِ النَّاسُ وَرَاءَنَا، وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَأْتُوا فِي إِصْلاحِ هَذَا وقرأت: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ. . .﴾ [النساء: ١١٤]، **نَنْهَضُ فِي الإِصْلاحِ مِمَّنْ أَمَرَ اللهُ ﷻ وأمر رسول الله ﷺ، الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالذَّكَرَ وَالأُنْثَى؛ فَهَذَا شَأْنُنَا إِلَى مَعْرُوفٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَنَحُضُّكُمْ عَلَيْهِ، وَمُنْكَرٍ نَنْهَاكُمْ عَنْهُ، وَنَحُثُّكُمْ عَلَى تَغْيِيرِهِ»**(١)

ـ الاقتتال مع سبئية البصرة:

علم عثمان بن حنيف أنهم يريدون قتلة عثمان، فخرج إليهم ليمنعهم من دخول البصرة حتى يأتي أمير المؤمنين علي، وكان ممن خرج مع عثمان حكيم بن جبلة وهو أحد الذين شاركوا في قتل عثمان.

وقام حكيم بن جبلة بأخذ ٧٠٠ رجل وأنشبوا القتال بين الفريقين، وصار حكيم يشتم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويسبها، فنهاه أحد المسلمين عن ذلك فقتله.

نشبت المعركة بين الفريقين بفعل السبئيين من الصباح حتى الظهر، وسقط من الفريقين قتلى وجرحى، وكان النصر في نهاية المعركة حليفاً لجيش طلحة والزبير، وقد قتل فيها حكيم بن جبلة ومن معه من السبئية ولم ينج منهم إلا «**حُرْقوصُ بنُ زُهير السَّعْدي**» حيث هرب إلى قبيلته بني سعد، واحتمى بها، ولم ترض قبيلته تسليمه للقصاص، وقد انضم كثير من أهل البصرة إلى جيش عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم.

---

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٦٢).

ـ معاقبة من تبقّى من السبئية في البصرة:

وبعد هزيمة سبئيي البصرة أمام طلحة والزبير، نادى المنادي في البصرة: من كان فيكم في قبائلكم أحدٌ ممن غزا المدينة، وشارك في حصار عثمان وقتله، فأتونا به.

فصار أهل البصرة يأتون بهؤلاء الخوارج السبئيين، كما يُؤتى بالكلاب؛ فقتلوا جميعاً، وما نجا منهم أحد، إلا حُرقوص[١].

ـ خروج علي إلى الكوفة، وغايته في ذلك:

عند ذلك قرر علي رضي الله عنه الخروج من المدينة إلى الكوفة؛ وذلك لما سمع أنه وقع هنالك قتال بين عثمان بن حنيف وجيش السيدة عائشة رضي الله عنها. فلقيه عَبْد الله بن سلام فأخذ بعنان فرسه، وَقَالَ: **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لا تخرج منها، فو الله لَئِنْ خرجت منها لا ترجع إِلَيْهَا وَلا يعود إِلَيْهَا سلطان الْمُسْلِمِينَ أبداً**[٢] لكن علياً رضي الله عنه خرج وهو يقول: **إنما أريد الإصلاح**.

ودليل ذلك ما روي أنَّ علياً رضي الله عنه لَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنَ الرَّبَذَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ قَامَ إِلَيْهِ ابْنٌ لِرِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ بِنَا؟ فَقَالَ: **أَمَّا الَّذِي نُرِيدُ وَنَنْوِي فَالإِصْلاحَ، إِنْ قَبِلُوا مِنَّا وأجابونا إليه**، قال: فإن لم يجيبوا إِلَيْهِ؟ قَالَ: **نَدَعُهُمْ بِعُذْرِهِمْ وَنُعْطِيهِمُ الْحَقَّ وَنَصْبِرُ**، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَرْضَوْا؟ قَالَ: **نَدَعُهُمْ مَا تَرَكُونَا**، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَتْرُكُونَا؟ قَالَ: **امْتَنَعْنَا مِنْهُمْ**، قَالَ: فَنَعَمْ إِذاً[٣].

خرج علي رضي الله عنه بـ ١٠٠٠ رجل؛ وذلك بهدف الإصلاح وجمع

---

(١) تاريخ الخلفاء، صلاح الخالدي (ص٢٢٩).

(٢) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٥٥).

(٣) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٧٩).

كلمة المسلمين، وفي الطريق التحق به عدد كبير من الناس وحتى وصل العدد إلى ما يقرب من ١٠,٠٠٠ رجل.

ـ لقاء علي بأهل الكوفة، وحرصه على عدم التقاتل:

والتقى عليٌّ بأهل الكوفة في ذي قار[١] وقال لهم: «**يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! أَنْتُمْ لَقِيتُمْ مُلُوكَ الْعَجَمِ فَفَضَضْتُمْ جُمُوعَهُمْ، وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ لِتَشْهَدُوا مَعَنَا إِخْوَانَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ؛ فإن يرجعوا فذاك الذي نريده، وَإِنْ أَبَوْا دَاوَيْنَاهُمْ بِالرِّفْقِ حَتَّى يَبْدَؤُونَا بِالظُّلْمِ، وَلَمْ نَدَعْ أَمْراً فِيهِ صَلَاحٌ إِلَّا آثَرْنَاهُ عَلَى مَا فِيهِ الْفَسَادُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى**»[٢].

وأرسل الأحنف بن قيس إلى علي رضي الله عنه قائلاً: «**إِنْ شِئْتَ قَاتَلْتُ مَعَكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَفْتُ عَنْكَ عَشَرَةَ آلَافِ سَيْفٍ. فَقَالَ: اكْفُفْ عَنَّا عَشَرَةَ آلَافِ سَيْفٍ**»[٣] ولو كان يريد علي رضي الله عنه القتال لأمره أن يقاتل معه، وقد قدم بعدد كبير من المقاتلين معه، ولكن علي رضي الله عنه ما خرج للقتال.

ـ القعقاع بن عمرو وحواره مع عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم:

ومن ثم سار علي رضي الله عنه إلى البصرة ولما وصل قريباً منها أرسل القعقاع بن عمرو التميمي بهدف مقابلة أم المؤمنين السيدة عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم؛ فكان هذا الحوار المهم والدقيق والموضح لما في نفوس كلا الطرفين:

---

(١) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط. معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٢٩٣).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٤٥٤). وتاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

قَالَ القعقاعُ مُخَاطباً السيدة عائشة رضي الله عنها: **أَيْ أُمَّاهْ، مَا أَشْخَصَكِ وَمَا أَقْدَمَكِ هَذِهِ الْبَلْدَةَ**(١)؟

قَالَتْ: **أَيْ بُنَيَّ، إِصْلاحُ بَيْنَ النَّاسِ.**

قَالَ: **فَابْعَثِي إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ حَتَّى تَسْمَعِي كَلامِي وَكَلامَهُمَا.**

فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمَا فَجَاءَا.

فَقَالَ القعقاع مخاطباً طلحة والزبير: **إِنِّي سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: مَا أَشْخَصَهَا وَأَقْدَمَهَا هَذِهِ الْبِلادَ؟ فَقَالَتْ: إِصْلاحٌ بَيْنَ النَّاسِ، فَمَا تَقُولانِ أَنْتُمَا؟ مُتَابِعَانِ أَمْ مُخَالِفَانِ**(٢)؟

قَالا: **مُتَابِعَانِ.**

قَالَ: **فَأَخْبِرَانِي مَا وجه هذا الإصلاح**(٣)**؟ فوالله لَئِنْ عَرَفْنَا لَنُصْلِحَنَّ، وَلَئِنْ أَنْكَرْنَاهُ لا نُصْلِحُ.** قَالا: **قَتَلَةَ عُثْمَانَ** رضي الله عنه**، فَإِنَّ هَذَا إِنْ تُرِكَ كَانَ تَرْكاً لِلْقُرْآنِ**(٤)**، وَإِنْ عمل به كان إحياءً لِلْقُرْآنِ**(٥).

فَقَالَ: **قَدْ قَتَلْتُمَا قَتَلَةَ عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَأَنْتُمْ قَبْلَ قَتْلِهِمْ أَقْرَبُ إِلَى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة إلا رَجُلاً، فَغَضِبَ لَهُمْ سِتَّةُ آلافٍ، وَاعْتَزَلُوكُمْ وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، وَطَلَبْتُمْ ذَلِكَ الَّذِي أَفْلَتَ** - يَعْنِي: حُرْقُوصَ بْنَ زُهَيْرٍ - **فَمَنَعَهُ سِتَّةُ آلافٍ وَهُمْ عَلَى رَجُلٍ؛ فَإِنْ تَرَكْتُمُوهُ كُنْتُمْ**

---

(١) يقصد ما الذي أخرجك من مكة إلى البصرة.

(٢) أي: هل جئتما للإصلاح أيضاً كما هو رأي السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٣) أي: كيف يتحقق هذا الإصلاح؟ وما السبيل إليه؟

(٤) أي: إن ترك علي إقامة الحد على قتلة عثمان كان تاركاً للقرآن؛ لأن من واجبه إقامة الحد على القاتل، وهو الخليفة، فإن ضيَّع الحد فهو مضيِّع للقرآن. وهذا كان فهم طلحة والزبير للقضية.

(٥) أي: أن يقتل علي رضي الله عنه قتلة عثمان، فهذه القضية التي من أجلها خرجوا.

تَارِكِينَ لِمَا تَقُولُونَ[١]، وَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ[٢] وَالَّذِينَ اعْتَزَلُوكُمْ فَأُدِيلُوا عَلَيْكُمْ فَالَّذِي حَذِرْتُمْ وَقَرَّبْتُمْ بِهِ هَذَا الأَمْرَ أَعْظَمُ مِمَّا أَرَاكُمْ تَكْرَهُونَ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَحْمَيْتُمْ[٣] مُضَرَ وَرَبِيعَةَ مِنْ هَذِهِ الْبِلادِ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ وَخِذْلانِكُمْ نُصْرَةً لِهَؤُلاءِ كَمَا اجْتَمَعَ هَؤُلاءِ لأَهْلِ هَذَا الْحَدَثِ الْعَظِيمِ وَالذَّنْبِ الْكَبِيرِ.

فَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: فَتَقُولُ أَنْتَ مَاذَا؟

قَالَ: أَقُولُ هَذَا الأَمْرُ دَوَاؤُهُ التَّسْكِينُ، وَإِذَا سَكَنَ اخْتَلَجُوا؛ فَإِنْ أَنْتُمْ بَايَعْتُمُونَا فَعَلامَةُ خَيْرٍ وَتَبَاشِيرُ رَحْمَةٍ وَدَرْكٌ بِثَأْرِ هَذَا الرَّجُلِ، وَعَافِيَةٌ وَسَلامَةٌ لِهَذِه الأُمَّةِ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَبَيْتُمْ إِلا مُكَابَرَةَ هَذَا الأَمْرِ وَاعْتِسَافِهِ، كَانَتْ عَلامَةَ شَرٍّ، وَذَهَابَ هَذَا الثَّأْرِ، فَآثِرُوا الْعَافِيَةَ تُرْزَقُوهَا، وَكُونُوا مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ كَمَا كُنْتُمْ تَكُونُونَ، وَلا تُعَرِّضُونَا لِلْبَلاءِ وَلا تَعْرِضُوا لَهُ فَيَصْرَعَنَا وَإِيَّاكُمْ.

وَايْمُ الله إِنِّي لأَقُولُ هَذَا وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ وَإِنِّي لَخَائِفٌ أَلا يَتِمَّ حَتَّى يَأْخُذَ اللهُ ﷻ حَاجَتَهُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي قَلَّ مَتَاعُهَا وَنَزَلَ بِهَا مَا نَزَلَ، فَإِنَّ هَذَا الأَمْرَ الَّذِي حَدَثَ أَمْرٌ لَيْسَ يُقَدَّرُ، وَلَيْسَ كَالأُمُورِ، وَلا كَقَتْلِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ، وَلا النَّفَرِ الرَّجُلَ، وَلا الْقَبِيلَةِ الرَّجُلَ.

فَقَالُوا: نَعَمْ، إِذاً قَدْ أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ الْمَقَالَةَ، فَارْجِعْ فَإِنْ قَدِمَ عَلِيٌّ وَهُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِكَ صَلَحَ هَذَا الأَمْرُ.

فَرَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَهُ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، وَأَشْرَفَ الْقَوْمُ عَلَى الصُّلْحِ، كَرِهَ ذَلِكَ مَنْ كَرِهَهُ، وَرَضِيَهُ مَنْ رَضِيَهُ[٤].

---

(١) أي: وقعتم بما تقولون أن علياً وقع فيه.

(٢) فستقع مفسدة أكبر من الأولى.

(٣) أي: منعتم.

(٤) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/٤٨٨ ـ ٤٨٩). والكامل في التاريخ، ابن الأثير =

إنه لموقف رائع حقاً من عائشة وطلحة والزبير وعلي ﵃، فكل منهم قَبِلَ الصلح ووافق عليه، وكل منهم كان يتورع أن يسفك دماً أو يقتل مسلماً.

ـ رغبة الطرفين في الإصلاح:

لا يمكن أن يفهم عاقل يقف على النصوص السابقة أن زعماء الفريقين هم الذين حركوا المعركة وأوقدوا نارها، وكيف يتأتى ذلك وكلا الطرفين كانت كلمة الصلح قد نزلت من نفوسهم وقلوبهم منزلاً حسناً، ولكنَّ قتلة عثمان أصحاب ابن سبأ هم الذين أشعلوا فتيلها وأججوا نيرانها حتى يفلتوا من حد القصاص[1].

فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا، خرج عليٌّ وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان ﵁، فبات الناس على نية الصلح والعافية، وهم لا يشكّون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح.

ـ موقف السبئية من قرار الصلح:

بات الذين أثاروا الفتنة بشرٍّ ليلة باتوها قط، إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وكان من الحاضرين من قادة السبئيين:

= (٢/ ٥٩١ ـ ٥٩٢). والبداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٤٤٨ ـ ٤٥٠).

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، أ.د. محمد أمحزون (ص٤٤٠).

عبد الله بن سبأ، والأشتر النخعي، وعلباء بن الهيثم، وشريح بن أوفى.

قالوا: **ماذا ترون؟ هذا والله علي، وهو أعلمُ بكتاب الله ممن يطلبُ قتلةَ عثمان، وأقرب إلى العمل به، وقد قال ما سمعتم عنكم، وسيجمعُ عليكم الناس غداً، والقوم كلُّهم يريدونكم أنتم، فماذا ستفعلون وعددُكم قليل، وهم عددُهم كثير، لستم ناجين منهم.**

قال الأشتر النخعي: **أَمَّا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَقَدْ عَرَفْنَا أَمْرَهُمَا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَلَمْ نَعْرِفْ أَمْرَهُ حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ، وَرَأْيُ النَّاسِ فِينَا وَاللهِ وَاحِدٌ، وَإِنْ يَصْطَلِحُوا وَعَلِيٌّ فَعَلَى دِمَائِنَا، فَهَلُمُّوا فَلْنَتَوَاثَبْ عَلَى عَلِيٍّ فَنُلْحِقَهُ بِعُثْمَانَ، فَتَعُودَ فِتْنَةً يُرْضَى مِنَّا فِيهَا بِالسُّكُونِ**[١].

فقال عبد الله بن سبأ اليهودي: **بئس الرأي، لو قتلناه قُتلنا جميعاً.**

فهم تظاهروا من أول لحظة أنهم ينصرون عليّاً؛ فإذا ما قتلوه انفضح أمرهم وكشفوا على حقيقتهم.

وَقَالَ شُرَيْحُ بْنُ أَوْفَى وهو أحد الخوارج: **أَبْرِمُوا أُمُورَكُمْ**[٢] **قَبْلَ أَنْ تَخْرُجُوا، وَلا تُؤَخِّرُوا أَمْراً يَنْبَغِي لَكُمْ تَعْجِيلُهُ، وَلا تُعَجِّلُوا أَمْراً يَنْبَغِي لَكُمْ تَأْخِيرُهُ، فَإِنَّا عِنْدَ النَّاسِ بِشَرِّ الْـمَنَازِلِ**[٣]**، فَلا أَدْرِي مَا النَّاسُ صَانِعُونَ غَداً إِذَا ما هم التقوا!**

وتكلم ابْنُ سَبَأ فَقَالَ: **يَا قَوْمُ، إِنَّ عِزَّكُمْ فِي خُلْطَةِ النَّاسِ، فَصَانِعُوهُمْ، وَإِذَا الْتَقَى النَّاسُ غَداً فَأَنْشِبُوا الْقِتَالَ، وَلا تُفَرِّغُوهُمْ لِلنَّظَرِ، فَإِذَا مَنْ أَنْتُمْ مَعَهُ لا يَجِدُ بُدّاً مِنْ أَنْ يَمْتَنِعَ، ويشغل الله عَلِيّاً وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ**

---

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٩٤).

(٢) أي: اتفقوا على رأي واحد، وقرروا ماذا أنتم فاعلون.

(٣) يقصد أن كِلَا الطرفين قد اتفقوا وكلهم ناقم على قتلة عثمان.

وَمَنْ رَأَى رَأْيَهُمْ عَمَّا تَكْرَهُونَ فَأَبْصِرُوا الرَّأْيَ، وَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِ وَالنَّاسُ لا يَشْعُرُونَ[١].

ـ السبئية يشعلون فتيل الفتنة:

وهذا الذي حدث، فقد قسم الخبيث أتباعه إلى قسمين، وطلب منهم أن يتسللوا في سواد الليل إلى معسكر كل فريق من الفريقين، فرقة تنطلق لمعسكر طلحة والزبير، وفرقة تنطلق إلى معسكر عليٍّ، وينشبون القتل بالسيوف والرِّماح في كل معسكر من المعسكرين.

فهاجم مجموعة من السبئيين جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض أفراد الجيش وفروا فظن جيش طلحة أن علياً غدر بهم فناوشوا جيش عليّ في الصباح فظن جيش علي أن جيش طلحة والزبير قد غدر؛ فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى الظهيرة.

وقد حاول الكبار من الجيشين وقف القتال ولكن لم يفلحوا؛ لأن الكل كان مشغولاً بقتال خصمه.

ـ أحداث المعركة:

كانت معركة الجمل على جولتين:

الجولة الأولى: كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير. واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهر.

ونادى عليّ في جيشه، كما نادى طلحة والزبير في جيشهما: لا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجْهِزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجاً من المعركة تاركاً لها.

---

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٤٩٤).

وأقبل كعبُ بن سُور الأزدي وهو قاضي البصرة، وكان يرى اعتزال القتال وعدم سفك دماء المسلمين، حتى أتى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت في بيتها في البصرة لم تشهد القتال.

فقال لها: **أدركي القوم، فقد أبوا إلا القتال، والمعركة بينهم شديدة، لعلَّ الله يصلح بكِ، ولعلَّ القوم إذا رأوك يميلون للصلح، ويتوقَّفون عن القتال.**

فأعدّوا لها جملها «عسكر»، ووضعوا الأدرع على هودجها، حتى لا تصلها السهامُ والنبال، وركبت جملها، ودخلْ ميدان المعركة، بنية الإصلاح بين الفريقين.

ـ لقاء علي والزبير:

وطلب عليٌّ الزبير ليكلمه، أثناء اشتداد المعركة في جولتها الأولى، فخرج له من بين الصفوف، وتوافقا على فرسيهما.

وقال علي للزبير: لقد جمعْتُما خيلاً ورجالاً للقتال، فهل أعددْتُما عذراً عند الله يوم القيامة؟

يا زبير: أَنْشُدُك الله: أسمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ**»[1].

فتذكر الزبيرُ ما سمعه من رسول الله ﷺ، عن قتاله لعلي، وأنه سيكون ظالماً لعلي في هذا القتال، وتراجع الزبير.

وقال الزبير لعلي: **نعم. والله ما ذكرته إلا الآن، ووالله لو تذكرته**

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب ذكر معرفة الصحابة، ذكر مقتل الزبير بن العوام (٣/ ٤١٣)، ح(٥٥٧٥). وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجمل، في مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير (٧/ ٥٤٥)، ح(٣٧٨٢٧).

لما سرتُ إليك مسيري هذا، ووالله لا أقاتلك بعد الآن[١].

ـ مقتل الزبير بن العوام:

وانصرف الزبير راكباً على فرسه، وترك المعركة، والمعركة ما زالت شديدة، ومَرَّ بوادٍ يسمى «وادي السباع»، وكان معه خادم له، ولما رآه «عمرو بن جرموز» منصرفاً وحيداً لحق به.

ونام الزبير تحت ظل شجرة، فهجم عليه ابن جرموز الشقي وهو نائم، فقتله غيلة وغدراً، واحتزَّ رأسه، ثم أخذ سيفه وفرسه وخاتمه.

وقام خادم الزبير بالصلاة عليه، ثم دفنه في ذلك المكان المجهول في وادي السباع.

ـ موقف علي من قاتل الزبير:

وأتى القاتل وهو فرحٌ إلى علي بن أبي طالب، يخبره بقتله للزبير بن العوام.

فلما سمع علي بقتل الزبير بكى، ثم ترحَّم عليه وترضى عنه، ثم أخذ سيف الزبير، وقال: إن هذا السيف طالما فرَّجَ الكربَ عن رسول الله ﷺ.

ثم قال للقاتل: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ**»[٢].

والزبير هو ابن صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ، ثم

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (٩/ ١٩١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند علي بن أبي طالب (٢/ ٩٩)، ح(٦٨١). والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل الزبير بن العوام رضي الله عنه (٣/ ٤١٤)، ح(٥٥٨٠). وابن سعد في الطبقات (٣/ ١١٠).

شتم علي ابن جرموز ولعنه وطرده[١].

ـ مقتل طلحة بن عبيد الله:

أما طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فقد كان يسعى لتهدأة الناس وإيقاف القتال، وبينما هو كذلك على ظهر فرسه، إذ جاءه سهم لا يعرف من رماه؛ فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزارة حتى مات، وقد دفن في البصرة رضي الله عنه.

وبذلك تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل.

ـ خروج عائشة إلى الجيش:

الجولة الثانية: وكانت بعدما أنتصف النهار، حيث تجمع جيش البصرة حول السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي تركب الجمل، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها حريصة على إنهاء المعركة، وكان السبئيون في جيش علي حريصين على استمرار المعركة والقتال، وعلى عدم إتاحة الفرصة للصلح وإنهاء المعركة.

تقدم قاضي البصرة كعبُ بن سور يقود جمل السيدة عائشة رضي الله عنها، وكان حريصاً على إنهاء القتال أيضاً.

فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: يا كعب اترك الجمل، واحمل مصحفاً، وتقدم إليهم بكتاب الله، وادعهم إلى الصلح، والعمل بما فيه.

---

(١) يذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: أن ابن جرموز بقي حياً في العراق، حتى قام عبد الله بن الزبير، وادعى الخلافة، وولّى أخاه مصعب بن الزبير على العراق، فخاف ابن جرموز أن يأخذه مصعب، ويقتله ثأراً لأبيه. فقال مصعب بن الزبير: مُروه فلْيخرج، فهو آمن، ولن أقتله قِصاصاً، ووالله إنه لأحقرُ عندي من أنْ أجعله عَدْلاً ومساوياً للزبير، فأقتله به، وأترك عقابه ليوم القيامة. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٤٨٣).

فحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة ونادى بهم قائلاً: يا قوم أنا كعب بن سور قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله والعمل بما فيه.

وخشي السبئيون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فمات والمصحف في يده.

ـ محاولة السبئية قتل عائشة:

وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل السيدة عائشة رضي الله عنها وهودجها فصارت تنادي وتقول: **يا بني: الله الله، أذكروا الله يوم الحساب، وكفوا عن القتال**. والسبئيون يرفضون إيقاف الضرب.

وكان علي من الخلف يأمر بالكف عن القتال، لكن السبئيون في مقدمة جيشه لا يستجيبون له.

ولما رأت السيدة عائشة رضي الله عنها عدم استجابتهم لدعواتها، قالت: **أيها الناس: العنوا قتلة عثمان وأشياعهم**.

وصارت السيدة عائشة تدعو على قتلة عثمان، وتلعنهم، وضجَّ أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان.

سمع علي رضي الله عنه الدعاء عالياً في جيش البصرة، فقال: **ما هذا؟**

قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها.

قال علي: **ادعوا معي على قتلة عثمان، وأشياعهم والعنوهم**.

وضج جيش علي بلعن قتلة عثمان، والدعاء عليهم.

وبهذا التقى الجيشان على هذا الهدف المشترك، وهو الدعاء على قتلة عثمان.

الجيشان يكرهان قتلة عثمان السبئيين، لكن لا يعرفان كيفية القضاء

عليهم والتخلص منهم؛ لأنهم فرضوا أنفسهم على علي، وكانوا في مقدمة جيشه، ولم يسمح له تسارع الأحداث وخروج المخالفين عليه، بالتخلص منهم.

وجّه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل السيدة عائشة ﵂، وكان الناس يسارعون في حماية الجمل وهودج السيدة عائشة ﵂، وقُتِل في الدفاع عن السيدة عائشة ﵂ أناس كُثُر، ومنهم محمد بن طلحة بن عبيد الله المعروف باسم محمد السجاد لعبادته وتقواه.

ـ القعقاع وقرار قتل الجمل:

وقد رأى القعقاع بن عمرو التميمي، أن القتل سيستمر ما دام الجمل واقفاً، فلا بدَّ من عقر الجمل.

فطلب ممن كان يمسك خطام الجمل واسمه «زُفَرُ بنُ الحارث» أن يعقر الجمل، وقام زفر بعقر الجمل.

وأقبل القعقاع وزفر على هودج السيدة عائشة ﵂ فأنزلاه عن ظهر الجمل ووضعاه جانباً.

ولما رأى جيش البصرة مصرع الجمل، تركوا ميدان المعركة وعادوا إلى البصرة.

وقد كان انتهاء المعركة عند حلول الليل.

وبذلك تكون معركة الجمل قد استمرت يوماً كاملاً، وهو يوم الخميس العاشر من جمادى الثانية سنة ست وثلاثين للهجرة.

ـ أعداد الجيشين:

كان عدد جيش علي ﵁ ما يقارب الـ ١٠,٠٠٠ بمجمله، وعدد جيش طلحة والزبير ﵄ ما بين الـ ٥,٠٠٠ والـ ٦٠٠٠.

ـ موقف علي من قتل طلحة، ومن قتلى الجيشين:

مرَّ علي رضي الله عنه على طلحة بعدما قتل، فجعل يمسحُ التراب عن وجهه ويبكي ويقول: «**عزيز عليَّ أبا محمد أن أراك مجندلاً في التراب تحت نجوم السماء**»(١).

ثم قام علي رضي الله عنه وجمع قتلى الطرفين وصلى عليهم، من أهل البصرة والكوفة، وصلى على من كان من أهل المدينة ومكة، وقام بدفنهم.

ثم أمر بجمع ما خلَّفه أهلُ البصرة في ساحة المعركة من سلاح ومتاع، وأمر بإرساله إلى مسجد البصرة، وكلٌّ من تعرَّف على شيء له، يأتي ويأخذه.

أي: أنه لم يأخذ ما تركه خصومه فيئاً وغنائم لجيشه، ولم يقسِّمه بينهم، وإنما أعاده إلى أصحابه.

وغضب السبئيون من هذا التصرُّف، وأرادوا تقسيم أموال طلحة والزبير، وتقسيم ما خلفه البصريون وراءهم.

فرَّد عليهم علي رضي الله عنه قائلاً: **أيكم يحبُّ أنْ تصير أمُّ المؤمنين عائشة في سهمه؟ وأن يجعلها أَمَةً وجارية عنده؟** فسكت القوم(٢).

ـ موقف عائشة مما حصل في يوم الجمل:

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها إذا قرأت بعد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾ [الأحزاب: ٣٣]. تبكي حتى يبتلَّ خمارها من البكاء، وتقول ـ كلما تذكرت معركة الجمل ـ: «**وددت إني كنت جلست**

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٢٥/ ١١٥).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٤٧٠).

كما جلس أصحابي»(١).

ولما انتهى الأمر أقبل عليٌّ رضي الله عنه على السيدة عائشة رضي الله عنها وهي في هودجها؛ ليطمئن عليها.

ـ إخبار النبي ﷺ علي بالخلاف الذي سيحدث:

وقد أخبر النبي ﷺ بما سيحدث بين علي وعائشة. فَعَنْ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أَمْرٌ**»، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: أَنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَأَنَا أَشْقَاهُمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَارْدُدْهَا إِلَى مَأْمَنِهَا**»(٢)، فقام علي رضي الله عنه بإرسال السيدة عائشة رضي الله عنها مُعَزَّزة مُكَرَّمة إلى المدينة، وأرسل معها أخاها محمد بن أبي بكر.

ـ موقف علي مما حدث يوم الجمل:

ومما يبين ألم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مما حدث، ما روي عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: جِئْتُ إِلَى الْحَسَنِ فَقُلْتُ: اعْذُرْنِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ لَمْ أَحْضُرِ الْوَقْعَةَ(٣)، فَقَالَ الْحَسَنُ: «**مَا تَصْنَعُ بِهَذَا لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَهُوَ يَلُوذُ بِي وَيَقُولُ: يَا حَسَنُ لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ هَذَا بِعِشْرِينَ سَنَةً**»(٤).

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٣٤/ ٣٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند القبائل، حديث أبي رافع (٤٥/ ١٧٥)، ح(٢٧١٩٨). والبزار في مسنده، مسند أبي رافع (٩/ ٣٢٦)، ح(٣٨٨١). والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٣٣٢)، ح(٩٩٥).

(٣) يقصد معركة الجمل.

(٤) أخرجه الحارث بن محمد في مسنده، كتاب الفتن نعوذ بالله منها، باب فيما كان بين الصحابة رضي الله عنهم (٢/ ٧٦١)، ح(٧٥٧).

ـ دخول علي البصرة والكوفة:

ثم دخل عليٌّ رضي الله عنه البصرة، وبايعَ له أهلها جميعاً، وعيَّنَ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والياً عليها.

أقام عليٌّ رضي الله عنه أياماً في البصرة، ثم خرج إلى الكوفة، ودخلها يوم الإثنين الثاني عشر من شهر رجب سنة ست وثلاثين للهجرة، وجعلها عاصمة لخلافته، التي لم تستمر طويلاً[١].

ـ أقوال بعض الأئمة في فتنة الجمل:

* يقول القاضي أبو بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ): **وقدم علي البصرة[٢]، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر [بينهم] الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء[٣]؛ كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا [تقف] الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف؟[٤]**.

* ويقول الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت٣٢١هـ):

---

(١) انظر أحداث موقعة الجمل بتفاصيلها: من المصادر القديمة: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري. والكامل في التاريخ، ابن الأثير. والبداية والنهاية، ابن كثير. وتاريخ دمشق، ابن عساكر. أحداث سنة (٣٦هـ). ومن المراجع المعاصرة: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلَّابي. والفتنة بين الصحابة، محمد حسان. والخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي بتصرف.

(٢) نزل علي وجيشه مكاناً منها يسمى الزاوية. وكان أصحاب الجمل نازلين مكاناً منها يسمى الفرضة. انظر: تعليق الشيخ محب الدين الخطيب على كتاب العواصم من العواصم (ص١٥٩).

(٣) **البوغاء**: التُّرَاب عَامَّة. وَقيل: هِيَ التربة الرخوة كَأَنَّهَا ذريرة. وَقيل: هِيَ التُّرَاب الهابي فِي الْهَوَاء. وَقيل: هُوَ التُّرَاب الَّذِي يطير من دقته إِذا مس. وبوغاء النَّاس: سفلتهم وطاشتهم. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٦/ ٦٧).

(٤) العواصم من القواصم، ابن العربي (ص١٥٩).

فَجَرَتْ فِتْنَةُ الْجَمَلِ عَلَى غَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنْ عَلِيٍّ، وَلَا مِنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَإِنَّمَا أَثَارَهَا الْمُفْسِدُونَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِ السَّابِقِينَ[١].

* يقول الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت٤٥٦هـ): **فقد صَحَّ صِحَة ضَرُورِيَّة لَا إِشْكَال فِيهَا أَنهم لم يمضوا إِلَى الْبَصْرَة لِحَرْب عَليّ وَلَا خلافاً عَلَيْهِ وَلَا نقضاً لبيعته وَلَو أَرَادوا ذَلِك لأحدثوا بيعَة غير بيعَته هَذَا مَا لَا يشك فِيهِ أحد وَلَا يُنكره أحد، فصح أَنهم إِنَّمَا نهضوا إِلَى الْبَصْرَة لسد الفتق الْحَادِث فِي الْإِسْلَام من قتل أَمِير الْمُؤمنِينَ عُثْمَان رضي الله عنه ظلماً**[٢].

أعداد القتلى في معركة الجمل:

أسفرت هذه المعركة عن عدد من القتلى اختلفت الروايات في أعدادهم، وذكر المسعودي: أن الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة.

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل بلغ عشرون ألفاً. وهذا فيه مبالغة كثيرة؛ لأن عدد الجيشين يصل إلى قريب من هذا العدد أو أقل.

أما أبو مخنف لوط بن يحيى، فقد بالغ كثيراً بحكم ميوله، إذ ذكر أن العشرين ألف هم من أهل البصرة فقط.

والبعض يقدرهم بـ عشرة آلاف نصفهم من جيش علي ونصفهم الآخر من جيش طلحة والزبير. وقيل غير ذلك. وكل هذه الروايات ضعيفة وليست بصحيحة.

كل هذه الأرقام مبالغ فيها، والسبب في هذه المبالغة:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين الأذرعي (٢/ ٧٢٣).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٤/ ١٢٣).

أ ـ رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، في توسيع دائرة الاختلاف بين أبناء الأمة.

ب ـ مساهمة بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، في تضخيم ما جرى، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم، فضلاً عن وجود القصَّاص، ورواة الأخبار الذين يسعون لجلب اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها.

ج ـ إيجاد ثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية؛ لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم.

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جدّاً للأسباب التالية:

أ ـ قصر مدة القتال، وقد أخرج ابن أبي شيبة: أن القتال نشب بعد الظهر فما غابت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه(١).

ب ـ الطبيعة الدفاعية للقتال؛ حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

ج ـ تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم، باستثناء السبئية فقد كان هدفهم استمرار القتال.

د ـ قياساً بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك (ثلاثة آلاف شهيد)، والقادسية (ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد) وهي التي استمرت ما يقارب الأسبوع، فإن العدد الحقيقي لقتلى الجمل يعد ضئيلاً جداً، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحدَّتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

---

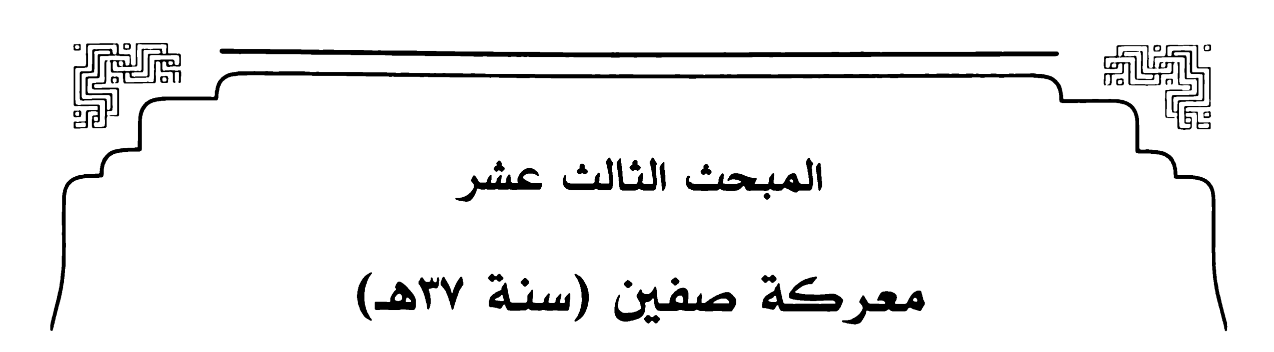
(١) انظر: المصنف، ابن أبي شيبة، كتاب الجمل، في مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير (٧/ ٥٤٥)، ح(٣٧٨٣٣).

هـ ـ أورد خليفة بن خياط في تاريخه بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل؛ فكانوا قريباً من المئة[١]. فلو فرضنا أن عددهم كان مئتين وليس مئة؛ فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المئتين. وهذا هو الرقم الأقرب للصواب والله تعالى أعلم[٢].



(١) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص١٨٧ وما بعدها).

(٢) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلّابي (ص٥٤٥ ـ ٥٤٧) بتصرف.



المبحث الثالث عشر

معركة صفين (سنة ٣٧هـ)

كان معاوية رضي الله عنه والياً على الشام في عهد عمر وعثمان، ولما حدثت الفتنة وقتل عثمان رضي الله عنه، وأرسل ثوب عثمان وأصابع زوجته نائلة إلى معاوية، بايع أهل الشام معاوية رضي الله عنه على **المطالبة بدم عثمان**، ولم يبايعوه على الخلافة، ولم يحدث ذلك البتة. بل توقفوا في بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة حتى يقيم الحد على قتلة عثمان، أو يسلمهم إلى معاوية باعتباره وليُّ الدم وابن عم عثمان، وقالوا: **«لا نبايع من يؤوي القتلة»**[1]. ورأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، ودليلهم أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً باتفاق المسلمين، وقتلته في جيش علي رضي الله عنه، وهم غالبون ولهم قوة كبيرة في جيش علي، فإذا بايعنا، ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان.

ـ هل كان معاوية يريد نزع الخلافة من علي؟

لم يكن معاوية رضي الله عنه يرى نفسه أحق من علي رضي الله عنه بالخلافة، ومما روي في ذلك: أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ وَجَمَاعَةً مَعَهُ دَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالُوا لَهُ: **أَنْتَ تُنَازِعُ عَلِيّاً أَمْ أَنْتَ مِثْلُهُ؟** فَقَالَ: **وَالله إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي وَأَفْضَلُ، وَأَحَقُّ بالأَمْرِ مِنِّي، وَلَكِنْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُوماً، وَأَنَا ابْنُ عَمِّهِ، وَأَنَا أَطْلُبُ بِدَمِهِ، وَأَمْرُهُ إِلَيَّ؟ فَقُولُوا لَهُ فَلْيُسَلِّمْ إِلَيَّ**

---

(١) العواصم من القواصم، ابن العربي (ص١٦٦).

قَتَلَةَ عُثْمَانَ، وَأَنَا أُسَلِّمُ لَهُ أَمْرَهُ. فَأَتَوْا عَلِيّاً، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِمْ أَحداً، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْقِتَالِ مَعَ مُعَاوِيَةَ[1].

ومما روي أيضاً: عن أبي الدَّرْدَاءِ وَأَبي أُمَامَةَ، أَنَّهُما دَخَلَا عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَا لَهُ: **يَا مُعَاوِيَةُ، عَلَامَ تُقَاتِلُ هَذَا الرَّجُلَ؟ فَوَاللهِ إِنَّهُ لَأَقْدَمُ مِنْكَ وَمِنْ أَبِيكَ إِسْلاماً، وَأَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ.** فَقَالَ: **أُقَاتِلُهُ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ، وَأَنَّهُ أَوَى قَتَلَتَهُ، فَاذْهَبَا إِلَيْهِ فَقُولَا لَهُ فَلْيُقِدْنَا مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ، ثُمَّ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُبَايِعُهُ مَنْ أَهْلِ الشَّامِ**[2].

ـ السبئية في جيش علي:

لا ينكر أحدٌ أنه كان في جيش علي رضي الله عنه أكثر من ألفين من قتلة عثمان، وأنَّ بعضهم كان من كبار قادته كالأشتر النخعي، وأنَّ علياً كان يكرههم، ويتحيّنُ الفرصة المناسبة للتخلص منهم، والقضاء عليهم، وكان حريصاً على إقامة الحدِّ عليهم، عندما تهدأ الأمور.

إن المطالبين بالإسراع في إقامة الحد، قد أشغلوا علياً، حيث اضطرَّ للتوجُّه إليهم، وتأخير محاسبة القتلة.

وهذا كان قدرُ علي رضي الله عنه، وهذه المشكلة الخطيرة التي عصفت بخلافته وقضت عليها، ثم انتهت باستشهاده رضي الله عنه[3].

ـ أعداد الجيشين:

بعث علي رضي الله عنه يستنفر الناس للقتال، وجهز جيشاً ضخماً، اختلفت

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٤٢٥). وتاريخ دمشق، ابن عساكر (٥٩/ ١٣٢). وتاريخ الإسلام، الذهبي (٢/ ٣٠١).
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٥٠٨).
(٣) الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص٢٥٧).

الروايات في تقديره، ومنها: ما يقول أنه خرج بـ مئة وخمسين ألف، ومنها: بـ مئة وعشرين ألف، وغير ذلك، وكلها روايات ضعيفة، إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفاً[١].

وكان من قادة جيش علي: أشتر النخعي، وقيس بن سعد بن عبادة، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن عباس.

وقام معاوية رضي الله عنه بتجهيز جيشٍ ضخم، أيضاً اختلفت الروايات في تقديره، وهي أيضاً روايات منقطعة الأسانيد، فقدر الجيش بـ مئة وعشرين ألف، وقدر بـ سبعين ألف مقاتل، إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل.

وكان من قادة جيش معاوية: عمرو بن العاص، وعمرو بن سفيان السلمي، والنعمان بن بشير الأنصاري، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

ـ وصول الجيشين وأحداث المعركة:

التقى الجيشان في **صِفِّين**[٢] على نهر الفرات، وكانت بداية القتال بين الجيشين في شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وكان القتالُ مناوشات ومبارزات بينهما، واستمر القتال بينهما طيلة شهر ذي الحجة، وربما كانوا يقتتلون في اليوم الواحد مرتين، مناوشات على شكل كتائب صغيرة.

ولما دخل شهرُ محرم من سنة سبع وثلاثين تحاجز الجيشان،

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (ص١٩٣).

(٢) موضع بقرب الرّقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، وكانت وقعة صفّين بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما سنة (٣٧) في غرّة صفر. معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٤١٤).

وتوقفا عن القتال طيلة الشهر، رجاء أن يقع بينهما مهادنة وموادعة، تنتهي للصلح وحقن الدماء.

وفي شهر محرم بعث علي وفداً إلى معاوية برئاسة عَدِيٍّ بن حاتم الطائي بهدف دعوته إلى مبايعة علي.

فردَّ معاوية على دعوة عدي بقوله: «**فَإِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَى الْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ، فَأَمَّا الْجَمَاعَةُ فَنِعِمَّا هِيَ، وَأَمَّا الطَّاعَةُ فَكَيْفَ أُطِيعُ رَجُلاً أَعَانَ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ؟ وَنَحْنُ لَا نَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَلَا نَتَّهِمُهُ بِهِ، وَلَكِنَّهُ أَوَى قَتَلَتَهُ؛ فَيَدْفَعَهُمْ إِلَيْنَا حَتَّى نَقْتُلَهُمْ، ثُمَّ نَحْنُ نُجِيبُكُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ**»[١].

ثم بعث معاوية من طرفه وفداً إلى علي لمحاولة إقناعه بتسليم قتلة عثمان، وإنهاء القتال، وكان الوفد برئاسة حبيب بن مسلمة الفِهْري، ولكنه لم يخرج بنتيجة.

مضى شهر المحرم، ولم تنجح جهود الصلح بين الفريقين، ودخل شهر صفر فبدأت الحرب وذلك يوم الأربعاء الأول من شهر صفر، واستمرت حتى يوم الجمعة.

وقع القتال بين الجيشان، لكن أعنفها كان يوم الخميس، وليلة الجمعة، والتي سميت بـ«ليلة الهَرير»؛ لأنه كان لا يُسمعُ للمقاتلين من الجيشين فيها صوتٌ ولا كلام، إلا هريرٌ وهمهمة، من التعب والإعياء، والاستبسال والاستقتال. وكان ممن قتل في هذه الليلة الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقد كان يقاتل في جيش علي رضي الله عنه.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٥٠٤).

وقد أخبر النبي ﷺ عن قتل عمار فقال: «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**»[(١)].

وفي رواية مسلم: «**تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**»[(٢)]. والمراد بالفئة الباغية: أي الجماعة التي خرجت عن طاعة الإمام العادل.

وهذا الحديث الصحيح يدلُّ على أنَّ علياً أقربُ إلى الحق من معاوية، ﵄. وأنَّ أهل الشام هم الفئة الباغية على عليّ، وخرجوا عليه، رغم أن أهل الحل والعقد من الصحابة بايعوه أميراً للمؤمنين.

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): «**وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ وَفَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعَلِيٍّ وَلِعَمَّارٍ وَرَدٌّ عَلَى النَّوَاصِبِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ عَلِيّاً لَمْ يَكُنْ مُصِيباً فِي حُرُوبِهِ**»[(٣)].

وجاء قاتل عمار ـ وهو أبو الغادية الجهني ـ إلى عمرو بن العاص، فقال له: أنا قتلت عماراً. فقال له عمرو: أما والله ما ظفرَتْ يداك، وقد أسخطتَّ ربك[(٤)].

عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشهدها الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، ولم يزل الناس على ذلك حتى أصبحوا يوم الجمعة والقتال ما زال مستمراً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد (١/ ٩٧)، ح(٤٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة... (٤/ ٢٢٣٦)، ح(٢٩١٦).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١/ ٥٤٣).

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٥٣٢).

ـ الدعوة إلى التحكيم:

وصل الناس إلى حالة لا تحتمل من القتال، حتى جاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كِنْدَة وذلك ليلة الهرير حيث قال: **قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غداً إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النساء والذراري غداً، إذا نحن فنينا، اللَّهُمَّ إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آلُ.**

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: **أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنُهى، ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا**[١].

وقد استجاب علي رضي الله عنه إلى دعوة أهل الشام لتحكيم كتاب الله بينهم ودليل ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ فِي مَسْجِدِ أَهْلِهِ أَسْأَلُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ بِالنَّهْرَوَانِ، فِيمَا اسْتَجَابُوا لَهُ، وَفِيمَا فَارَقُوهُ، وَفِيمَا اسْتَحَلَّ قِتَالَهُمْ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ فَلَمَّا اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِأَهْلِ الشَّامِ اعْتَصَمُوا بِتَلٍّ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ: أَرْسِلْ إِلَى عَلِيٍّ بِمُصْحَفٍ، وَادْعُهُ إِلَى كِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْبَى عَلَيْكَ، فَجَاءَ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي، (ص٦٠٥).

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ [آل عمران: ٢٣]، فَقَالَ عَلِيٌّ: **نَعَمْ أَنَا أَوْلَى بِذَلِكَ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ**، قَالَ: فَجَاءَتْهُ الْخَوَارِجُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقُرَّاءَ[١]، وَسُيُوفُهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا نَنْتَظِرُ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَلَى التَّلِّ أَلَا نَمْشِي إِلَيْهِمْ بِسُيُوفِنَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَتَكَلَّمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؛ يَعْنِي: الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وحدثهم بقصة معارضة عمر، والصلح ونزول سورة الفتح[٢].

رغب الشاميون والعراقيون في التحكيم والصلح، ولم يخرج عن هذه الرغبة إلا الخوارج، الذين تضاعفت مشكلتهم مع علي رضي الله عنه فيما بعد.

وبالدعوة للاحتكام إلى القرآن، تكون قد انتهت معركة صفين في شهر صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة.

وقد وقف علي رضي الله عنه على قتلاه وقتلى معاوية فقال: **غفر الله لكم، غفر الله لكم**، للفريقين جميعاً.

وعَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ عَنْ قَتْلَى يَوْمِ صِفِّينَ، فَقَالَ: **قَتْلَانَا وَقَتْلَاهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ وَإِلَى مُعَاوِيَةَ**[٣].

---

(١) سيأتي الحديث عن سبب تسميتهم بذلك.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث سهل بن حنيف (٢٥/٣٤٨)، ح(١٥٩٧٥). والنسائي في سننه، كتاب التفسير، سورة الفتح (١٠/٢٦٢)، ح(١١٤٤٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجمل، باب ما ذكر في صفين (٧/٥٥٢)، ح(٣٧٨٨٠).

ـ أعداد القتلى في معركة صفين:

تضاربت الأقوال في عدد القتلى عند العلماء، فمنهم من قال أن عدد القتلى بلغ سبعين ألفاً، من أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً، ومن أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً، ومنهم من جعلهم سبعين ألفاً أو أكثر، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية؛ فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال في الليل، إلا مساء الجمعة؛ فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة، ومهما كان القتال عنيفاً؛ فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمئة، وبالتالي يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة[١].

ـ موقف لمعاوية رضي الله عنه مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين علي ومعاوية، فطمع في بعض الأراضي التي يسيطر عليها معاوية، فأراد التقدم لأخذها، وقد ذكر ابن كثير القصة فقال: «وَطَمِعَ فِي مُعَاوِيَةَ مَلِكُ الرُّومِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَخْسَأَهُ وَأَذَلَّهُ، وَقَهَرَ جُنْدَهُ وَدَحَاهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَلِكُ الرُّومِ اشْتِغَالَ مُعَاوِيَةَ بِحَرْبِ عَلِيٍّ تَدَانَى إِلَى بَعْضِ الْبِلَادِ فِي جُنُودٍ عَظِيمَةٍ، وَطَمِعَ فِيهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ: **وَاللهِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ وَتَرْجِعْ إِلَى بِلَادِكَ يَا لَعِينُ لَأَصْطَلِحَنَّ أَنَا وَابْنُ عَمِّي عَلَيْكَ وَلَأُخْرِجَنَّكَ مِنْ جَمِيعِ بِلَادِكَ، وَلَأُضَيِّقَنَّ عَلَيْكَ الْأَرْضَ بِمَا رَحُبَتْ**. فَعِنْدَ ذَلِكَ خَافَ مَلِكُ الرُّومِ وَانْكَفَّ، وَبَعَثَ يَطْلُبُ الْهُدْنَةَ»[٢]. وهذا يدلل على عظمة نفوس هؤلاء الصحابة الكرام، وأن الخلافات الداخلية لا تشغلهم ولا تغفلهم عن عدوهم المتربص بهم.

---

(١) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي (ص٦١٧).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٤٠٠).

ـ هل كان الطرفان يلعنان ويشتمان بعضهما؟

روي أن علياً رضي الله عنه بلغه أن حِجْرَ بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية، ولعن أهل الشام، فأرسل إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما. فأتياه، فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: بلى، ورب الكعبة المسدّنة، قالوا: فلِمَ تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا شتَّامين لعَّانين، ولكن قولوا: اللَّهُمَّ احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ من لجج به[1].

وأما ما روي من أن علياً رضي الله عنه كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح؛ لأن الصحابة كانوا أكثر حرصاً من غيرهم على التقيد بأوامر الشريعة التي نهت عن سباب المسلم ولعنه؛ فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِناً فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»**[2]. وقوله ﷺ: **«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ»**[3]. وقوله ﷺ: **«لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[4].

كذلك فإن الروايات التي جاءت في اللعن؛ لا تثبت من ناحية

---

(١) الأخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري (ص١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن (٨/ ١٥)، ح(٦٠٤٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٦/ ٣٩٠)، ح(٣٨٣٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٤/ ٢٠٠٦)، ح(٢٥٩٨).

السند؛ حيث أن فيها أبو مخنف لوط بن يحيى، وهذا رواياته لا تقبل أبداً وقد تقدم الحديث عنه في الأبحاث الأولى من الكتاب[١].

ـ ملحوظة مهمة:

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذن إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهاً جماعياً رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة، وصيانة قوتها أمام عدوها، هو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات[٢].

أقوال العلماء فيما حدث بين علي ومعاوية:

* يقول إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت٤٧٨هـ): **«وَمُعَاوِيَة وَإِن قَاتل علياً فَإِنَّهُ كَانَ لَا يُنكر إِمَامَته وَلَا يدعيها لنَفسِهِ وَإِنَّمَا كَانَ يطْلب قتلة عُثْمَان ﷺ ظَانّاً أَنه مُصِيب وَكَانَ مخطئاً»**[٣].

* يقول الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ): **«وَلم يُنكر مُعَاوِيَة قطّ فضل عَليّ واستحقاقه الْخلَافَة لَكِن اجْتِهَاده أداه إِلَى أَن رأى تَقْدِيم أَخذ الْقود من قتلة عُثْمَان ﷺ على الْبيعَة وَرَأى نَفسه أَحَق بِطَلَب دم عُثْمَان»**[٤].

* يقول الإمام ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ): **«وَمن اعْتِقَاد أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أَن مَا جرى بَين مُعَاوِيَة وَعلي ﷺ من الحروب فَلم يكن**

---

(١) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي (ص٦٢١ ـ ٦٢٢) بتصرف.
(٢) علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي (ص٦٠٧).
(٣) لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السُّنَّة والجماعة، الجويني (ص١٢٩).
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٤/ ١٢٤).

لمنازعة مُعَاوِيَة لعَلي فِي الْخلَافَة للْإِجْمَاع على حقيتها لعَلي كَمَا مر فَلم تهج الْفِتْنَة بِسَبَبِهَا وَإِنَّمَا هَاجَتْ بِسَبَب أَن مُعَاوِيَة وَمن مَعَه طلبُوا من عَليّ تَسْلِيم قتلة عُثْمَان إِلَيْهِم لكَون مُعَاوِيَة ابْن عَمه فَامْتنعَ عَليّ ظنّاً مِنْهُ أَن تسليمهم إِلَيْهِم على الْفَوْر مَعَ كَثْرَة عَشَائِرهمْ واختلاطهم بعسكر عَليّ يُؤَدِّي إِلَى اضْطِرَاب وتزلزل فِي أَمر الْخلَافَة الَّتِي بهَا انتظام كلمة أهل الْإِسْلَام سِيمَا وَهِي فِي ابتدائها لم يستحكم الْأَمر فِيهَا فَرَأى عَليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَن تَأْخِير تسليمهم أصوب إِلَى أَن يرسخ قدمه فِي الْخلَافَة ويتحقق التَّمَكُّن من الْأُمُور فِيهَا على وَجههَا وَيتم لَهُ انتظام شملها واتفاق كلمة الْمُسلمين ثمَّ بعد ذَلِك يلتقطهم وَاحِداً فواحداً ويسلمهم إِلَيْهِم»[١].

إخبار النبي ﷺ عن معركة صفِّين:

عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»[٢].

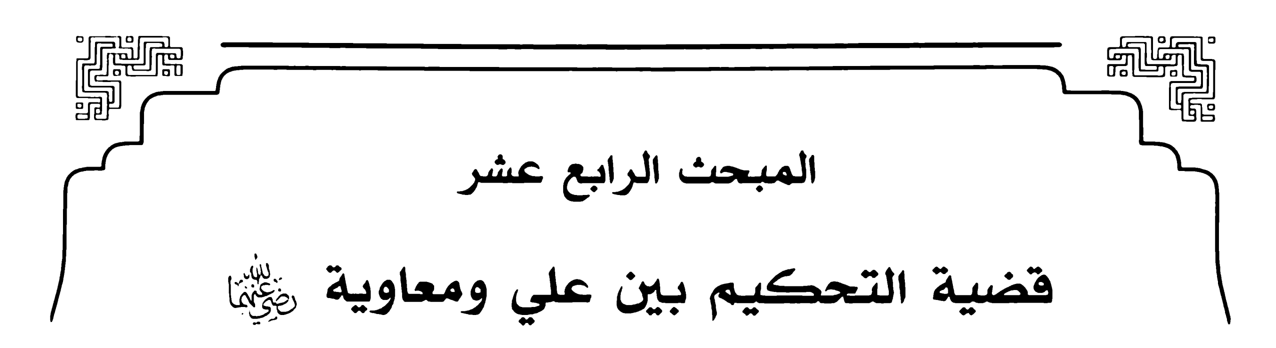
* يقول ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): «أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفِئَتَيْنِ عَلِيٌّ وَمَنْ مَعَهُ وَمُعَاوِيَةُ وَمَنْ مَعَهُ وَيُؤْخَذُ مِنْ تَسْمِيَتِهِمْ مُسْلِمِينَ وَمن قَوْلِهِ: دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ الرَّدُّ عَلَى الْخَوَارِجِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي تَكْفِيرِهِمْ كُلّاً مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ»[٣].

---

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي (٢/ ٦٢٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب خروج النار (٩/ ٥٩)، ح(٧١٢١). ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (٤/ ٢٢١٤)، ح(١٥٧).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١٣/ ٨٥).



المبحث الرابع عشر

قضية التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما

انتهت معركة صفين باتفاق الطرفين على التحكيم؛ وهو أن يختار علي رضي الله عنه حكماً من جهته، ويختار معاوية رضي الله عنه حكماً من جهته، ثم يلتقي الرجلان الحكمان، ويتناقشان في حلِّ المشكلة، وبعد ذلك يتفقان على ما فيه مصلحة المسلمين، ويصدران حكمهما المناسب، وحكمهما ملزمٌ للفريقين.

اختيار الحكمين، وتعيين المكان:

عيَّن معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنه حكماً من جهته، وعيَّن علي أبا موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس رضي الله عنهم.

وتم تعيين مكان لاجتماع الحكمين في دَوْمَة الجَنْدَل في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين للهجرة.

أهمية قضية التحكيم:

تعتبر قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكُتَّاب، وسطَّروها في كتبهم، معتمدين في ذكرها على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوَّهت صورة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وخصوصاً أبو موسى الأشعري رضي الله عنه الذي وصفوه بأنه كان ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة، ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم، ووصفوا

عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان صاحب مكر وخداع؛ فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين.

كيف تعامل المؤرخون مع الروايات المكذوبة في قضية التحكيم:

وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة على أنها حقائق تاريخية، وللأسف كثير من الناس قد تلقاها بالقبول دون تمحيص لها أو تدقيق. وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها[١].

نص وثيقة التحكيم (الرواية المشهورة المكذوبة):

قَالَ أَبُو مخنف[٢]: حَدَّثَنِي أَبُو جناب الكلبي أن عَمْراً وأبا مُوسَى حَيْثُ التقيا بدومة الجندل، أخذ عَمْرو يقدم أبا مُوسَى فِي الكلام، يقول: إنك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسنُّ مني، فتكلم وأتكلم، فكان عَمْرو قَدْ عوَّد أبا مُوسَى أن يقدمه فِي كل شَيْء، اغْتَزَى[٣] بِذَلِكَ كله أن يقدمه فيبدأ بخلع علي قَالَ: فنظر فِي أمرهما وما اجتمعا عَلَيْهِ، فأراده عَمْرو عَلَى مُعَاوِيَة فأبى، وأراده عَلَى ابنه فأبى، وأراد أَبُو موسى عَمْراً على عبد الله بن عمر فأبى عليه، فقال له عمرو: أخبرني مَا رأيك؟ قَالَ: رأيي أن نخلع هَذَيْنِ الرجلين، ونجعل الأمر شورى بين الْـمُسْلِمِينَ، فيختار الْـمُسْلِمُونَ لأنفسهم من أحبوا فَقَالَ لَهُ عَمْرو: فإن الرأي مَا رأيت، فأقبلا إِلَى النَّاسِ وهم مجتمعون، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أعلمهم بأن رأينا

(١) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي (ص٦٢٣ ـ ٦٢٤) بتصرف.
(٢) هو لوط بن يحيى، كذَّاب لا تقبل رواياته.
(٣) تَقُولُ الْعَرَبُ: قَدْ غَزَّ فلانٌ بِفُلَانٍ واغْتَزَّ بِهِ واغْتَزَى بِهِ إِذا اخْتَصَّه مِنْ بَيْنِ أَصحابه. لسان العرب، ابن منظور (٥/ ٣٨٨).

قَدِ اجتمع واتفق، فتكلم أَبُو مُوسَى فَقَالَ: إنَّ رأيي ورأي عَمْرو: قَدِ اتفق عَلَى أمر نرجو أن يصلح الله ﷻ بِهِ أمر هَذِهِ الأمة فَقَالَ عَمْرو: صدق وبر، يَا أَبَا مُوسَى تقدم فتكلم فتقدم أَبُو مُوسَى ليتكلم، فَقَالَ لَهُ ابن عَبَّاس: ويحك! وَالله إني لأظنه قَدْ خدعك إن كنتما قَدِ اتفقتما عَلَى أمر، فقدمه فليتكلم بِذَلِكَ الأمر قبلك، ثُمَّ تكلم أنت بعده، فإن عَمْراً رجل غادر، وَلا آمن أن يكون قَدْ أعطاك الرضا فِيمَا بينك وبينه، فإذا قمت فِي الناس خالفك ـ وكان أبو موسى مغفلاً ـ فقال له: إنا قَد اتفقنا فتقدم أَبُو مُوسَى فَحَمِدَ الله ﷻ وأثنى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إنا قَدْ نظرنا فِي أمر هَذِهِ الأمة فلم نَرَ أصلح لأمرها، وَلا ألم لشعثها من أمر قَدْ أجمع رأيي ورأي عَمْرو عَلَيْهِ، وَهُوَ أن نخلع عَلِيّاً ومعاوية، وتستقبل هَذِهِ الأمة هَذَا الأمر فيولوا مِنْهُمْ من أحبوا عَلَيْهِم، وإني قَدْ خلعت عَلِيّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولوا عَلَيْكُمْ من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثُمَّ تنحى وأقبل عَمْرو بن الْعَاصِ فقام مقامه، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: إنَّ هَذَا قَدْ قَالَ مَا سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي مُعَاوِيَة، فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه فَقَالَ أَبُو موسى: ما لك لا وفقك الله، غدرت وفجرت! إنما مثلك كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ، قَالَ عَمْرو: إنما مثلك كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً، وحمل شريح بن هانئ عَلَى عَمْرو فقنعه بالسوط، وحمل عَلَى شريح ابنٌ لعمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهم وَكَانَ شريح بعد ذَلِكَ يقول: مَا ندمت عَلَى شَيْء ندامتي عَلَى ضرب عَمْرو بالسوط ألا أكون ضربته بالسيف آتياً بِهِ الدهر مَا أتى، والتمس أهل الشام أبا مُوسَى، فركب راحلته ولحق بمكة.

قَالَ ابن عَبَّاس: قبح الله رأي أبي مُوسَى! حذرته وأمرته بالرأي فما عقل.

فكان أَبُو مُوسَى يقول: حذرني ابن عَبَّاس غدرة الفاسق، ولكني اطمأننت إِلَيْهِ، وظننت أنه لن يؤثر شَيْئاً عَلَى نصيحة الأمة ثُمَّ انصرف عَمْرو وأهل الشام إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بالخلافة، ورجع ابن عَبَّاس وشريح بن هانئ إِلَى علي، وَكَانَ إذا صلى الغداة يقنت فيقول: اللَّهُمَّ العن مُعَاوِيَة وعمراً وأبا الأعور السلمي وحبيباً وعبد الرَّحْمَن بن خَالِدٍ والضحاك بن قيس والوليد.

فبلغ ذَلِكَ مُعَاوِيَة؛ فكان إذا قنت لعن عَلِيّاً وابن عباس والأشتر وحسناً وحسيناً[1].

هذه هي الرواية المكذوبة المشهورة، والتي يتداولها كثير من المؤرخين والكُتَّاب على أنها حقيقة ثابتة لا مِرْية فيها.

أسباب عدم قبول هذه الرواية:

هذه الرواية وغيرها من الروايات المكذوبة في قضية التحكيم، وإن كانت هذه الرواية جامعة وشاملة للروايات المكذوبة، لطولها ولكثرة التفاصيل فيها، قد ثبت بطلانها وعدم صحتها من وجوه عدة منها:

١ ـ أن سندها ضعيف، فقد نقلت من طريق أبو مخنف لوط بن يحيى، فهي معلولة به، قال ابن معين عنه: ليس بثقة. وقال أبو حاتم: متروك الحديث. وقال الدارقطني: أخباري ضعيف. وقال الذهبي: أخباري تالف، لا يوثق به[2]، وأما أبو جناب الكلبي، قال يحيى القطان عنه: لا أستحل أن أروي عنه. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف[3].

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٥/ ٧٠ ـ ٧١).
(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي (٣/ ٤١٩).
(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي (٤/ ٣٧١).

٢ ـ خليفة المسلمين لا يعزله أبو موسى الأشعري ولا غيره، إذ لا يُعزل بهذه السهولة، فكيف يتفق رجلان على عزل أمير المؤمنين؟

٣ ـ أن معاوية كان يقر بفضل علي عليه، وأنه أحق بالخلافة منه، فلم ينازعه إياها ولم يطلبها لنفسه.

٤ ـ أن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة؟

٥ ـ السب والشتم المذكور في الرواية، والمنسوب إلى الصحابة رضي الله عنهم، وهذا أمر لم يعهد على هذه الثلة الطيبة الطاهرة.

٦ ـ اللعن المنسوب إلى ابن عباس وعلي ومعاوية رضي الله عنهم، وهذا كذب ومحض افتراء، وقد تم الحديث عن قضية اللعن، وبيّنا في المبحث السابق عدم صحة هذه الروايات وكذبها[١].

٧ ـ إظهار أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بصورة الضحية، ومن يسهل استغلاله وخداعه، وهذا ينافي ما هو ثابت في كتب السير والسُّنَّة والتاريخ، في فضل أبي موسى الأشعري وفطنته ودينه وفقهه، فقد ولاه النبي صلى الله عليه وسلم وأرسله مع معاذ قاضياً إلى اليمن، وكذلك ولّاه عمر ومن بعده عثمان على البصرة، ومن ثم على الكوفة، فهل يتصور أن يثق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمان من بعده برجل يمكن أن يقال عنه رجل مغفل؟ حاشاه رضي الله عنه.

٨ ـ إظهار عمرو بن العاص رضي الله عنه بصفة الرجل الخبيث والماكر والمخادع، الساعي إلى السلطة والمنصب، ونسوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

---

(١) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي (ص٦٤٣ ـ ٦٤٨). وحقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص١٢٣) بتصرف.

عنه: «**أَسْلَمَ النَّاسُ، وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ**»[١]. وهذه شهادة من رسول الله ﷺ في مكانة عمرو بن العاص رضي الله عنه.

نص وثيقة التحكيم (الرواية الصحيحة):

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ هَذَا مَا تقاضى عَلَيْهِ عَلِيّ بن أَبِي طَالِبِ ومعاوية بن أَبِي سُفْيَانَ.

٢ ـ قاضي علي عَلَى أهل الْكُوفَة ومن معهم من شيعتهم من الْمُؤْمِنِينَ والمسلمين، وقاضي مُعَاوِيَة عَلَى أهل الشام ومن كَانَ معهم من الْمُؤْمِنِينَ والمسلمين.

٣ ـ إنا ننزلُ عِنْدَ حُكْمِ الله عز وجل وكتابه، وَلا يجمع بيننا غيره، وإن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إِلَى خاتمته، نُحْيي مَا أحيا، ونُمِيتُ مَا أمات.

٤ ـ ما وَجَدَ الحكمان فِي كتاب الله عز وجل ـ وهما أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيّ عَبْد الله بن قيس وعمرو بن الْعَاصِ القرشي ـ عملا بِهِ، وما لم يجدا فِي كتاب الله عز وجل فالسُّنَّة العادلة الجامعة غير المفرقة.

٥ ـ وأخذ الحكمان من عليٍّ ومعاوية ومن الجُنْدين من العهود والميثاق والثقة مِنَ النَّاسِ، أنهما آمنان عَلَى أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار عَلَى الَّذِي يتقاضيان عَلَيْهِ.

٦ ـ وعلى الْمُؤْمِنِينَ والمسلمين من الطَّائفتين كلتيهما عهد الله

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب عمرو بن العاص رضي الله عنه (٥/ ٦٨٧)، ح(٣٨٤٤). وأحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني (٢٨/ ٦٢٩)، ح(١٧٤١٢).

وميثاقه أنَّا عَلَى مَا فِي هَذِهِ الصحيفة، وأنَّه قَدْ وَجَبَتْ قضيتهما على المؤمنين؛ فإن الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا عَلَى أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وشاهدهم وغائبهم.

٧ ـ على عَبْد الله بن قيس وعمرو بن الْعَاصِ عهد الله وميثاقه أن يَحْكُما بين هَذِهِ الأمَّة، وَلا يرداها فِي حرب وَلا فرقة حَتَّى يعصيا.

٨ ـ وأُجِّل القضاء إِلَى رمضان[١] وإن أحبا أن يؤخرا ذَلِكَ أَخَّرَاه عَلَى تراض منهما.

٩ ـ إن توفي أحد الحكمين فإن أَمِير الشيعة يختار مكانه، وَلا يألو من أهل المعدلة والقسط.

١٠ ـ إنَّ مكان قضيتهما الَّذِي يقضيان فِيهِ مكان عدل بين أهل الْكُوفَة وأهل الشام.

١١ ـ إن رضيا[٢] وأحبَّا فلا يَحْضَرْهُما فِيهِ إلَّا من أرادا، ويأخذُ الحكمان من أرادا من الشُّهود، ثُمَّ يكتبان شهادتهما عَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحيفة.

١٢ ـ وهم أنصارٌ عَلَى من ترك مَا فِي هَذِهِ الصَّحيفة، وأراد فِيها إلحاداً وظلماً.

اللَّهُمَّ إنا نستنصرك عَلَى من ترك مَا فِي هَذِهِ الصحيفة

شهد من أَصْحَاب علي: الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والأشعث بن قيس الكندي، وعبد الله بن عَبَّاسٍ، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن قيس الهمداني،

---

(١) أي: أعطي الحكمان مهلة للتفاوض والتشاور والنقاش مع أهل الفضل والعدل إلى رمضان، والكتاب في شهر صفر؛ أي: بعد سبعة أشهر تقريباً.

(٢) أي: الحكمان.

وورقاء بن سمي البجلي، والحصن والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب بن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله السلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والنعمان بن العجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية الكندي، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية، وعبد الله بن الطفيل العامري، وعقبه بن زياد الحضرمي، ويزيد بن حجية التيمي، ومالك بن كعب الهمداني.

ومن أَصْحَاب مُعَاوِيَة: أَبُو الأعور السلمي عمرو بن سفيان، وحبيب بن مسلمة الفهري، وبسر بن أرطاة القرشي، ومعاوية بن خديج الكِنْدي، والمخارق بن الْحَارِث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسكي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وخالد بن الحصين السكسكي، ومسروق بن جبلة العكي، وبسر بن يزيد الحميري، وعبد الله بن عامر القرشي، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبي، ومسعدة بن عمرو العتبي، والصباح بن جلهمة الحميري، وعبد الرحمٰن بن ذي الكلاع، وثمامة بن حوشب، وعلقمة بن الحكم، وزمل بن عَمْرو العذري، وحمزة بن مالك الهمداني، وعبد الرَّحْمَن بن خَالِد المخزومي، وسبيع بن يَزِيدَ الأَنْصَارِيّ، وعلقمة بن يَزِيدَ الأَنْصَارِيّ، وعتبة بن أَبِي سُفْيَانَ، ويزيد بن الحر العبسي(١).

هذا هو نص الوثيقة التي كُتبت، والتي من خلالها أعطيت المهلةُ

(١) انظر: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٥/ ٥٣ ـ ٥٤). والبداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦). والأخبار الطوال، الدينوري (ص١٩٤ ـ ١٩٦).

والفرصةُ لأبي موسى الأشعري، ولعمرو بن العاص رضي الله عنهما، ليحكما في القضية بين الطرفين، على أن يكون الاجتماع القادم في شهر رمضان في منطقة **أذرح**.

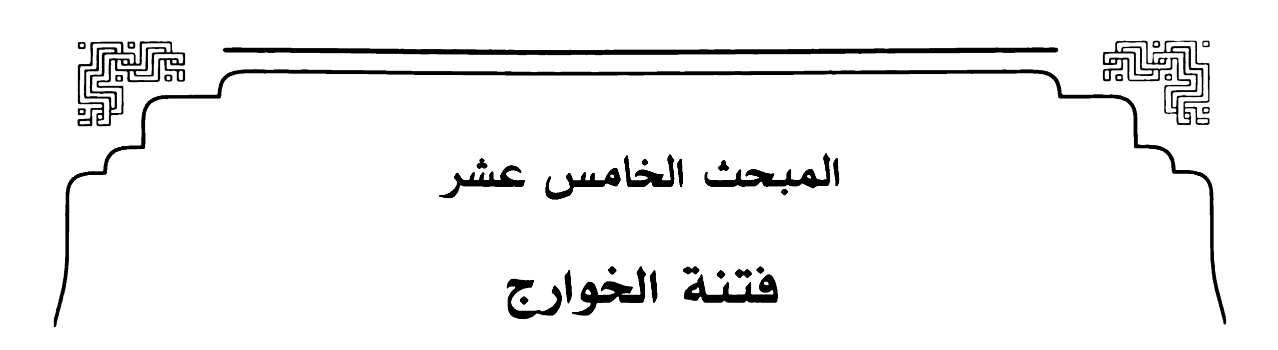
وبعدما كُتبت هذه الوثيقة، تفرق الناس كُلٌّ إلى دياره، فعاد عليٌّ بجيشه إلى الكوفة، وعاد معاوية بجيشه إلى الشام، وذلك بعدما دَفَنَ كُلُّ فريقٍ قتلاهم في موقعة صفِّين.

وبالتالي لم يُذكر أمر الخلافة في الوثيقة؛ فلم يكن التنازع على الخلافة، ولا ادَّعاها معاوية لنفسه أبداً، ولا تطلَّع إليها، ومن ثم اكتفى الحكمان بتهدئة الأمور، ولم يفصلا في محوري الخلاف، وهما طلب علي البيعة من معاوية وأهل الشام، وطلب معاوية وأهل الشام من عليٍّ القصاص أولاً من قتلة عثمان؛ فلم تكن الظروف تسمح بالفصل في هذين الأمرين، وهما محور الخلاف[1].

في طريق عودة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بجيشه إلى الكوفة، سرعان ما اشتعلت نارُ فتنةٍ حارقة جديدة في جيشه، وهي «**فتنة الخوارج**»، الذين خرجوا عليه في صفين لقبوله التحكيم، ثم تضاعفت مشكلتهم، وتطورت فيما بعد.



(١) انظر: الفتنة بين الصحابة، محمد حسان (ص٢٧٧).



المبحث الخامس عشر

فتنة الخوارج

كانت بداية أمر الخوارج أثناء معركة صفين، فعندما رضيَ علي رضي الله عنه بالتحكيم أثناء المعركة، ذهب الأشعثُ بن قيس الكندي إلى بني تميم، يخبرهم بالتحكيم، فقامَ إليه «**عُرْوَةُ بن جرير التميمي**» وقال عبارة، أصبحت دستورَ الخوارج وشعارهم فيما بعد.

قال: **أتحكِّمون الرجال في دين الله؟**

فصار الخوارج بعده يقولون: **لَا حُكْمَ إِلَّا لله**. فقال لهم عليٌّ رضي الله عنه: **كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ**[(١)].

ولما وصل علي رضي الله عنه الكوفة، انفصل عنه اثنا عشر ألفاً من جيشه، وخرجوا عليه؛ لأنه رضيَ بالتحكيم، وبذلك حكَّمَ الرجالَ في دين الله، مع أنه لا حكْمَ إلا لله، وبذلك يكون قد كفر، وخرج من دين الله، ويجبُ أنْ يقاتَلَ لكفره ورِدَّتِه[(٢)].

- سبب التسمية (الخوارج) (الشراة) (الحرورية) (المُحَكِّمة) (القُرَّاء):

الخوارج: سموا بهذا الاسم؛ لأنهم خرجوا على علي رضي الله عنه، ورفضوا طاعته وهو ولي الأمر وحاكم المسلمين.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (٢/ ٧٤٩)، ح(١٠٦٦).

(٢) انظر: الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص٢٦٧) بتصرف.

الشراة: سموا بهذا الاسم «شراة»؛ لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله؛ أي: بعناها بالجنة.

الحرورية: سموا بهذا الاسم؛ لنزولهم بحروراء في أول أمرهم. وبذلك لم يدخلوا مع علي إلى الكوفة لما رجع من صفين، وإنما ذهبوا إلى قرية تُسمى «حَروراء» فسُمّوا الحرورية باسمها وهي مدينة قريبة من الكوفة.

المُحَكِّمة: سموا بهذا الاسم؛ لإنكارهم الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا لله.

القُرَّاء: سموا بهذا الاسم؛ لأنهم قالوا بأنهم لا يقبلوا إلا القرآن وكل شيء ما عدا القرآن لا يقبلوه أبداً.

ـ إخبار النبي ﷺ عن الخوارج:

* عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِي رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنَ اليَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ[1] فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ[2]، لَمْ تُحَصَّلْ[3] مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ، وَزَيْدِ الخَيْلِ، وَالرَّابِعُ: إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **«أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً»** قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ[4]، مُشْرِفُ[5] الوَجْنَتَيْنِ،

---

(١) تصغير ذهبة وهي قطعة من الذهب.

(٢) جلد مدبوغ بالقرظ وهو نبت معروف لديهم.

(٣) أي: أنها غير مسبوكة ولم تخلص من التراب.

(٤) عيناه داخلتان في محاجرهما لاصقتان بقعر الحدقة.

(٥) بارز.

نَاشِزُ الجَبْهَةِ، كَثُّ(١) اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ(٢)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله اتَّقِ الله، قَالَ: «**وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ الله**»، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: «**لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي**»، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ(٣) عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**»، قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ(٤)، فَقَالَ: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ(٥) هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ الله رَطْباً(٦)، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ(٧)، يَمْرُقُونَ(٨) مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(٩)، وَأَظُنُّهُ قَالَ: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ**(١٠)»(١١).

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ الله بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ**»، قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ:

---

(١) كثير شعر اللحية.
(٢) إزاره مرفوع عن كعبه.
(٣) أفتح وأشُق.
(٤) وهو مُوَلٍّ ومُدْبِر.
(٥) أصل.
(٦) سهلاً يواظبون على قراءته ويجودونه.
(٧) أي: لا يؤثر في قلوبهم فلا يرفع في الأعمال الصالحة ولا يقبل منهم.
(٨) يخرجون بسرعة.
(٩) الصيد المرمي، يصيبه السهم فينفذ من ناحية إلى أخرى ويخرج دون أن يعلق به دم لسرعته.
(١٠) أي: أستأصلهم بالقتل كما استؤصلت ثمود.
(١١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب... (٥/ ١٦٣)، ح(٤٣٥١). ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤١)، ح(١٠٦٤).

«دَعْهُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ(١)، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ(٢) مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ(٣)، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ(٤) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ(٥) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ(٦) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ(٧) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ(٨)، آيَتُهُمْ(٩) رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْ قَالَ: ثَدْيَيْهِ، مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ البَضْعَةِ(١٠) تَدَرْدَرُ(١١)، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»(١٢)، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ(١٣) النَّبِيُّ ﷺ(١٤).

---

(١) أي: يجد صلاته قليلة ويظنها أقل ثواباً وقبولاً إذا قارنها مع صلاتهم.
(٢) أي: يخرجون منه سريعاً دون أن يستفيدوا منه.
(٣) هو الصيد المرمي شبه مروقهم من الدين بمروق السهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه دون أن يعلق به شيء منه لشدة سرعة خروجه.
(٤) القذذ: ريش السهم واحدتها قذة.
(٥) حديدة رأس السهم.
(٦) رصافة: يقال: رصف السهم إذا شده بالرصاف، وهو عقب يلوي على مدخل النصل فيه.
(٧) النضي: كغني السهم بلا نصل ولا ريش.
(٨) أي: لم يتعلق به شيء منهما لشدة سرعته، والفرث ما يجتمع في الكرش مما تأكله ذوات الكروش.
(٩) أي: علامتهم.
(١٠) قطعة اللحم.
(١١) تضطرب وتذهب وتجيء.
(١٢) ضبطوه في الصحيحين بوجهين **أحدهما**: حين فُرقة؛ أي: وقت افتراق الناس؛ أي: افتراق يقع بين المسلمين وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية، **والثاني**: خير فِرقة؛ أي: أفضل الفرقتين، والأول أكثر وأشهر ويؤيده الرواية التي بعد هذه يخرجون في فُرقة من الناس فإنه بضم الفاء بلا خلاف ومعناه ظاهر.
(١٣) أي: على وصفه الذي وصفه وحدده. شرح المفردات مأخوذة من تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري. ومحمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم.
(١٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم، =

* وعَنْ يُسَيْرُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: قُلْتُ لِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي الخَوَارِجِ شَيْئاً؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ، وَأَهْوَى بِيَدِهِ قِبَلَ العِرَاقِ: «**يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَؤونَ القُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١).

ففي هذه الأحاديث الثلاثة ذم واضح لفرقة الخوارج، فقد وصفهم ﷺ بأنهم طائفة مارقة، وأنهم يتشددون في الدِّين في غير موضع التشدد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعاً لم يتمسكوا منه بشيء، كما اشتمل الحديث الثاني في هذه الأحاديث الثلاثة أنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به ﷺ، وفي قوله ﷺ: «**لا يجاوز تراقيهم**» احتمالان:

١ ـ يحتمل أنه لكونه لا تفقهه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به.

٢ ـ يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله(٢)(٣).

ومن الأحاديث التي ذكرت أيضاً بعض صفات الخوارج:

* عَنْ سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ، قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ حَدِيثاً، فَوَالله لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

= باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس عنه (٩/ ١٧)، ح(٦٩٣٣). ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤٤)، ح(١٠٦٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس عنه (٩/ ١٧)، ح(٦٩٣٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٦١٨).

(٣) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي (ص٦٧٥ ـ ٦٧٦).

أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الحَرْبَ خِدْعَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ**[١]**، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ**[٢]**، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ**[٣]**، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْراً لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٤].

فقد ذكر في هذا الحديث أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم؛ وهو عليهم[٥].

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَيَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»[٦].

وهذا الحديث يشير إلى عدة دلالات:

---

(١) الْمُرَادَ بِآخِرِ الزَّمَانِ زَمَانُ خِلَافَةِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّ فِي حَدِيث سفينة الْمخرج فِي السّنَن وصحيح ابن حِبَّانَ وَغَيْرِهِ مَرْفُوعاً «**الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَصِيرُ مُلْكاً**» وَكَانَتْ قِصَّةُ الْخَوَارِجِ وَقَتْلُهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِدُونِ الثَّلَاثِينَ بِنَحْوِ سَنَتَيْنِ. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١٢/ ٢٨٧).

(٢) صغار السن، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١٢/ ٢٨٧).

(٣) جَمْعُ: حِلْم بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَالْمُرَادُ بِهِ الْعَقْلُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ عُقُولَهُمْ رَدِيئَةٌ، قَالَ النَّوَوِيُّ: يُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ التَّثَبُّتَ وَقُوَّةَ الْبَصِيرَةِ تَكُونُ عِنْدَ كَمَالِ السِّنِّ وَكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَقُوَّةِ الْعَقْلِ. المرجع نفسه (١٢/ ٢٨٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس عنه (٩/ ١٧)، ح(٦٩٣٠). ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤٥ ـ ٧٤٦)، ح(١٠٦٦).

(٥) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي (ص٦٧٦).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤٦)، ح(١٠٦٤).

١ ـ إثبات النبوة، حيث أخبر رسول الله ﷺ عن خروجهم، وقد خرجوا فعلاً بعد سنوات عديدة.

٢ ـ خروجهم أثناء افتراق واختلاف المسلمين، كما حصل يوم صفين.

٣ ـ الحكم بإسلام الفرقتين المختلفتين، جيش علي، وجيش معاوية رضي الله عنهم.

٤ ـ الحكم بأن الفِرقة التي تقاتل الخوارج هي أولى الطائفتين بالحق. وهذا يعني أن علياً وأصحابه هم أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه، مع أن معاوية وأصحابه كانوا على الحق، ولكنَّ علياً وأصحابه الأولى والأقرب إلى الحق[1].

ـ ابن عباس يُناظر الخوارج:

لما خرجَ الخوارج على علي رضي الله عنه، وذهبوا إلى حروراء، أمَّروا عليهم «**عبد الله بن وهب الراسبي**».

أراد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن يقضي على فتنتهم، وخصوصاً بعد أن بلغه أنهم عيَّنوا أميراً لهم، مما يعني انفصالهم عن جماعة المسلمين، وقد كان علي رضي الله عنه حريصاً على إرجاعهم إلى جماعة المسلمين؛ فأرسل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لمناظرتهم.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ اجْتَمَعُوا فِي دَارٍ، وَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ، أَتَيْتُ عَلِيّاً رضي الله عنه فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ بِالظُّهْرِ لَعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأُكَلِّمَهُمْ، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ، قَالَ:

(١) الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص٢٦٨).

قُلْتُ: كَلَّا، قَالَ: فَخَرَجْتُ آتِيهِمْ، وَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلَلِ الْيَمَنِ، فَأَتَيْتُهُمْ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي دَارٍ، وَهُمْ قَائِلُونَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: مَرْحباً بِكَ يَا أَبَا عَبَّاسٍ، فَمَا هَذِهِ الْحُلَّةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا تَعِيبُونَ عَلَيَّ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْحُلَلِ، وَنَـزَلَـتْ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ...﴾ [الأعراف: ٣٢].

قَالُوا: **فَمَا جَاءَ بِكَ؟**

قُلْتُ: **أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، لِأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ، وَتُخْبِرُونَ بِمَا تَقُولُونَ، فَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِنْكُمْ، وَفِيهِمْ أُنْزِلَ وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.**

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: **لَا تُخَاصِمُوا قُرَيْشاً؛ فَإِنَّ الله يَقُولُ:** ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **وَأَتَيْتُ قَوْماً لَمْ أَرَ قَوْماً قط أَشَدَّ اجْتِهَاداً مِنْهُم، مُسَهَّمَةً وُجُوهُهُمْ مِنَ السَّهَرِ؛ كَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ وَرُكَبَهُمْ ثَفِنٌ، عَلَيْهِمْ قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ.**

قَالَ بَعْضُهُمْ: **لَنُكَلِّمَنَّهُ وَلَنَنْظُرَنَّ مَا يَقُولُ.**

قُلْتُ: **أَخْبِرُونِي مَاذَا نَقَمْتُمْ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ وَصِهْرِهِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؟**

قَالُوا: **ثَلَاثاً.**

قُلْتُ: **مَا هُنَّ؟**

(الحجة الأولى): قَالُوا: **أَمَّا إِحْدَاهُنَّ، فَإِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللهِ، قَالَ اللهُ** ﷻ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، **وَمَا لِلرِّجَالِ وَمَا لِلْحُكْمِ؟**

فَقُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

(الحجة الثانية): قَالُوا: وَأَمَّا الْأُخْرَى؛ فَإِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، فَلَئِنْ كَانَ الَّذِينَ قَاتَلَ كُفَّاراً لَقَدْ حَلَّ سَبْيُهُمْ وَغَنِيمَتُهُمْ، وَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَا حَلَّ قِتَالُهُمْ.

قُلْتُ: هَذِهِ ثِنْتَانِ، فَمَا الثَّالِثَةُ؟

(الحجة الثالثة): قَالُوا: إِنَّهُ مَحَا اسْمَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ.

قُلْتُ: أَعِنْدَكُمْ سِوَى هَذَا؟

قَالُوا: حَسْبُنَا هَذَا.

فَقُلْتُ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا يَرُدُّ بِهِ قَوْلَكُمْ أَتَرْضَوْنَ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

(الرد الأول): فَقُلْتُ لَهُمْ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللهِ، فَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ مَا قَدْ رَدَّ حُكْمَهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعِ دِرْهَم فِي أَرْنَبٍ وَنَحْوِهَا مِنَ الصَّيْدِ، فَقَالَ الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥]، فَنَشَدْتُكُمْ بِاللهِ أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي أَرْنَبٍ وَنَحْوِهَا مِنَ الصَّيْدِ أَفْضَلُ أَمْ حُكْمُهُمْ فِي دِمَائِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، وَأَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَوْ شَاءَ لَحَكَمَ وَلَمْ يُصَيِّرْ ذَلِكَ إِلَى الرِّجَالِ، وَفِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٥]، فَجَعَلَ اللهُ حُكْمَ الرِّجَالِ سُنَّةً مَاضِيَةً، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

(الرد الثاني): قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: قَاتَلَ فَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، أَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ، ثُمَّ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا ما يُسْتَحَلُّ مِنْ غَيْرِهَا؟ فَلَئِنْ فَعَلْتُمْ لَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَهِيَ أُمُّكُمْ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ: لَيْسَتْ بِأُمِّنَا لَقَدْ كَفَرْتُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ...﴾ [الأحزاب: ٦]، فَأَنْتُمْ تَدُورُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، أَيُّهُمَا صِرْتُمْ إِلَيْهَا صِرْتُمْ إِلَى ضَلَالَةٍ، فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قُلْتُ: أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

(الرد الثالث): قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَأَنَا آتِيكُمْ بِمَنْ تَرْضَوْنَ، أُرِيكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ كَاتَبَ الْمُشْرِكِينَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَأَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: «اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَا وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولَ اللهِ مَا قَاتَلْنَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُكَ، اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ»، فَوَاللهِ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ، وَمَا أَخْرَجَهُ مِنَ النُّبُوَّةِ حِينَ مَحَا نَفْسَهُ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: فَرَجَعَ مِنَ الْقَوْمِ أَلْفَانِ، وَقُتِلَ سَائِرُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ[١].

أقام ابن عباس عندهم ثلاثة أيام، وبعدها رجع إلى الكوفة ومعه ما

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الخصائص، ذكر مناظرة عبد الله بن عباس الحرورية.. (٧/ ٤٨٠ ـ ٤٨١)، ح(٨٥٢٢). والحاكم في المستدرك، كتاب قتال أهل البغي وهو خير الجهاد (٢/ ١٦٤)، ح(٢٦٥٦). والبيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب الرعاة، باب لا يبدأ الخوارج بالقتال.. (٨/ ٣٠٩)، ح(١٦٧٤٠).

يقارب نصفهم، فقد أعلنوا توبتهم، وعودتهم إلى جماعة المسلمين.

وقد ذكر الدكتور علي محمد الصلابي مجموعة من **الدروس والعبر** المستفادة من مناظرة عبد الله بن عباس للخوارج منها:

١ ـ **حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم**: فقد اختار أمير المؤمنين علي ﵁ ابن عمه عبد الله بن عباس، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن؛ لأن القوم كانوا يعرفون بالقراء ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم من هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، ويمكن القول بأن ابن عباس ﵄ هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلي بالحلم والصبر، والتريث والترفق بالخصم، وحسن الاستماع لكل الخصوم، وتجنب المماراة، ووضوح الحجة وقوة الدليل.

٢ ـ **الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق**: فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسُنَّة نبيّه محمد ﷺ وكذلك كان عبد الله بن عباس ﵄ حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سُنَّة نبيّه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟، ومع هذا فإن عبد الله بن عباس ﵄ يستوثق منهم قبل بداية المناظرة.

٣ ـ **معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها**: والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، ونتوقع أن أمير المؤمنين علي ﵁ علم بحججهم قبل مناظرتهم، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

٤ ـ **تفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى**: حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس ﵄ في مناظرته لهم كلما فرغ من تفنيد حجة قال: أخرجت من هذه؟.

٥ ـ **التقديم للمناظرة بما يخدم نتيجتها لصالح الحق**: فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في بداية الأمر وقبل المناظرة: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم أحد منهم.

٦ ـ **إظهار احترام رأي الخصم أثناء المناظرة**: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج.

٧ ـ **قول ابن عباس رضي الله عنهما: وليس فيكم منهم أحد**: هذا نص صريح من ابن عباس رضي الله عنهما في كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يعترض عليه أحد من الخوراج، والرواية صحيحة وثابتة، وأما الزعم أن الخوارج كان فيهم بعض الصحابة فذلك عند المذهب الخارجي، وليس لهم دليل علمي موثوق به على قولهم.

٨ ـ **تحديد المرجعية**: في قول ابن عباس رضي الله عنهما: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسُنَّة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟، قالوا: نعم. ففي كلام ابن عباس هذا درس مهم، ألا وهو تحديد المرجعية للمتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة[1].

ـ إخبار النبي ﷺ عن مقاتلة علي للخوارج:

لقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن علياً رضي الله عنه سيقاتل الخوارج، ودليل ذلك:

* **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَانْقَطَعَتْ نَعْلُهُ**

---

(١) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي (ص٦٨١ ـ ٦٨٣) بتصرف.

فَتَخَلَّفَ عَلِيٌّ يَخْصِفُهَا فَمَشَى قَلِيلاً ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ**» فَاسْتَشْرَفَ لَهَا الْقَوْمُ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا هُوَ، قَالَ: «**لَا**» قَالَ عُمَرُ: أَنَا هُوَ، قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ خَاصِفُ النَّعْلِ**» - يَعْنِي عَلِيّاً - فَأَتَيْنَاهُ فَبَشَّرْنَاهُ، فَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسَهُ كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ[1].

- موقف علي من الخوارج:

أرسل علي رضي الله عنه إلى الخوارج قائلاً: «**بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً، ولا تقطعوا سبيلاً، ولا تظلموا ذمّياً، ونحن لا نمنعُكم مساجد الله، ولا نبدؤكم بالقتال حتى تبدؤونا**»[2].

فَعَنْ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ عَنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ أَمُشْرِكُونَ هُمْ؟ فَقَالَ: **مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا**. قِيلَ: أَمُنَافِقُونَ هُمْ؟ قَالَ: **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ الله إِلَّا قَلِيلاً**. فَقِيلَ: فَمَا هُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: **إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ عَلَيْنَا**[3].

هكذا كان رأي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فلم يمنعهم من الصلاة معه في المسجد، أو من نصيبهم في الغنائم إذا شاركوا في القتال، ولا يقاتلهم حتى يقاتلوه.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الخصائص (٧/ ٤٦٦)، ح(٨٤٨٨). والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة (٣/ ١٣٢)، ح(٤٦٢١). وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه على التأويل (١٥/ ٣٨٥)، ح(٦٩٣٧). وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٦/ ٣٦٧)، ح(٣٢٠٨٢).

(٢) الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص٢٦٩).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٥٩١).

كذلك لم يتجسس عليهم، أو يزج بهم في السجون، ولم يضيق عليهم أبداً، وكان دائماً ما يحاول أن يناظرهم ويثبت لهم الحق بالحجة والدليل.

ـ اجتماع الحكمين في منطقة أَذْرُح:

في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين، حان موعدُ اجتماع الحَكَمين، كما اتفقوا في صفين.

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى حكماً، طلبوا منه الامتناع عن ذلك؛ فأبى علي عليهم ذلك، وبيَّن لهم أن هذا يعد غدراً ونقضاً للأيمان والعهود، فقرر الخوارج عندها الانفصال عن أمير المؤمنين علي وتعيين أمير عليهم.

التقى الحكمان في **أَذْرُح**، ـ وهي من أعمال دَوْمَةِ الجَنْدَل ـ في ذلك الوقت.

أراد بعضُ المسلمين إشراك سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في التحكيم، ولكنه رفض، ولم تنفع كل المحاولات في إقناعه، فهو من الذين اعتزلوا الفتنة من بدايتها.

ولا بد من العلم أنه عند التقاء الحكمين في أذرح لم يكن هنالك إلا خليفة واحد وهو علي رضي الله عنه، أما معاوية فلم يدَّعِ الخلافة، ولم يقدم نفسه للناس على أنه الأَولى بالخلافة من علي، وقد ذكرنا هذا الكلام سابقاً.

ـ الصورة أمام الحكمان:

كانت الصورة أمام الحكَمَيْن هكذا: فريقٌ من المسلمين بايع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفريق آخر لم يبايع، وهم معاوية وأهل الشام، لا طعناً

في أهلية علي، ولا منازعة له في الخلافة، ولكن لأنَّ استخلافه لم يتم على الأصول الصحيحة ـ في نظرهم ـ ولم يبايعه جميع الصحابة؛ كذلك إنكارهم على علي أنه لم يستطع إقامة الحد حتى الآن على قتلة عثمان، ثم إن قتلة عثمان يحاربون في جيش علي، كما أن استخلاف علي أدى إلى فرقة وتقاتل بين المسلمين كما في الجمل وصفين.

فهل من المناسب مع كلِّ هذا أن يبقى علي رضي الله عنه أميراً للمؤمنين؟ وإن استمرَّ على ذلك فستبقى الحروب بين المسلمين؟ أم يتخلى عن الأمر، ويعود الأمر إلى أهل الحل والعقد من الصحابة، ليختاروا المناسب أميراً، والذي تجتمع عليه كلمة المسلمين.

لقد اتفق أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص على أن يَعْهدا بأمرِ الخلافة إلى أصحابها، وهم أهلُ الحَلِّ والعقد من الصحابة، وهم الصحابة الذين بقوا أحياء، والذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض. من أمثال: علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم. وهم الذين كانوا في الشورى عند اختيار عثمان رضي الله عنه.

اتفق الحكمان على أن يلتقي أعيان الصحابة هؤلاء، وأنْ يختاروا من بينهم أميراً للمؤمنين، وأنْ يُبايعوه عن رضى في ذلك، ثم يبايعه المسلمون في جميع الأمصار والبلدان.

ومعنى هذا الاتفاق ترك علي الآن للخلافة؛ لأنه لم يرضَ جميع المسلمين به خليفة، فإذا ما أعيد اختياره من أهل الحل والعقد بايعه الكل بذلك، وإلا فهو يبايع من يرضى به أهل الحل والعقد أميراً للمؤمنين.

واتفق الحكمان على أنه إلى حين اجتماع أهل الحل والعقد، يبقى

علي متصرفاً في البلاد التي تحت يده، وهي العراق والحجاز واليمن، ويبقى معاوية متصرفاً في البلاد التي تحت يده، وهي الشام ومصر وإفريقية، وتقع الهدنة بينهما(١).

ـ ما بعد قرار الحكمين:

لما انتهى التحكيم بدون اتفاق، بقيت الشام هادئة، تابعة لمعاوية، أما علي فقد تفاقمت مشكلة الخوارج عنده.

فقد خرجوا إلى «**النَّهْرَوان**»، وشكلوا هناك جيشاً، وأمَّروا عليهم أوَّلَ أمير لهم، وهو عبد الله بن وهب الراسبي(٢).

معركة النهروان (سنة ٣٨هـ):

ـ سبب المعركة:

يعتبر السبب الرئيسي للمعركة الفساد والخوف الذي نشره الخوارج في تلك المنطقة، حيث سفكوا دماء المسلمين، وقطعوا عليهم الطرق، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وأول جريمة قتلٍ وقعت منهم، كانت في حق أحد أصحاب رسول الله ﷺ، وهو «**عبد الله بن خبّاب بن الأرَت**» رضي الله عنهما وزوجته وهي حبلى.

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ قَتَلُوهُ عَبْدُ الله بْنُ خَبَّابٍ رضي الله عنهما صَاحِبُ رَسُولِ الله، ﷺ، أَسَرُوهُ وَامْرَأَتَهُ مَعَهُ وَهِيَ حَامِلٌ. فَقَالُوا لَهُ: **مَنْ أَنْتَ؟**

فَقَالَ: **أَنَا عَبْدُ الله بْنُ خَبَّابٍ صَاحِبُ رَسُولِ الله ﷺ. وَأَنْتُمْ قَدْ رَوَّعْتُمُونِي.**

(١) انظر: الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص٢٧٢ ـ ٢٧٤) بتصرف.

(٢) الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص٢٧٥).

فَقَالُوا: **لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، حَدِّثْنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ أَبِيكَ.**

فَقَالَ: **سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي».**

فَقَادُوهُ بِيَدِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَهُمْ إِذْ لَقِيَ بَعْضُهُمْ خِنْزِيراً لِبَعْضِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَضَرَبَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفِهِ فَشَقَّ جِلْدَهُ، فَقَالَ لَهُ آخَرُ: **لِمَ فَعَلْتَ هَذَا وَهُوَ لِذِمِّيٍّ؟** فَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الذِّمِّيِّ فَاسْتَحَلَّهُ وَأَرْضَاهُ. وَبَيْنَمَا هُوَ مَعَهُمْ إِذْ سَقَطَتْ تَمْرَةٌ مِنْ نَخْلَةٍ فَأَخَذَهَا أَحَدُهُمْ فَأَلْقَاهَا فِي فَمِهِ، فَقَالَ لَهُ آخَرُ: **بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلَا ثَمَنٍ؟** فَأَلْقَاهَا ذَاكَ مِنْ فَمِهِ، وَمَعَ هَذَا قَدَّمُوا عَبْدَ الله بْنَ خَبَّابٍ فَذَبَحُوهُ، وَجَاؤوا إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَتْ: **إِنِّي امْرَأَةٌ حُبْلَى أَلَا تَتَّقُونَ الله،** ﷻ! فَذَبَحُوهَا وَبَقَرُوا بَطْنَهَا عَنْ وَلَدِهَا، فَلَمَّا بَلَغَ النَّاسَ هَذَا مِنْ صَنِيعِهِمْ، خَافُوا إِنْ هُمْ ذَهَبُوا إِلَى الشَّامِ وَاشْتَغَلُوا بِقِتَالٍ أَنْ يَخْلُفَهُمْ هَؤُلَاءِ فِي ذَرَارِيِّهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَيَفْعَلُوا هَذَا الصَّنِيعَ، فَخَافُوا غَائِلَتَهُمْ، وَأَشَارُوا عَلَى عَلِيٍّ بِأَنْ يَبْدَأَ بِهِمْ، ثُمَّ إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ سَارُوا مَعَهُ إِلَى الشَّامِ، وَالنَّاسُ آمِنُونَ مِنْ شَرِّهِمْ؛ فَاجْتَمَعَ الرَّأْيُ عَلَى هَذَا وَفِيهِ خِيَرَةٌ عَظِيمَةٌ لَهُمْ وَلِأَهْلِ الشَّامِ أَيْضاً؛ إِذْ لَوْ قَوُوا هَؤُلَاءِ لَأَفْسَدُوا الْأَرْضَ كُلَّهَا عِرَاقاً وَشَاماً، وَلَمْ يَتْرُكُوا طِفْلاً وَلَا طِفْلَةً وَلَا رَجُلاً وَلَا امْرَأَةً؛ لِأَنَّ النَّاسَ عِنْدَهُمْ قَدْ فَسَدُوا فَسَاداً لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ جُمْلَةً.

فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمُ الْحَارِثَ بْنَ مُرَّةَ الْعَبْدِيَّ، وَقَالَ لَهُ: **اخْبُرْ لِي خَبَرَهُمْ، وَاعْلَمْ لِي أَمْرَهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَيَّ بِهِ عَلَى الْجَلِيَّةِ.**

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْحَارِثُ قَتَلُوهُ وَلَمْ يُنْظِرُوهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيّاً سَارَ

إِلَيْهِمْ وَتَرَكَ أَهْلَ الشَّامِ[١].

ـ الخروج إلى النهروان ونشوب القتال:

خرج علي رضي الله عنه بجيشه من الكوفة إلى النهروان، وعسكر في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشه أن لا يبدؤوا بالقتال حتى يجتاز الخوارج النهر.

أرسل لهم علي رضي الله عنه كثيراً يناشدهم الله أن يرجعوا، ولكنهم قتلوا الرسل، وقاموا باجتياز النهر بهدف قتال جيش علي رضي الله عنه.

ـ حرص أمير المؤمنين على عدم إرقة الدماء:

عند ذلك أدرك علي رضي الله عنه أن الأمر واقع لا محالة، فقام بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال.

وأمر علي أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، وكان هذا سبب انصراف كثيرين منهم، وكانوا ما يقارب الأربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي.

بدأت المعركة بين الطرفين، وكان الخوارج يرددون وهم يقاتلون: إن الحكم إلا لله، الروح الروح إلى الجنة.

ـ قادة الخوارج بين القتلى:

لم يستطع الخوارج الصمود كثيراً أمام جيش علي رضي الله عنه، كما وقتل أمراؤهم في المعركة وهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخيرة السلمي.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ٥٨٥).

وقد كانت المعركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتاً من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة.

- عدد القتلى:

وأسفرت المعركة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج، أما بالنسبة لجيش علي رضي الله عنه، فلم يزد على اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلاً، فقد روى ابن أبي شيبة ذلك فقال: **«وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ اثْنَا عَشَرَ أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ»**[1]. وقيل: أقل من ذلك.

- ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه:

لقد أخبر النبي ﷺ عن هذه المعركة، وتحدث عن وصف دقيق لرجل من الخوارج يكون في هذه المعركة وسيقتل فيها، وقد أمر علي رضي الله عنه الجيش بعد انتهاء المعركة أن يبحثوا عنه وأنه بين القتلى ويخرجوه، وهذا نص الحديث:

عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه، الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ.

فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»**، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ،

---

(١) انظر: المصنف، ابن أبي شيبة، كتاب الجمل، باب ما ذكر في الخوارج (٧/ ٥٥٥)، ح(٣٧٨٩٨).

مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، **«وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلاً لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»**.

فَتَذْهَبُونَ[1] إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ.

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلاً، حَتَّى قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ[2]، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: **الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ**، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاساً قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، **فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ**، ثُمَّ قَالَ: **صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ**، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثاً، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ»[3].

---

(١) هذا من كلام علي رضي الله عنه.

(٢) أي: من جيش علي رضي الله عنه. وهذه رواية أخرى تدلل على قلَّة قتلى جيش علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتال الخوارج (٢/ ٧٤٨)، ح(١٠٦٦).

وفي رواية في مسند الإمام أحمد: «**فَخَرَرْنَا سُجُوداً، وَخَرَّ عَلِيٌّ مَعَنَا سَاجِداً**»[١].

إذاً علم أنه على الحق رضي الله عنه، وأنه مصيب في قتاله حتى لأهل الشام، وأنه أولى بالحق من معاوية رضي الله عنهم.

ـ ما بعد معركة النهروان:

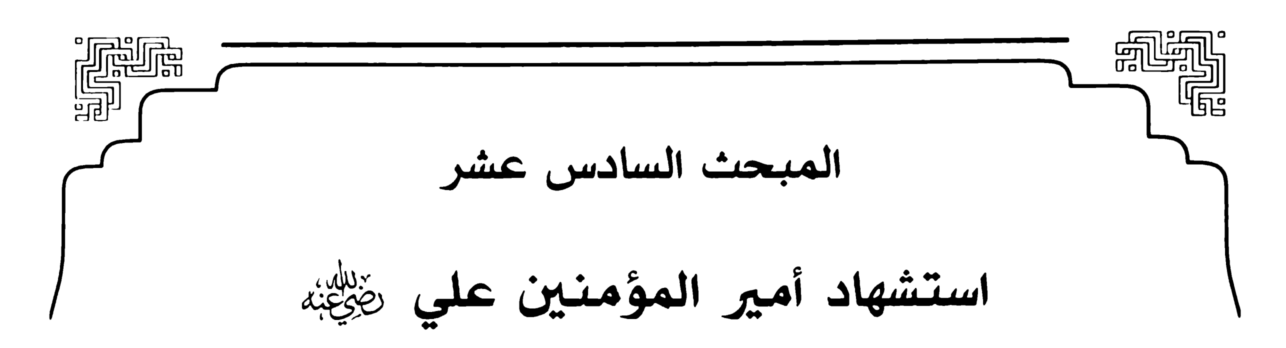
أراد علي رضي الله عنه، بعد الانتهاء من الخوارج، الخروج لقتال أهل الشام، ولكن الحروب التي قام بها، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، كما تسببت في تفكك وتصدع الجيش وتفرق كلمتهم، فاضطر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في سنة أربعين للهجرة أن يوافق لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على أن يكون العراق له، والشام لمعاوية، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[٢].

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): «**وفي هَذِهِ السنة ـ أربعين ـ جرت بين علي وبين مُعَاوِيَة المهادنة ـ بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب ـ عَلَى وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما عَلَى صاحبه فِي عمله بجيش وَلا غارة وَلا غزو**»[٣].



---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢/ ١٢٢)، ح(١٢٥٦).
(٢) انظر: علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي (ص٩٥٢ ـ ٩٥٣).
(٣) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٥/ ١٤٠).



المبحث السادس عشر

استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه

لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحاً غائراً لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاماً وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يقتلوا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان.

ـ رواية الطبراني في مقتل علي رضي الله عنه:

روى الطبراني في المعجم الكبير فقال: كَانَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللهُ وَأَصْحَابَهُ، أَنَّ **عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُلْجَمٍ وَالْبَرْكَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، وَعَمْرَو بْنَ بَكْرٍ التَّمِيمِيَّ**، اجْتَمَعُوا بِمَكَّةَ فَذَكَرُوا أَمْرَ النَّاسِ، وَعَابُوا عَمَلَ وُلَاتِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَهْلَ النَّهَرِ[1] فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ.

فَقَالُوا: **وَاللهِ مَا نَصْنَعُ بِالْبَقَاءِ بَعْدَهُمْ شَيْئاً، إِخْوَانُنَا الَّذِينَ كَانُوا دُعَاةَ النَّاسِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِمُ الَّذِينَ كَانُوا لَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَلَوْ شَرَيْنَا أَنْفُسَنَا؛ فَأَتَيْنَا أَئِمَّةَ الضَّلَالَةِ[2] فَالْتَمَسْنَا قَتْلَهُمْ، فَأَرَحْنَا مِنْهُمُ الْبِلَادَ وَثَأَرْنَا بِهِمْ لِإِخْوَانِنَا.**

قَالَ ابْنُ مُلْجَمٍ ـ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ـ: **أَنَا أَكْفِيكُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ.**

---

(١) أي: أهل معركة النهروان، وما حدث بهم.

(٢) يقصدون علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم.

وَقَالَ الْبَرْكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: **أَنَا أَكْفِيكُمْ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ**.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ بَكْرٍ التَّمِيمِيُّ: **أَنَا أَكْفِيكُمْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ**.

فَتَعَاهَدُوا وَتَوَاثَقُوا بِاللهِ، لَا يَنْكُصُ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَنْ صَاحِبِهِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ، أَوْ يَمُوتَ دُونَهُ، فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ، فَسَمُّوها وَاتَّعَدُوا **لِسَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ**(١) أَنْ يَثِبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى الْمِصْرِ الَّذِي فِيهِ صَاحِبُهُ الَّذِي يَطْلُبُ.

- ابن ملجم في الكوفة:

فَأَمَّا ابْنُ الْمُلْجَمِ الْمُرَادِيُّ؛ فَأَتَى أَصْحَابَهُ بِالْكُوفَةِ وَكَاتَمَهُمْ أَمْرَهُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُظْهِرُوا شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ لَقِيَ أَصْحَاباً لَهُ مِنْ تَيْمِ الرَّبَابِ وَقَدْ قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مِنْهُمْ عِدَّةً يَوْمَ النَّهَرِ، فَذَكَرُوا قَتْلَاهُمْ فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَلَقِيَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ تَيْمِ الرَّبَابِ يُقَالُ لَهَا: قَطَامُ بِنْتُ الشَّحنةِ، وَقَدْ قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَبَاهَا، وَأَخَاهَا يَوْمَ النَّهَرِ، وَكَانَتْ فَائِقَةَ الْجَمَالِ، فَلَمَّا رَآهَا الْتَبَسَتْ بِعَقْلِهِ وَنَسِيَ حَاجَتَهُ الَّتِي جَاءَ لَهَا، فَخَطَبَهَا.

فَقَالَتْ: **لَا أَتَزَوَّجُ حَتَّى تَشْتَفِيَ لِي**.

قَالَ: **وَمَا تَشَائِينَ؟**

قَالَتْ: **ثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَعَبْدٌ، وَقَيْنَةٌ، وَقَتْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه.

فَقَالَ: **هُوَ مَهْرٌ لَكِ، فَأَمَّا قَتْلُ عَلِيٍّ فَمَا أَرَاكِ ذَكَرْتِيهِ لِي وَأَنْتِ تُرِيدِينَهُ؟**

(١) في عام ٤٠هـ.

قَالَتْ: **بَلَى؛ فَالْتَمِسْ غُرَّتَهُ فَإِنْ أَصَبْتَهُ شَفَيْتَ نَفْسَكَ وَنَفْسِي، وَنَفَعَكَ الْعَيْشُ مَعِي، وَإِنْ قُتِلْتَ فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَزِبْرِجِ أَهْلِهَا.**

فَقَالَ: **مَا جَاءَ بِي إِلَى هَذَا الْمِصْرِ إِلَّا قَتْلُ عَلِيٍّ.**

قَالَتْ: **فَإِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ فَأَخْبِرْنِي حَتَّى أَطْلُبَ لَكَ مَنْ يَشُدُّ ظَهْرَكَ، وَيُسَاعِدُكَ عَلَى أَمْرِكَ.**

فَبَعَثَتْ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا مِنْ تَيْمِ الرَّبَابِ، يُقَالُ لَهُ: **وَرْدَانُ**، فَكَلَّمَتْهُ، فَأَجَابَهَا.

وَأَتَى ابْنُ مُلْجَمٍ رَجُلاً مِنْ أَشْجَعَ يُقَالُ لَهُ: شَبِيبُ بْنُ نَجْدَةَ، فَقَالَ لَهُ: **هَلْ لَكَ فِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟**

قَالَ: **وَمَا ذَاكَ؟**

قَالَ: قَتْلُ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

قَالَ: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِدّاً، كَيْفَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ؟**

قَالَ: **أَكْمُنُ لَهُ فِي السَّحَرِ فَإِذَا خَرَجَ لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ شَدَدْنَا عَلَيْهِ فَقَتَلْنَاهُ، فَإِنْ نَجَوْنَا شَفَيْنَا أَنْفُسَنَا وَأَدْرَكْنَا ثَأْرَنَا، وَإِنْ قُتِلْنَا فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَزِبْرِجِ أَهْلِهَا.**

قَالَ: **وَيْحَكَ لَوْ كَانَ غَيْرَ عَلِيٍّ كَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ، قَدْ عَرَفْتُ بَلَاءَهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَسَابِقَتَهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا أَجِدُنِي أَنْشَرِحُ لِقَتْلِهِ.**

قَالَ: **أَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ قَتَلَ أَهْلَ النَّهرِ الْعُبَّادَ الْمُصَلِّينَ؟**

قَالَ: **بَلَى.**

قَالَ: **فَقَتْلُهُ بِمَا قَتَلَ مِنْ إِخْوَانِنَا.**

- السابع عشر من رمضان يوم التنفيذ:

فَأَجَابَهُ فَجَاؤوا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى قَطَامٍ وَهِيَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مُعْتَكِفَةٌ فِيهِ، فَقَالُوا لَهَا: **قَدْ أَجْمَعَ رَأْيُنَا عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ**.

قَالَتْ: **فَإِذَا أَرَدْتُمْ ذَلِكَ فَائْتُونِي**.

فَجَاءَ، فَقَالَ: **هَذِهِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْتُ فِيهَا صَاحِبِي أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا صَاحِبَهُ**.

فَدَعَتْ لَهُمْ بِالْحَرِيرِ فَعَصَّبَتْهُمْ، وَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ وَجَلَسُوا مُقَابِلَ السُّدَةِ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا عَلِيٌّ.

فَخَرَجَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَجَعَلَ يُنَادِي: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، فَشَدَّ عَلَيْهِ شَبِيبٌ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَوَقَعَ السَّيْفُ بِعِضَادَةِ الْبَابِ - أَوْ بِالطَّاقِ - فَشَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ مُلْجَمٍ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فِي قَرْنِهِ، وَهَرَبَ وَرْدَانُ حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمِّهِ، وَهُوَ يَنْزِعُ الْحَرِيرَ وَالسَّيْفَ عَنْ صَدْرِهِ.

فَقَالَ: **مَا هَذَا السَّيْفُ وَالْحَرِيرُ**؟

فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَذَهَبَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَجَاءَ بِسَيْفِهِ فَضَرَبَهُ، حَتَّى قَتَلَهُ.

وَخَرَجَ شَبِيبٌ نَحْوَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ، وَشَدَّ عَلَيْهِ النَّاسُ إِلَّا أَنَّ رَجُلاً مِنْ حَضْرَمَوْتَ يُقَالُ لَهُ: عُوَيْمِرٌ ضَرَبَ رِجْلَهُ بِالسَّيْفِ فَصَرَعَهُ، وَجَثَمَ عَلَيْهِ الْحَضْرَمِيُّ.

فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ قَدْ أَقْبَلُوا فِي طَلَبِهِ، وَسَيْفُ شَبِيبٍ فِي يَدِهِ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ فَتَرَكَهُ، فَنَجَا بِنَفْسِهِ وَنَجَا شَبِيبٌ فِي غُمَارِ النَّاسِ.

وَخَرَجَ ابْنُ مُلْجَمٍ فَشَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ هَمْدَانَ يُكَنَّى: أَبَا أَدَمَا فَضَرَبَ رِجْلَهُ وَصَرَعَهُ.

وَتَأَخَّرَ عَلِيٌّ رضي الله عنه وَدَفَعَ فِي ظَهْرِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهْبٍ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْغَدَاةَ، وَشَدَّ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

وَذَكَرُوا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حُنَيْفٍ قَالَ: **وَاللهِ إِنِّي لِأُصَلِّي تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي ضُرِبَ فِيهَا عَلِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ، قَرِيباً مِنَ السُّدَّةِ فِي رِجَالٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ مَا فِيهِمْ إِلَّا قِيَامٌ وَرُكُوعٌ وَسُجُودٌ وَمَا يَسْأَمُونَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ، إِذْ خَرَجَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَجَعَلَ يُنَادِي: أَيُّهَا النَّاسُ، الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، فَمَا أَدْرِي أَتَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَوْ نَظَرْتُ إِلَى بَرِيقِ السُّيُوفِ، وَسَمِعْتُ: الْحُكْمُ للهِ، لَا لَكَ يَا عَلِيُّ وَلَا لِأَصْحَابِكَ، فَرَأَيْتُ سَيْفاً، ثُمَّ رَأَيْتُ نَاساً، وَسَمِعْتُ عَلِيّاً يَقُولُ: لَا يَفُوتُكُمُ الرَّجُلُ، وَشَدَّ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أُخِذَ ابْنُ مُلْجَمٍ فَأُدْخِلَ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَدَخَلْتُ فِيمَنْ دَخَلَ مِنَ النَّاسِ، فَسَمِعْتُ عَلِيّاً يَقُولُ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، إِنْ هَلَكْتُ فَاقْتُلُوهُ كَمَا قَتَلَنِي، وَإِنْ بَقِيتُ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْيِي.**

ـ لقاء علي بقاتله بعد طعنه:

وَلَمَّا أُدْخِلَ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: **يَا عَدُوَّ اللهِ، أَلَمْ أُحْسِنْ إِلَيْكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ بِكَ؟**

قَالَ: **بَلَى.**

قَالَ: **فَمَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟**

قَالَ: **شَحَذْتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَقْتُلَ بِهِ شَرَّ خَلْقِهِ.**

قَالَ لَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه: **مَا أُرَاكَ إِلَّا مَقْتُولاً بِهِ، وَمَا أُرَاكَ إِلَّا مِنْ شَرِّ خَلْقِ اللهِ.**

وَكَانَ ابْنُ مُلْجَمٍ مَكْتُوفاً بَيْنَ يَدَيِ الْحَسَنِ، إِذْ نَادَتْهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَلِيٍّ وَهِيَ تَبْكِي: **يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَى أَبِي، وَاللهُ مُخْزِيكَ.**

قَالَ: **فَعَلَامَ تَبْكِينَ؟ وَاللهِ لَقَدِ اشْتَرَيْتُهُ بِأَلْفٍ، وَسَمَّمْتُهُ بِأَلْفٍ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الضَّرْبَةُ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْمِصْرِ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ سَاعَةً، وَهَذَا أَبُوكِ بَاقِياً حَتَّى الْآنَ.**

ـ قرار علي في ابن ملجم:

فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَسَنِ رضي الله عنهما: **إِنْ بَقِيتُ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْيِي، وَإِنْ هَلَكْتُ مِنْ ضَرْبَتِي هَذِهِ فَاضْرِبْهُ ضَرْبَةً، وَلَا تُمَثِّلْ بِهِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «يَنْهَى عَنِ الْمُثْلَةِ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».**

ـ طلب الناس من علي أخذ البيعة لابنه الحسن:

وَذَكَرَ أَنَّ جُنْدُبَ بْنَ عَبْدِ اللهِ دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ يَسْأَلُ بِهِ، فَقَالَ: **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ فَقَدْنَاكَ وَلَا نَفْقُدُكَ فَنُبَايِعُ الْحَسَنَ؟**

قَالَ: **مَا آمُرُكُمْ، وَلَا أَنْهَاكُمْ أَنْتُمْ أَبْصَرُ.**

ـ الحسن يقيم الحد على ابن ملجم:

فَلَمَّا قُبِضَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بَعَثَ الْحَسَنُ رضي الله عنه إِلَى ابْنِ مُلْجَمٍ، فَأُدْخِلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ: **هَلْ لَكَ فِي خَصْلَةٍ؟ إِنِّي وَاللهِ مَا أَعْطَيْتُ اللهَ عَهْداً إِلَّا وَفَّيْتُ بِهِ، إِنِّي كُنْتُ أَعْطَيْتُ اللهَ عَهْداً أَنْ أَقْتُلَ عَلِيّاً، وَمُعَاوِيَةَ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُمَا، فَإِنْ شِئْتَ خَلَّيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَكَ اللهَ عَلَيَّ إِنْ لَمْ أَقْتُلْ أَنْ آتِيَكَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِكَ.**

فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ رضي الله عنه: **لَا وَاللهِ أَوْ تُعَايِنُ النَّارَ، فَقَدَّمَهُ فَقَتَلَهُ.**

وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه قَالَ: **يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ**

دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا لَا يُقْتَلُ بِي إِلَّا قَاتِلِي.

ـ البرك ومحاولة قتل معاوية:

وَأَمَّا الْبَرْكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَقَعَدَ لِمُعَاوِيَةَ رضي الله عنه فَخَرَجَ لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَشَدَّ عَلَيْهِ بِسَيْفِهِ وَأَدْبَرَ مُعَاوِيَةُ هَارِباً، فَوَقَعَ السَّيْفُ فِي أَلْيَتِهِ.

فَقَالَ[1]: **إِنَّ عِنْدِي خَبَراً أُبَشِّرُكَ بِهِ، فَإِنْ أَخْبَرْتُكَ أَنَافِعِي ذَلِكَ عِنْدَكَ؟**

قَالَ: **وَمَا هُوَ؟**

قَالَ: **إِنَّ أَخاً لِي قَتَلَ عَلِيّاً فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ.**

قَالَ: **فَلَعَلَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ؟**

قَالَ: **بَلَى، إِنَّ عَلِيّاً يَخْرُجُ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ يَحْرُسُهُ.**

فَأَمَرَ بِهِ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه فَقُتِلَ.

فَبَعَثَ إِلَى السَّاعِدِيِّ وَكَانَ طَبِيباً، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: **إِنْ ضَرَبْتَكَ مَسْمُومَةٌ، فَاخْتَرْ مِنِّي إِحْدَى خَصْلَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ أَحْمِيَ حَدِيدَةً فَأَضَعَهَا مَوْضِعَ السَّيْفِ، وَإِمَّا أَسْقِيَكَ شَرْبَةً تَقْطَعُ مِنْكَ الْوَلَدَ، وَتَبْرَأُ مِنْهَا، فَإِنَّ ضَرَبْتَكَ مَسْمُومَةٌ.**

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: **أَمَّا النَّارُ فَلَا صَبْرَ لِي عَلَيْهَا، وَأَمَّا انْقِطَاعُ الْوَلَدِ فَإِنَّ فِي يَزِيدَ، وَعَبْدِ اللهِ، وَوَلَدِهِمَا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَيَّ.**

فَسَقَاهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الشَّرْبَةَ، فَبَرَأَ فَلَمْ يُولَدْ بَعْدُ لَهُ.

فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَقْصُورَاتِ، وَقِيَامِ الشُّرَطِ عَلَى رَأْسِهِ.

---

(١) أي: البرك بن عبد الله.

ـ وصية علي لأولاده:

وَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رضي الله عنهما: **أَيْ بَنِيَّ أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ عِنْدَ مَحِلِّهَا، وَحُسْنِ الْوُضُوءِ، فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ صَلَاةٌ إِلَّا بِطَهُورٍ، وَأُوصِيكُمْ بِغَفْرِ الذَّنْبِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَالْحِلْمِ عَنِ الْجَهْلِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَالتَّثَبُّتِ فِي الْأَمْرِ، وَتَعَاهُدِ الْقُرْآنِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاجْتِنَابِ الْفَوَاحِشِ.**

قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ فَقَالَ: **هَلْ حَفِظْتَ مَا أَوْصَيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ؟**

قَالَ: **نَعَمْ.**

قَالَ: **فَإِنِّي أُوصِيكَ بِمِثْلِهِ، وَأُوصِيكَ بِتَوْقِيرِ أَخَوَيْكَ لِعِظَمِ حَقِّهِمَا عَلَيْكَ، وَتَزْيِينِ أَمْرِهِمَا، وَلَا تَقْطَعْ أَمْراً دُونَهُمَا.**

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: **أُوصِيكُمَا بِهِ، فَإِنَّهُ شَقِيقُكُمَا، وَابْنُ أَبِيكُمَا، وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُحِبُّهُ.**

ثُمَّ أَوْصَى فَكَانَتْ وَصِيَّتُهُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه**، أَوْصَى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، ثُمَّ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.**

ثُمَّ أُوصِيكُمَا يَا حَسَنُ، وَيَا حُسَيْنُ، وَجَمِيعَ أَهْلِي وَوَلَدِي، وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهِ رَبِّكُمْ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ

جَمِيعاً، وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ صَلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ أَعْظَمُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ».

وَانْظُرُوا إِلَى ذَوِي أَرْحَامِكُمْ فَصِلُوهُمْ يُهَوِّنُ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحِسَابَ.

وَاللهَ اللهَ فِي الْأَيْتَامِ لَا يَضِيعُنَّ بِحَضْرَتِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ عز وجل.

وَاللهَ اللهَ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فَأَشْرِكُوهُمْ فِي مَعَايِشِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ فَلَا يَسْبِقَنَّكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ عز وجل لَا يَخْلُوَنَّ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تَنَاظَرُوا.

وَاللهَ اللهَ فِي أَهْلِ ذِمَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، فَلَا يُظْلَمُنَّ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ قَالَ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ».

وَاللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، فَإِنَّهُ وَصِيٌّ بِهِمْ.

وَاللهَ اللهَ فِي الضَّعِيفَيْنِ: نِسَائِكُمْ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، فَإِنَّ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ ﷺ أَنْ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالضَّعِيفَيْنِ: النِّسَاءُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ».

الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، لَا تَخَافُنَّ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، يَكْفِكُمْ مَنْ أَرَادَكُمْ وَبَغَى عَلَيْكُمْ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ.

وَلَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيُوَلِّيَ أَمْرَكُمْ شِرَارَكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ، وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّقَاطُعَ، وَالتَّدَابُرَ، وَالتَّفُرَّق، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

حَفِظَكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ، وَحَفِظَ فِيكُمْ نَبِيَّكُمْ ﷺ، أَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ.

ـ وفاته:

ثُمَّ لَمْ يَنْطِقْ إِلَّا بِلَا إِلَهَ إِلَّا الله حَتَّى قُبِضَ **فِي شَهْرِ رَمَضَانَ**[١]، **فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ** وَغَسَّلَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَبْدُ الله بْنُ جَعْفَرٍ، وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ، وصلى عليه الحسن[٢].

ـ مدة خلافة علي، وموضع قبره، وسنّه يوم قتل:

كَانَت ولَايَة عَلِيّ **أَربع سِنِين وَتِسْعَة أشهر وَسِتَّة أَيَّام وَيُقَال: ثَلَاثَة أَيَّام وَيُقَال: أَرْبَعَة عشر يَوْماً**[٣].

وكان عمره يوم توفي **ثلاثاً وستين سنة**.

وأما قبره فقد حفر له في دار الإمارة بالكوفة، ودفن في منتصف الليل، وعَموا قبره وأَخفوه، خوفاً من أنْ يأتي الخوارج، وينبشوه، ويُخرجوا جثته ويمثلوا بها لحقدهم عليه[٤].

ـ محاولة عمرو بن بكر قتل عمرو بن العاص:

خرج عمرو بن بكر إلى الصلاة، يريد قتل عمرو بن العاص، وكان

---

(١) في التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٩٧ ـ ١٠٢)، ح(١٦٨).

(٣) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ١٩٩).

(٤) انظر: الخلفاء الراشدون، صلاح الخالدي (ص٢٨٨ ـ ٢٨٩) بتصرف.

ابن العاص مريضاً فلم يخرج إلى الصلاة، فَقتَلَ الإمام يظنه عمرو بن العاص.

وكان الإمام **خارجة بن أبي حبيب**، فجاء فضربه فقتله في الصلاة فأمسكوه.

قالوا: **ماذا فعلت؟**

قال: **أرحت الناس من عمرو بن العاص.**

قالوا: **ما قتلت عمراً، وإنما قتلت خارجة.**

قال: **أَرَدْتُ عَمْراً، وَأَرَادَ اللهُ خَارِجَةً.** فقتل[١].

ـ بكاء معاوية عند سماعه خبر قتل علي رضي الله عنهما:

لَمَّا جَاءَ خَبَرُ قَتْلِ عَلِيٍّ إِلَى مُعَاوِيَةَ جَعَلَ يَبْكِي، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: **أَتَبْكِيهِ وَقَدْ قَاتَلْتَهُ؟** فَقَالَ: **وَيْحَكِ! إِنَّكِ لَا تَدْرِينَ مَا فَقَدَ النَّاسُ مِنَ الْفَضْلِ وَالْفِقْهِ وَالْعِلْمِ.**

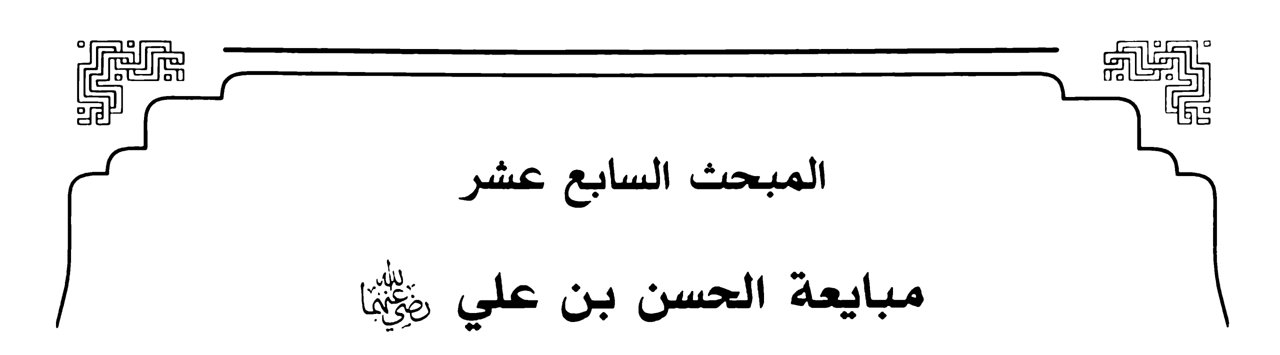
وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ: بِالْأَمْسِ تُقَاتِلُهُ وَالْيَوْمَ تَبْكِيهِ؟![٢]



---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤/ ١٨٨).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٤٢٩).



المبحث السابع عشر

مبايعة الحسن بن علي رضي الله عنهما

بعد استشهاد علي رضي الله عنه قام أهل الكوفة بمبايعة الحسن بن علي رضي الله عنهما، وخرج بعد أن عقدت له البيعة من الكوفة إلى الشام؛ لأنهم إلى الآن لم ينزلوا على طاعة أمير المؤمنين.

خرج الحسن بن علي إلى المدائن وفي نيته الصلح، وكان لا يحب القتال، بل إن الحسن كان معارضاً لخروج أبيه لقتال أهل الشام، وكان من علامات إرادته الصلح أنه عزل قيس بن سعد بن عبادة عن القيادة وجعل القيادة بيد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[(١)].

يقول الحسن البصري (ت١١٠هـ): «اسْتَقْبَلَ وَاللهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: **إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لَا تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا.**

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ، وَكَانَ وَاللهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ: أَيْ عَمْرُو، **إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ، مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ؟ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ؟ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ؟**

فَبَعَثَ إِلَيْهِ[(٢)] رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ؛ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١٣/ ٦٣).

(٢) أي: بعث معاوية إلى الحسن.

سَمُرَةَ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَامِرٍ، فَقَالَ: **اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَاعْرُضَا عَلَيْهِ، وَقُولَا لَهُ، وَاطْلُبَا إِلَيْهِ.**

فَأَتَيَاهُ فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا، وَقَالَا لَهُ، وَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: **إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا.**

قَالَا: **فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ.**

قَالَ: **فَمَنْ لِي بِهَذَا؟**

قَالَا: **نَحْنُ لَكَ بِهِ.**

فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئاً إِلَّا قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ. فَصَالَحَهُ»[١].

ـ لقاء معاوية والحسن رضي الله عنهما:

والتقى معاوية بالحسن رضي الله عنهما بعد ذلك، وتنازل الحسن بن علي لمعاوية بالخلافة.

وكَانَ تَسْلِيمُ الْحَسَنِ الْأَمْرَ لِمُعَاوِيَةَ فِي **الْخَامِسِ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ للهجرة**. وذلك بعد ستة أشهر من مبايعة الحسن رضي الله عنه بالخلافة.

وَحِينَئِذٍ دَخَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْكُوفَةِ فَخَطَبَ النَّاسَ بِهَا بَعْدَ الْبَيْعَةِ[٢].

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ الصُّلْحُ بَيْنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَمُعَاوِيَةَ أَرَادَ الْحَسَنُ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: **مَا أَنْتَ بِالَّذِي تَذْهَبُ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي.. (٣/١٨٦)، ح(٢٧٠٤).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/١٣٩).

حَتَّى تَخْطُبَ النَّاسَ، قَالَ الشَّعْبِيُّ: فَسَمِعْتُهُ(١) عَلَى الْمِنْبَرِ حَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**فَإِنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التُّقَى، وَإِنَّ أَعْجَزَ الْعَجْزِ الْفُجُورُ، وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي أَخْتَلِفُ فِيهِ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ حَتَّى كَانَ لِي، فَتَرَكْتُهُ لِمُعَاوِيَةَ، أَوْ حَقٌّ كَانَ لَا يَرَى أَحَقَّ بِهِ مِنِّي، وَإِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ**، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ١١١﴾ [الأنبياء: ١١١]»، ثُمَّ نَزَلَ(٢).

وسمي هذا العام بعام الجماعة، لاجتماع الأمة على إمام واحد.

ـ إخبار النبي ﷺ عن قيام الحسن بجمع كلمة المسلمين:

عَنِ الحَسَنِ، سَمِعَ أَبَا بَكْرَةَ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ**»(٣).

يقول الإمام ابن كثير (ت٧٧٤هـ): «**وَقَدْ شَهِدَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ لِلْفِرْقَتَيْنِ بِالْإِسْلَامِ، فَمَنْ كَفَّرَهُمْ أَوْ وَاحِداً مِنْهُمْ لِمُجَرَّدِ مَا وَقَعَ، فَقَدْ أَخْطَأَ وَخَالَفَ النَّصَّ النَّبَوِيَّ الْمُحَمَّدِيَّ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**»(٤).

وعن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ

---

(١) أي: الحسن بن علي.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفتن، من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها (٧/ ٤٧٨)، ح(٣٧٣٧٢). والبيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب الرعاة، باب الدليل على أن الفئة الباغية.. (٨/ ٣٠٠)، ح(١٦٧١٢). والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٦)، ح(٢٥٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٥/ ٢٦)، ح(٣٧٤٦).

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير (٩/ ٢١٠).

لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّكَ تُرِيدُ الْخِلَافَةَ، فَقَالَ: **«قَدْ كَانَتْ جَمَاجِمُ الْعَرَبِ فِي يَدِي يُحَارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ، وَيُسَالِمُونَ مَنْ سَالَمْتُ تَرَكْتُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وَحَقْنَ دِمَاءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ ابْتَزَّهَا بِاتِّئَاسِ أَهْلِ الْحِجَازِ»**(١).

لقد سار الحسن بن علي رضي الله عنهما، على نهجه الذي اختاره من حقن دماء المسلمين، كما كان يوصي أباه من قبل، فحفظ الإسلام والمسلمون له هذا الصنيع طوال الدهر.

ـ عدم رضى البعض بفعل الحسن بن علي رضي الله عنهما:

لَمَّا قَدِمَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكُوفَةَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُكَنَّى أَبَا عَامِرٍ سُفْيَانُ بْنُ اللَّيْلِ، فَقَالَ: **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ**، فَقَالَ الْحَسَنُ: **«لَا تَقُلْ ذَاكَ يَا أَبَا عَامِرٍ، لَمْ أُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَقْتُلَهُمْ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ»**(٢).

ـ وفاة الحسن بن علي رضي الله عنهما:

وفي حياته بالمدينة سُقي الحسن رضي الله عنه السم مراراً، ثم لما كانت المرة الأخيرة جاء الطبيب فقال: هذا الرجل قد قطع السم أمعاءه.

وتذكر بعض الروايات أن الحسن رضي الله عنه توفي متأثراً بالسم الذي وضع له، وقد اتجهت أصابع الاتهام نحو زوجة الحسن **«جعدة بنت الأشعث بن قيس»** ابنة أمير كندة، وهذه الرواية لا يصح إسنادها.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، من فضائل الحسن بن علي (٣/ ١٨٦)، ح(٤٧٩٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، من فضائل الحسن بن علي (٣/ ١٩٢)، ح(٤٨١٢).

وحاول البعض من الإخباريين والرواة أن يوجد علاقة بين البيعة ليزيد ووفاة الحسن، وزعموا أن يزيد بن معاوية أرسل إلى جعدة بنت قيس أن سُمِّي حسناً فإني سأتزوجك، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء، فقال: إن والله لم نرضك له أفنرضاك لأنفسنا. وهذه رواية مكذوبة إذ أن في سندها يزيد بن عياض، وقد قال عنه الإمام مالك وغيره: كذَّاب.

ومن الإخباريين من اتهم معاوية رضي الله عنه بتسميم الحسن.

وقد تكلم الإمام ابن العربي (ت٥٤٣هـ) في مسألة سم الحسن فقال: فإن قيل: قد دُسَّ على الحسن من سَمَّهُ. قلنا: هذا محال من وجهين:

أحدهما: أنه ما كان ليتقي من الحسن بأساً وقد سلم الأمر.

الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله فكيف تحملونه ـ بغير بينة ـ على أحد من خلقه في زمان متباعد لم تثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم[١].

ويقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): وَأَمَّا قَوْلُهُ: «إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَمَّ الْحَسَنَ». فَهَذَا مِمَّا ذَكَرَهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ بِبَيِّنَةٍ شَرْعِيَّةٍ، أَوْ إِقْرَارٍ مُعْتَبَرٍ، وَلَا نَقْلٍ يُجْزَمُ بِهِ. وَهَذَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ الْعِلْمُ بِهِ، فَالْقَوْلُ بِهِ قَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ. وَقَدْ رَأَيْنَا فِي زَمَانِنَا مَنْ يُقَالُ عَنْهُ: إِنَّهُ سُمَّ وَمَاتَ مَسْمُوماً مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ، وَيَخْتَلِفُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ الَّذِي مَاتَ

---

(١) العواصم من القواصم، ابن العربي (ص٢٢٠ ـ ٢٢١).

فِيهِ ذَلِكَ الْـمَلِكُ، وَالْقَلْعَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَتَجِدُ كُلّاً مِنْهُمْ يُحَدِّثُ بِالشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا يُحَدِّثُ بِهِ الْآخَرُ، وَيَقُولُ: هَذَا سَمَّهُ فُلَانٌ، وَهَذَا يَقُولُ: بَلْ سَمَّهُ غَيْرُهُ لِأَنَّهُ جَرَى كَذَا، وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي زَمَانِكَ، وَالَّذِينَ كَانُوا فِي قَلْعَتِهِ هُمُ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَكَ. وَالْحَسَنُ رضي الله عنه قَدْ نُقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ مَاتَ مَسْمُوماً. وَهَذَا مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يُعْلَمَ، فَإِنَّ مَوْتَ الْمَسْمُومِ لَا يَخْفَى[1].

ومما قيل: أن والد زوجة الحسن رضي الله عنه أمر ابنته أن تفعل ذلك، فيقول ابن تيمية: «وَإِذَا قِيلَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ أَمَرَ أَبَاهَا، كَانَ هَذَا ظَنّاً مَحْضاً، ثُمَّ إِنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَقِيلَ: سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَلِهَذَا لَمْ يُذْكَرْ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فِي الْعَامِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى عَامَ الْجَمَاعَةِ، وَهُوَ عَامُ أَحَدٍ وَأَرْبَعِينَ، وَكَانَ الْأَشْعَثُ حَمَا الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَلَوْ كَانَ شَاهِداً لَكَانَ يَكُونُ لَهُ ذِكْرٌ فِي ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ الْحَسَنِ بِنَحْوِ عَشْرِ سِنِينَ، فَكَيْفَ يَكُونُ هُوَ الَّذِي أَمَرَ ابْنَتَهُ أَنْ تَسُمَّ الْحَسَنَ؟»[2].

إذاً بالنسبة لسم الحسن رضي الله عنه فلا ينكر ذلك، وإذا ثبت أنه مات مسموماً فهذه شهادة له وكرامة في حقه.

وأما اتهام معاوية وابنه نتيجته أنه لا يثبت من حيث السند، ولا من حيث المتن.

وكانت وفاة الحسن بن علي رضي الله عنهما في المدينة المنورة سنة إحدى وخمسون للهجرة، وكان عمره عند وفاته ثمان وأربعين سنة.

وقد قدم الحسين بن علي رضي الله عنهما سعيد بن العاص ليصلي على أخيه

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية، ابن تيمية (٤/ ٤٧٠).

(٢) منهاج السُّنَّة، ابن تيمية (٤/ ٤٧٠ ـ ٤٧١) بتصرف.

الحسن رضي الله عنه، ومن ثم حمل ودفن في البقيع رضي الله عنه[١].

- انتهاء عصر الخلافة الراشدة:

بتسليم الحسن بن علي رضي الله عنهما الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، يكون قد انتهى عصر الخلافة الراشدة، والتي تحدث عنها رسول الله ﷺ.

فعن حُذَيْفَة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضّاً[٢]، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيّاً[٣]، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»**[٤].

عَنْ سَفِينَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»**[٥].

وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت

---

(١) انظر: الحسن بن علي، علي محمد الصلابي (ص٤٣٣ ـ ٤٤٦) بتصرف.

(٢) أي: يُصِيبُ الرَّعِيَّة فِيهِ عسْفٌ وظُلْم، كأنَّهم يُعَضُّون فِيهِ عَضّاً. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣/ ٢٥٣).

(٣) الجبر: القهر، والحمل على الفعل، والظلم الشديد.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير (٣٠/ ٣٥٥)، ح(١٨٤٠٦).

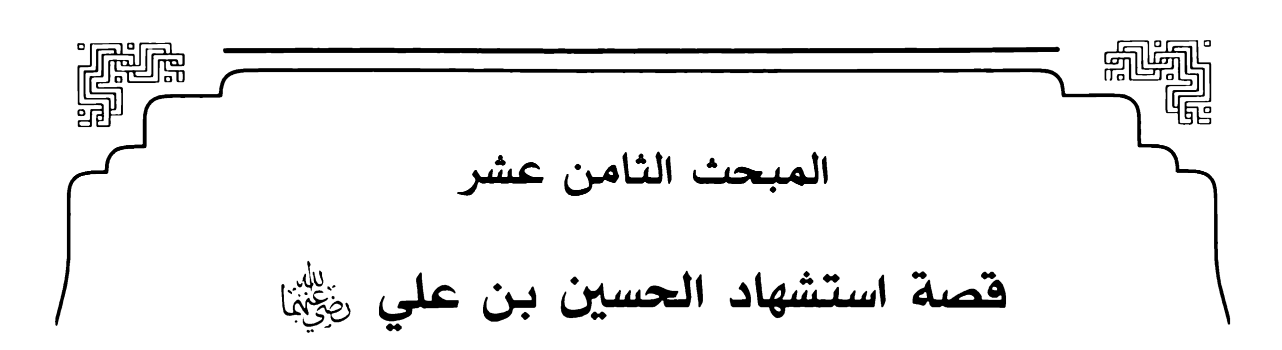
(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السُّنَّة، باب في الخلفاء (٤/ ٢١١)، ح(٤٦٤٦). والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٣/ ١٥٦)، ح(٤٦٩٧). والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٨٤)، ح(٦٤٤٤).

رسول الله ﷺ؛ فإنه توفي فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه.

وبذلك تكون مرحلة خلافة النبوة قد انتهت بتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في شهر ربيع الأول من سنة ٤١هـ[١].



(١) انظر: الحسن بن علي، علي محمد الصلابي (ص٤١٦).



المبحث الثامن عشر

قصة استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما

بداية القصة:

بويع يزيد بن معاوية بالخلافة سنة ستين من الهجرة، وكان عمره أربعاً وثلاثين سنة، وقد اجتمعت ـ غالبية ـ الأمة على بيعة يزيد، أو بمعنى آخر جددت له البيعة بعد وفاة أبيه، وقد بايع الصحابة يزيد جمعاً للكلمة وحفظاً لوحدة الأمة وخوف الفتنة، مثل عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، ومحمد ابن الحنفية رحمه الله، أما أهل الشام والعراق وبقية الأقاليم فقد بايعوا، وكانت المعارضة ليزيد فقط في الحجاز يتزعمها الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

كان الحسين وعبد الله في المدينة، فأرسل يزيد إلى والي المدينة واسمه **الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان**، أن يأخذ له البيعة من الحسين وابن الزبير.

ولما طلب منهما أن يبايعا يزيد، قال عبد الله بن الزبير: أنظر في هذه الليلة وأخبركم برأيي، فقالوا: نعم، فلما كان الليل خرج من المدينة هارباً إلى مكة ولم يبايع.

ولما جيء بالحسين بن علي وقيل له: بايع، قال: إني لا أبايع سراً ولكن أبايع جهراً بين الناس قالوا: نعم، ولما كان الليل خرج خلف

عبد الله بن الزبير[١].

الشرارة الأولى في الفتنة:

كان إصرار يزيد على طلب البيعة من الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، هي الشرارة الأولى في الفتنة التي اندلعت بين المسلمين.

فقد شعر كل من الحسين وابن الزبير بأنه مطلوب، وأنه إذا لم يبايع فسيكون ضحية طيش يزيد، وأن سيوف أعوان الخليفة الجديد أصبحت مسلولة عليهم، لذلك لجآ إلى مكة المكرمة يطلبان فيها الأمان.

هذه الغلطة من يزيد، بدأ بها حياته، وظلت تلاحقه حتى مماته، وأغلب الظن أن الذي ورط يزيد في هذه الأخطاء الشنيعة هو غياب المستشارين الحكماء عن مجلسه وحداثة سنه وقلة خبرته. كما أن يزيد كان يفقد حلم أبيه، وتنقصه قوة إرادته في الحلول السلمية، ولذلك وصم يزيد عصره بوصمة لن يمحوها ماء البحر، ولن تزيل مرارتها عذوبة الأنهار[٢].

أسباب خروج الحسين ورفضه البيعة ليزيد:

من المعلوم أن موقف الحسين رضي الله عنه من بيعة يزيد، كان موقف المعارض، إذ أنه كان معارضاً للصلح الذي قام به أخوه الحسن رضي الله عنه مع معاوية رضي الله عنه، والذي حمله على قبوله هو متابعة أخيه الحسن رضي الله عنه، وقد قال الحسن للحسين رضي الله عنهما مرة: «**وَاللهِ مَا أَرَدْتُ أَمراً قَطُّ إِلَّا خَالَفْتَنِي، وَاللهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقذِفَكَ فِي بَيْتٍ، فَأُطَيِّنَهُ عَلَيْكَ حَتَّى أَقْضِيَ أَمْرِي، فلمَّا رَأَى**

---

(١) انظر: حقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص١٤٠). ومعاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلّابي (ص٤٥٠ ـ ٤٥١) بتصرف.

(٢) انظر: معاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلّابي (ص٤٥١ ـ ٤٥٢) بتصرف.

الحُسَيْنُ غَضَبَهُ قَالَ: أَنْتَ أَكْبَرُ وَلَدِ عَلِيٍّ، وَأَنْتَ خَلِيفَتُهُ، وَأَمْرُنَا لأَمْرِكَ تَبَعٌ»(١).

وقد استمر الحسين في تواصله مع أهل الكوفة، وقد كان يعدهم بالمعارضة ولكن بعد وفاة معاوية، والدليل على ذلك مسارعة زعماء الكوفة بالكتابة له، وأن يسير إلى الكوفة، وذلك بعد وفاة معاوية، وأخذ البيعة ليزيد(٢).

ومن الأسباب التي أدت لخروج الحسين رضي الله عنه:

١ ـ **هو إرادة الله** عز وجل: وأن ما قدَّره سيكون، وإن أجمع الناس كلهم على رده فسينفذه الله، فلا راد لحكمه ولا لقضائه.

٢ ـ **قلب الحكم من الشورى إلى الملك الوراثي**: فإن معاوية لم يلتزم بالشرط الذي وضعه الحسن عند الصلح مع معاوية، والذي يتضمن: «**أن يكون الْأَمر من بعده شُورَى بَين الْمُسلمين**»(٣).

فرأى الحسين في فعل معاوية هو توريث للحكم من بعده لابنه يزيد، مخالفة واضحة لمنهج الإسلام في الحكم، ومع ذلك لم يخرج على معاوية لمبايعته إياه بالخلافة، فظل على عهده والتزامه، ولكن بعد وفاة معاوية تغير الموقف، فلم يعد في عنقه بيعة توجب السمع والطاعة(٤).

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١/ ٣٣١). وتاريخ دمشق، ابن عساكر (١٣/ ٢٦٧). وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/ ٣٣٩).

(٢) انظر: مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، د. محمد بن عبد الهادي الشيباني (ص٢١٧) بتصرف.

(٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي (٢/ ٣٩٩).

(٤) انظر: معاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلابي (ص٤٥٤) بتصرف.

ـ مراسلة أهل العراق للحسين رضي الله عنه:

بلغ أهل العراق أن الحسين رضي الله عنه لم يبايع يزيد بن معاوية، وهم أيضاً لا يريدون يزيد بن معاوية، فأرسلوا الكتب إلى الحسين بن علي كلهم يقولون في كتبهم: **إنا نبايعك ولا نريد إلا أنت، وليس في عنقنا بيعة ليزيد، بل البيعة لك.**

وتكاثرت الكتب على الحسين رضي الله عنه حتى بلغت أكثر من خمسمائة كتاب، كلها جاءته من أهل الكوفة يدعونه إليهم.

ـ إرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة:

عندها أرسل الحسين رضي الله عنه **ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب** ليستجلي له حقيقة الخبر، ثم يكتب إليه بواقع الحال، فإن كان ما يقولون حقاً قدم عليهم[1].

وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة ونزل عند **المختار بن أبي عبيد**، وصار يسأل عن حقيقة ما أرسل إلى الحسين رضي الله عنه وأنهم جادون في ذلك، فلما علم أن الناس هناك لا يريدون يزيد بل الحسين رضي الله عنه، قام بتغيير مكانه، فنزل عند **هانئ بن عروة**، وذلك خشية انكشاف أمره، ثم لمكانة هانئ وأهميته كأحد أعيان الكوفة.

ـ أخذ البيعة للحسين رضي الله عنه من أهل الكوفة:

بعد نزول مسلم عند هانئ، أصبح الناس يقبلون جماعاتٍ ووحداناً يبايعون مسلم ابن عقيل على بيعة الحسين رضي الله عنه، فبايعه اثنا عشر ألفاً، وكان **النعمان بن بشير** أميراً على الكوفة من قبل يزيد بن معاوية.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٣٤٧/٥) بتصرف.

ـ وصول خبر مسلم بن عقيل إلى يزيد:

بلغ النعمان بن بشير أن مسلم بن عقيل في الكوفة وأن الناس تأتيه ويبايعونه للحسين، فأظهر أنه لم يسمع شيئاً ولم يعبأ بالأمر، حتى خرج بعض الذين عنده إلى يزيد في الشام فأخبروه بالأمر، وأن الناس تبايع مسلماً، والنعمان غير مكترث لذلك.

فقام يزيد بعزل النعمان عن الكوفة وأرسل **عبيد الله بن زياد** أميراً على الكوفة، وكان أميراً على البصرة، فضم له الكوفة أيضاً، لينظر في الأمر ويعالجه.

ـ عبيد الله بن زياد في الكوفة:

وصل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة متلثماً، فكان عندما يمر على الناس يسلم عليهم فيقولون: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله، يظنون أنه الحسين وأنه دخل متخفياً متلثماً ليلاً.

علم عبيد الله أن الأمر جد وأن الناس ينتظرون الحسين بن علي رضي الله عنهما، عند ذلك دخل القصر وأرسل مولى له اسمه عقيل ليتقصى الأمر ويعرف من الرأس المدبر في هذه المسألة، فذهب على أنه رجل من حمص وأنه جاء بثلاثة آلاف دينار لمساندة الحسين رضي الله عنه، وسأل حتى دُلَّ على دار هانئ بن عروة فدخل ووجد مسلم بن عقيل وبايعه وأعطاه الثلاثة آلاف دينار وصار يتردد أياماً حتى عرف ما عندهم ورجع بعد ذلك إلى عبيد الله بن زياد وأخبره الخبر.

ـ مراسلة مسلم بن عقيل للحسين بن علي رضي الله عنهما:

تمت المبايعة بصورة سرية مع حرصٍ شديد، ولما تأكد لمسلم بن عقيل رغبة أهل الكوفة في الحسين وقدومه إليهم كتب إلى الحسين قائلاً:

أما بعد فَإِن الرائد لا يكذب أهله، إنّ جميع أَهْل الْكُوفَةِ معك، فأقبل حين تنظر فِي كتابي(١).

بعد كتاب مسلم بن عقيل، تأكد للحسين رضي الله عنه، صدق نوايا أهل الكوفة وأنه ليس عليهم إمام كما ذكروا من قبل، عزم عندها على المضي إلى الكوفة بأهله وخاصته(٢).

ـ خروج الحسين رضي الله عنه من مكة إلى الكوفة:

بعد أن استقرت الأمور وبايع كثير من الناس لمسلم بن عقيل أرسل إلى الحسين أن أقدم فإن الأمر قد تهيأ.

فخرج الحسين بن علي رضي الله عنهما، في يوم التروية، وكان عبيد الله بن زياد قد علم ما قام به مسلم بن عقيل فقال: عليَّ بهانئ بن عروة، فجيء به فسأله: أين مسلم بن عقيل؟ قال: لا أدري.

فنادى مولاه عقيلاً فدخل عليهم، فقال عبيد الله لهانئ: هل تعرفه؟ فلما رآه علم أنه إنما كان عيناً عليهم. قال: نعم، فقال له عبيد الله: أين مسلم بن عقيل؟

فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها، فضربه عبيد الله بن زياد بالخيزرانة على وجهه، فهشم أنفه، ثم أمر بحبسه.

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج بأربعة آلاف وحاصر قصر عبيد الله بن زياد وخرج أهل الكوفة معه، وكان عند عبيد الله بن زياد في ذلك الوقت أشراف الناس، فقال لهم: خذِّلوا الناس عن مسلم بن عقيل

---

(١) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (٣/١٦٧).

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، أحداث مراسلة الكوفيين الحسين (٥/٣٤٧ وما بعدها). وحقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص٤٤٠ ـ ٤٤١). ومعاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلابي (ص٤٥٥ ـ ٤٥٦) بتصرف.

ووعدهم بالعطايا وخوفهم بجيش الشام، فصار الأمراء يُخذِّلون الناس عن مسلم بن عقيل، ويذكرونهم بالسلامة والأمن، وأنهم إن لم ينصرفوا سيحرمون من العطاء، وسينالهم العقاب الشديد.

ولم يكن التثبيط مقصوراً على الأمراء فقط؛ بل إن النساء كان لهن دوراً كبيراً في إضعاف عزيمة المناصرين لمسلم، إضافة إلى الآباء وكبار السن فقد كان لهم نفس الدور. وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه ويقول: غداً يأتيكم أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر، انصرف.

وأخذت هذه الحرب النفسية التي جُوبه بها المناصرون لمسلم بن عقيل تعمل عملها بين الناس، حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجلاً من أربعة آلاف.

وما غابت الشمس إلا ومسلم بن عقيل وحده، وقد ذهب كل الناس عنه وبقي وحيداً يمشي في دروب الكوفة لا يدري أين يذهب، فطرق الباب على امرأة من كِنْدَة، فقال لها: أريد ماءاً، فاستغربت منه، ثم قالت له: من أنت؟ فقال: مسلم بن عقيل، وأخبرها الخبر وأن الناس خذلوه، وأن الحسين رضي الله عنه سيأتي؛ لأنه أرسل إليه أن أقدم، فأدخلته عندها في بيت مجاور وأتته بالماء والطعام، ولكن ولدها قام بإخبار عبيد الله بن زياد بمكان مسلم بن عقيل، فأرسل إليه سبعين رجلاً فحاصروه فقاتلهم، وفي النهاية استسلم لهم عندما أمَّنوه.

ـ مقتل مسلم بن عقيل:

أُخذ مسلم بن عقيل إلى قصر الإمارة الذي فيه عبيد الله بن زياد، فلما دخل سأله عبيد الله عن سبب خروجه هذا، فقال: بيعة في أعناقنا للحسين بن علي رضي الله عنهما.

فقال له: إني قاتلك، قال: دعني أوصي، قال: نعم أوصِ، فالتفت فوجد عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال له: أنت أقرب الناس مني رحماً تعال أوصيك، فأخذه في جانب الدار وأوصاه بأن يرسل إلى الحسين بأن يرجع.

أرسل عمر بن سعد رجلاً إلى الحسين ليخبره بأن الأمر قد انقضى وأن أهل الكوفة قد خدعوه.

وقال مسلم بن عقيل كلمته المشهورة: **ارجع بأهلك ولا يَغُرَّنَّك أهل الكوفة، فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لكاذب رأي**.

ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل، فأصعد إلى أعلى القصر، وهو يكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ويقول: **اللَّهُمَّ احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا**، ثم ضرب عنقه رجل يقال له: بكير بن حمران، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر، وأتبع رأسه بجسده[١].

وكان قتله يوم عرفة، وكان الحسين قد خرج من مكة في يوم التروية، قبل مقتل مسلم بن عقيل بيوم واحد.

ـ مقتل هانئ بن عروة:

واتخذ ابن زياد إجراءً يدل على قسوته وجبروته وظلمه، فقد أمر بهانئ فأخرج إلى السوق وقتل، وكان هانئ وهو في طريقه للقتل يصيح لقبيلته مذحج ولكن لم ينصره أحد.

ومن ثم قاموا بصلبه في السوق أمام الناس، ثم أمر بضرب أعناق اثنين من الذين كانوا يخططون لنصر مسلم بن عقيل وصلبهما في السوق أيضاً.

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٤٨٤ وما بعدها). والكامل في التاريخ، ابن الأثير (٣/ ١٤١ وما بعدها). وحقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص١٤١ ـ ١٤٣). ومعاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلّابي (ص٤٦٢ ـ ٤٦٧) بتصرف.

ـ مواقف الصحابة والتابعين من خروج الحسين بن علي رضي الله عنهما، إلى الكوفة:

كان الكثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قد حاولوا منع الحسين رضي الله عنه من الخروج، ولكنه رفض وأبى إلا الخروج، ومن هؤلاء:

١ ـ قال محمد ابن الحنفية مخاطباً أخاه الحسين: **يَا أخي، أنت أحب الناس إلي، وأعزهم علي، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بِهَا مِنْكَ، تنح ببيعتك عن يَزِيد بن مُعَاوِيَة وعن الأمصار مَا استطعت، ثُمَّ ابعث رسلك إِلَى النَّاسِ فادعهم إِلَى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله عَلَى ذَلِكَ، وإن أجمع الناس عَلَى غيرك لم ينقص اللهُ بِذَلِكَ دينك وَلا عقلك، وَلا يذهب بِهِ مروءتك وَلا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من هَذِهِ الأمصار وتأتي جماعة مِنَ النَّاسِ، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عَلَيْك، فيقتتلون فتكون لأول الأَسِنَّة، فإذا خير هَذِهِ الأمة كلها نفساً، وأباً، وأماً، أضيعها دماً، وأذلها أهلاً.**

قَالَ لَهُ الْحُسَيْن: **فإني ذاهب يَا أخي.**

قَالَ: **فانزل مكة فإن أطمأنت بك الدار فسبيل ذَلِكَ، وإن نَبَتْ بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إِلَى بلد حَتَّى تنظر إِلَى مَا يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما تكون رأياً، وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً، وَلا تكون الأمور عَلَيْك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً.**

قَالَ: **يَا أخي، قَدْ نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً**[1].

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٥/ ٣٤٢).

٢ ـ عَبْد الله بْن عَبَّاس قَالَ للحسين رضي الله عنه: **يَا ابْنَ عَمِّ، إِنِّي أَتَصَبَّرُ وَلَا أَصْبِرُ، إِنِّي أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْهَلَاكَ وَالِاسْتِئْصَالَ، إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَوْمٌ غُدُرٌ فَلَا تَقْرَبَنَّهُمْ، أَقِمْ فِي هَذَا الْبَلَدِ فَإِنَّك سَيِّدُ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يُرِيدُونَك كَمَا زَعَمُوا فَاكْتُبْ إِلَيْهِمْ فَلْيَنْفُوا عَامِلَهُمْ وَعَدُوَهُمْ ثُمَّ أَقْدِمْ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ فَسِرْ إِلَى الْيَمَنِ فَإِنَّ بِهَا حُصُوناً وَشِعَاباً، وَهِيَ أَرْضٌ عَرِيضَةٌ طَوِيلَةٌ، وَلِأَبِيك بِهَا شِيعَةٌ، وَأَنْتَ عَنِ النَّاسِ فِي عُزْلَةٍ، فَتَكْتُبُ إِلَى النَّاسِ وَتُرْسِلُ وَتَبُثُّ دُعَاءَك، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَأْتِيَك عِنْدَ ذَلِك الَّذِي تُحِبُّ فِي عَافِيَةٍ.**

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: **يَا ابْنَ عَمِّ إِنِّي وَالله لَأَعْلَمُ أَنَّك نَاصِحٌ مُشْفِقٌ، وَقَدْ أَزْمَعْتُ وَأَجْمَعْتُ الْمَسِيرَ.**

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: **فَإِنْ كُنْتَ سَائِراً فَلَا تَسِرْ بِنِسَائِك وَصِبْيَتِك فَإِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ تُقْتَلَ كَمَا قُتِلَ عُثْمَانُ وَنِسَاؤُهُ وَوَلَدُهُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ.**

ثُمَّ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: **وَالله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّك إِذَا أَخَذْتُ بِشَعْرِك وَنَاصِيَتِك حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَيْنَا النَّاسُ أَطَعْتَنِي فَأَقَمْت، لَفَعَلْتُ ذَلِك**[1].

وفي رواية لابن أبي شيبة: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَاءَنِي حُسَيْنٌ يَسْتَشِيرُنِي فِي الْخُرُوجِ إِلَى مَا هَاهُنَا يَعْنِي الْعِرَاقَ، فَقُلْتُ: **لَوْلَا أَنْ يُزْرَؤُوا بِي وَبِك لَشَبَّثْتُ يَدِي فِي شَعْرِك، إِلَى أَيْنَ تَخْرُجُ؟ إِلَى قَوْم قَتَلُوا أَبَاك وَطَعَنُوا أَخَاك**، فَكَانَ الَّذِي سَخَا بِنَفْسِي عَنْهُ أَنْ قَالَ لِي: «**إِنَّ هَذَا الْحَرَمَ يُسْتَحَلُّ بِرَجُلٍ، وَلَأَنْ أُقْتَلَ فِي أَرْضِ كَذَا وَكَذَا غَيْرَ أَنَّهُ يُبَاعِدُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ**

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٣/١٤٨ ـ ١٤٩). وأنساب الأشراف، للبلاذري (٣/١٦١ ـ ١٦٢).

مِنْ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ»[١].

٣ ـ قال عبد الله بن عمر ـ حِينَ أَرَادَ تَوْدِيعَهُ ـ وهو خارج إلى الكوفة: **أَطِعْنِي وَأَقِمْ وَلا تَخْرُجْ فو الله مَا زَوَاهَا اللهُ عَنْكُمْ إلا وَهُوَ يُرِيدُ بِكُمْ خَيْراً.** فَلَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ: **أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ من مقتول.**

وفي رواية أخرى أن ابن عمر كان بماء له فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَأُخْبِرَ بِخُرُوجِ الْحُسَيْنِ، فَلَحِقَهُ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلاثِ لَيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ: **أَيْنَ تُرِيدُ؟**

قَالَ الحسين: **الْعِرَاقَ.**

قَالَ: **لا تَأْتِهِمْ لأَنَّك بِضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَالله لا يَلِيهَا مِنْكُمْ أَحَدٌ أَبَداً، وَمَا صَرَفَهَا الله عنكم إلا لما هو خير لكم.**

فقال له الحسين: **هَذِهِ بَيْعَتُهُمْ وَكُتُبُهُمْ.**

فَاعْتَنَقَهُ ابْنُ عُمَرَ وَبَكَى، وَقَالَ: **أَسْتَوْدِعُكَ الله مِنْ قَتِيلٍ وَالسَّلامُ**[٢].

٤ ـ قَالَ عبد الله بْنُ الزُّبَيْرِ لِلْحُسَيْنِ رضي الله عنهما: **أَيْنَ تَذْهَبُ؟! إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَطَعَنُوا أَخَاكَ؟** فَقَالَ: **لِأَنْ أُقْتَلَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تُسْتَحَلَّ بِي؛ يَعْنِي: مَكَّةَ**[٣].

٥ ـ قال أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ للحسين رضي الله عنهما: **يَا أَبَا عَبْدِ الله، إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، وَإِنِّي عَلَيْكُمْ مُشْفِقٌ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ كَاتَبَكَ قَوْمٌ مِنْ شِيعَتِكُمْ بِالْكُوفَةِ يَدْعُونَكَ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ، فَلَا تَخْرُجْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ بِالْكُوفَةِ:**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفتن، من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها (٧/ ٤٧٧)، ح(٣٧٣٦٤).

(٢) أنساب الأشراف، البلاذري (٣/ ١٦٣).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٤٩٨).

وَالله لَقَدْ مَلِلْتُهُمْ وَأَبْغَضْتُهُمْ، وَمَلُّونِي وَأَبْغَضُونِي، وَمَا بَلَوْتُ مِنْهُمْ وَفَاءً، وَمَنْ فَازَ بِهِمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الأَخْيَبِ، وَالله مَا لَهُمْ ثَبَاتٌ وَلَا عَزْمٌ عَلَى أَمْرٍ، وَلَا صَبْرٌ عَلَى السَّيْفِ[١].

٦ ـ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَقَالَ: **يَا ابْنَ عَمِّ، إِنَّ الرَّحِمَ تَظْأَرُنِي**[٢] **عَلَيْكَ، وَمَا أَدْرِي كَيْفَ أَنَا عِنْدَكَ فِي النَّصِيحَةِ لَكَ؟**

قَالَ: **يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَنْتَ مِمَّنْ يُسْتَغَشُّ وَلَا يُتَّهَمُ، فَقُلْ.**

قَالَ: **قَدْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ بِأَبِيكَ وَأَخِيكَ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ عَبِيدُ الدُّنْيَا، فَيُقَاتِلُكَ مَنْ قَدْ وَعَدَكَ أَنْ يَنْصُرَكَ، وَيَخْذُلُكَ مَنْ أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَنْصُرُهُ، فَأُذَكِّرُكَ الله فِي نَفْسِكَ.**

فَقَالَ: **جَزَاكَ الله يا ابْنَ عَمِّ خَيْراً، وَمَهْمَا يَقْضِ الله مِنْ أَمْرٍ يَكُنْ.**

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: **إِنَّا لله، عِنْدَ الله نَحْتَسِبُ أَبَا عَبْدِ الله**[٣].

٧ ـ الشاعر الفرزدق: لَمَّا انْتَهَى الحسين بن علي رضي الله عنهما إِلَى الصِّفَاحِ[٤] لَقِيَهُ الْفَرَزْدَقُ الشَّاعِرُ فَقَالَ لَهُ: **أَعْطَاكَ الله سُؤْلَكَ وَأَمَلَكَ فِيمَا تُحِبُّ.**

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنِ: **بَيِّنْ لِي خَبَرَ النَّاسِ خَلْفَكَ.**

قَالَ: **الْخَبِيرَ سَأَلْتَ، قُلُوبُ النَّاسِ مَعَكَ، وَسُيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالْقَضَاءُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَالله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.**

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٥٠٠).
(٢) تظأرني؛ أي: تعطفني عليك.
(٣) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٥٠٤).
(٤) موضع بين حنين وأنصاب الحرم.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ: صَدَقْتَ، لله الْأَمْرُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَكُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَأْنٍ، إِنْ نَزَلَ الْقَضَاءُ بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ الله عَلَى نَعْمَائِهِ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، وَإِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرَّجَاءِ فَلَمْ يَعْتَدِ مَنْ كَانَ الْحَقُّ نِيَّتَهُ، وَالتَّقْوَى سَرِيرَتَهُ[1].

ـ وصول الحسين إلى كربلاء:

مضى الحسين بن علي رضي الله عنهما في طريقه إلى الكوفة، ولم يكن يعلم بتلك التغيرات التي حدثت في الكوفة بعد خروجه من مكة.

وكان ابن زياد قد اتخذ إجراءات صارمة بهدف منع الحسين بن علي رضي الله عنهما من الوصول إلى الكوفة.

وكان الحسين رضي الله عنه يشعر أن الأمور تسير سيراً غير طبيعي في الكوفة وخاصة عندما أخبره الأعراب أن أحداً لا يلج ولا يخرج من الكوفة مطلقاً.

وقد تكرر التحذير للحسين رضي الله عنه، من رجال القبائل العربية التي كان يمر بها، وبينوا له خطورة الأمر الذي يقدم عليه، ولكن الحسين رضي الله عنه كان يدلل على نجاح مهمته بالإشارة إلى ذلك العدد الهائل من أسماء المبايعين التي كانت بحوزته.

بلغ الحسين رضي الله عنه خبر ابن عمه مسلم بن عقيل عن طريق الرسول الذي أرسله عمر بن سعد، فقام الحسين بإبلاغ من معه بذلك، وقال: من أحب أن ينصرف فلينصرف، فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً، وقال له بعض من ثبتوا معه: ننشدك الله إلا ما رجعت من مكانك، فإنه ليس لك

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٥١٠). والكامل في التاريخ، ابن الأثير (٣/ ١٥٠). وأنساب الأشراف، البلاذري (٣/ ١٦٥).

بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك. فوثب بنو عقيل إخوة مسلم وقالوا: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم. فنزل الحسين على رأيهم.

بعد أن علم عبيد الله بن زياد بخروج الحسين رضي الله عنه، أمر **الحر بن يزيد التميمي** أن يخرج بألف رجل مقدمة ليلقى الحسين في الطريق، فلقي الحسين قريباً من القادسية، فقال له الحر: **إلى أين يا ابن بنت رسول الله؟!**

قال: **إلى العراق.**

قال: **فإني آمرك أن ترجع وأن لا يبتليني الله بك، ارجع من حيث أتيت أو اذهب إلى الشام إلى حيث يزيد لا تقدم إلى الكوفة.**

فأبى الحسين ذلك ثم جعل الحسين يسير جهة العراق وصار الحر بن يزيد يعاكسه ويمنعه فقال له الحسين: **ابتعد عني ثكلتك أمك.**

فقال الحر بن يزيد عند ذلك: **والله لو قالها غيرك من العرب لاقتصصت منه ومن أمه، ولكن ماذا أقول وأمك سيدة نساء العالمين.**

وقد قام الحسين بإخراج خرجين مملوءة بالكتب التي تطلب منه القدوم إلى الكوفة، فأنكر الحر والذين معه أي علاقة لهم بهذه الكتب.

ـ وصول جيش عمر بن سعد:

ولما وصل الحسين إلى كربلاء، كانت قد لحقت به مؤخرة الجيش الذي أرسله ابن زياد وكان عددهم أربعة آلاف بقيادة عمر بن سعد.

وكان الحسين رضي الله عنه، قد سأل عن الأرض التي هو فيها، فقالوا: **كربلاء**. فقال: **كربٌ وبلاء.**

أحاطت الخيل بالحسين ومن معه، ويطلق على المنطقة اسم **الطف**[١].

ـ التفاوض بين الحسين، وعمر بن سعد:

بدأ الحسين بن علي بالتفاوض مع عمر بن سعد، وبيّن له أنه لم يأت إلى الكوفة إلا بطلب من أهلها. وأبرز لعمر بن سعد الدليل على ذلك، وأشار إلى الخرجين الكبيرين، وفيهما أسماء المبايعين والداعين للحسين رضي الله عنه.

عندها كتب عمر بن سعد لابن زياد بما سمعه من الحسين، فكتب ابن زياد لعمر بن سعد، أن أعرض على الحسين أن يبايع يزيد بن معاوية، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام.

ولما اطلع ابن سعد على جواب ابن زياد ساءه ما يحمله الجواب من تعنت وكبر، وعرف أن ابن زياد لا يريد السلامة.

ـ رد الحسين على عرض ابن زياد:

رفض الحسين رضي الله عنه، هذا العرض، ثم لما رأى جهامة الموقف وخطورته طلب من عمر بن سعد مقابلته، وعرض عليه عرضاً آخر يتمثل في استجابته لواحدة من ثلاث، وهي:

١ ـ أن يتركوه فيرجع من حيث أتى.

٢ ـ وإما أن يتركوه ليذهب إلى الشام فيضع يده في يد يزيد بن معاوية.

---

(١) الطف: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق وهي بناحية الكوفة.

٣ ـ وإما أن يسيّروه إلى أي ثغر من ثغور المسلمين فيكون واحداً منهم له ما لهم وعليه ما عليهم.

كتب عمر بن سعد إلى ابن زياد يبين له أن الموقف المتأزم حُلَّ، وأن السلام قد أوشك، وما على ابن زياد إلا الموافقة.

أوشك ابن زياد أن يوافق ويرسله إلى يزيد، لولا تدخل **شمر بن ذي الجوشن** الذي كان جالساً في المجلس حين وصول الرسالة.

فقد اعترض ابن الجوشن على رأي ابن زياد في أن يرسله إلى يزيد، وبيّن لابن زياد أن الأمر الصائب هو أن يطلب من الحسين أن ينزل على حكمه، حتى يكون هو صاحب الأمر المتحكم فيه.

وصل الخبر إلى الحسين رضي الله عنه، بما يريده ابن زياد، فرفض وقال: **والله لا أنزل على حكم عبيد الله بن زياد أبداً**. وقال لأصحابه الذين معه: **أنتم في حل من طاعتي**. ولكنهم أصروا على مصاحبته والمقاتلة معه حتى الشهادة.

قام ابن زياد بإرسال **شمر بن ذي الجوشن** وقال له: اذهب حتى ينزل على حكمي فإن رضي عمر بن سعد وإلا فأنت القائد مكانه.

المعركة الفاصلة واستشهاد الحسين رضي الله عنه، ومن ومعه:

ـ ما قبل المعركة:

كان عدد الذين مع الحسين رضي الله عنه، اثنين وسبعين فارساً، وجيش الكوفة خمسة آلاف.

ولما وقف الفريقان قال الحسين رضي الله عنه لجيش ابن زياد: **راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي؟ وأنا ابن بنت نبيِّكم وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري، وقد قال رسول الله ﷺ لي**

ولأخي: «سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[١].

وصار يحثهم على ترك أمر عبيد الله بن زياد والانضمام إليه، فانضم للحسين رضي الله عنه منهم ثلاثون فيهم الحر بن يزيد التميمي الذي كان أمير مقدمة جيش عبيد الله بن زياد.

وقد قيل للحر بن يزيد: **أنت جئت معنا أمير المقدمة والآن تذهب إلى الحسين؟**

فقال: **ويحكم والله إني أُخيّر نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة ولو قطعت وأحرقت.**

ولما اقترب وقت المغرب تقدموا بخيولهم نحو الحسين رضي الله عنه، سأل الحسين أصحابه فقال: ما هذا؟ قالوا: إنهم تقدموا، فقال: اذهبوا إليهم فكلموهم وقولوا لهم ماذا تريدون؟

فذهب عشرون فارساً منهم العباس بن علي بن أبي طالب أخو الحسين، فكلموهم وسألوهم، فقالوا: إما أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد وإما أن يقاتَل.

قالوا: انتظروا حتى نخبر أبا عبد الله، فرجعوا إلى الحسين رضي الله عنه وأخبروه، فقال: قولوا لهم أمهلونا هذه الليلة وغداً نخبركم حتى أصلي لربي فإني أحب أن أصلي لربي تبارك وتعالى.

فبات ليلته يصلي لله تبارك وتعالى ويستغفره، ويدعو الله تبارك وتعالى هو ومن معه، رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي... (٥/٦٥٦)، ح(٣٧٦٨). وابن ماجه في سننه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل علي بن أبي طالب (١/٨٦)، ح(١١٩). وأحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١٨/١٣٨)، ح(١١٥٩٤).

- يوم المعركة (وقعة الطف سنة ٦١هـ):

في صباح يوم الجمعة عام ٦١هـ نظم الحسين رضي الله عنه أصحابه وعزم على القتال، وقسم مقاتليه:

تنظيم الحسين رضي الله عنه للمقاتلين وتقسيمهم	
زهير بن القين	قائد الميمنة
حبيب بن مظاهر	قائد الميسرة
العباس بن علي	حامل الراية

وأما عمر بن سعد فقد نظَّم جيشه على الشكل التالي:

تنظيم عمر بن سعد جيشه	
عمرو بن الحجاج الزبيدي	قائد الميمنة
شمر بن ذي الجوشن	قائد الميسرة
عزرة بن قيس الأحمسي	قائد الخيالة
شبث بن ربعي الرياحي	قائد المشاة
ذويد	حامل الراية

كانت بداية المعركة عبارة عن مبارزات بين الطرفين، وقد قوبل جيش عمر بن سعد بمقاومة شديدة من أنصار الحسين رضي الله عنه، حيث أن مقتلتهم اتسمت بالفدائية فلم يعد لهم أمل في الحياة.

في البداية لم يشترك الحسين في القتال، وكان أصحابه يدافعون عنه، ولما قتل أصحابه لم يجرؤ أحد على قتله، وكان جيش عمر بن سعد يتدافعون ويخشى كل فرد أن يبوء بقتله وتمنوا أن يستسلم، ولكن الحسين رضي الله عنه لم يبد شيئاً من الليونة، بل كان يقاتلهم بشجاعة نادرة، عندئذٍ خشي شمر بن ذي الجوشن من انفلات زمام الأمور فصاح بالجند وأمرهم بقتله، فحملوا عليه، وضربه زرعة بن شريك التميمي ثم طعنه سنان بن أنس النخعي واحتز رأسه.

ويقال: أن الذي قتله عمرو بن بطار التغلبي، وزيد بن رقادة الحيني، ويقال: أن المتولي الإجهاز عليه شمر بن ذي الجوشن الضبي.

حمل رأس الحسين رضي الله عنه إلى ابن زياد، وقد قتل مع الحسين في المعركة اثنان وسبعون رجلاً، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمان وثمانون رجلاً.

وبعد انتهاء المعركة أمر عمر بن سعد بأن لا يدخل أحد على نساء الحسين وصبيانه، وأن لا يتعرض لهم أحد بسوء، وأرسل عمر بن سعد برأس الحسين ونسائه ومن كان من الصبيان إلى ابن زياد.

ـ تاريخ استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما:

وكان استشهاده رضي الله عنه يوم الجمعة العاشر من محرم سنة إحدى وستين للهجرة.

ـ من قُتل مع الحسين رضي الله عنه من آل أبي طالب:

وقد قتل في المعركة عدد من أقاربه رضي الله عنه وهم:

القتلى من آل أبي طالب		
أولاد علي بن أبي طالب	ـ الحسين ـ جعفر ـ العباس ـ أبو بكر ـ محمد ـ عثمان	٦ من أولاد علي
أولاد الحسين بن علي	ـ علي الأكبر ـ عبد الله	٢ من أولاد الحسين
أولاد الحسن بن علي	ـ عبد الله ـ القاسم ـ أبو بكر	٣ من أولاد الحسن
أولاد عقيل بن أبي طالب	ـ جعفر ـ عبد الله ـ عبد الرحمٰن ـ مسلم	٤ من أولاد عقيل
أولاد مسلم بن عقيل	ـ عبد الله	١ من أولاد مسلم
أولاد عبد الله بن جعفر	ـ عون ـ محمد	٢ من أولاد عبد الله
مجموع القتلى من آل بيت رسول الله ﷺ		١٨ رجلاً

ـ رأس الحسين عند ابن زياد:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أُتِيَ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ بِرَأْسِ الحُسَيْنِ عليه السلام، فَجُعِلَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ[١]، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئاً[٢]، فَقَالَ أَنَسٌ: «**كَانَ أَشْبَهَهُمْ[٣] بِرَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَ مَخْضُوباً[٤] بِالوَسْمَةِ[٥]**»[٦].

ولما وصل نساء الحسين وصبيانه صنع بهم ابن زياد أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل فأجرى عليهم الرزق، وأمر لهم بالكسوة والنفقة.

ـ أخبار مكذوبة:

تذكر بعض الروايات أن ابن زياد أمر بقتل كل من أنبت، ولعل مما يظهر كذب هذه الروايات حينما تذكر أن علي بن الحسين كشفوا عنه فوجدوه قد أنبت، فأمر ابن زياد بقتله ولكن شفاعة أخته زينب وتعلقها به حالت دون قتله.

وليس صحيحاً كذلك أن ابن زياد قد أساء معاملة نساء الحسين بعد قتله، أو في ترحيله لهن إلى الشام، فالروايات التاريخية تخبرنا أن أحسن شيء صنعه ابن زياد أنه أمر لهن بمنزل في مكان معتزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بالنفقة والكسوة.

---

(١) يضرب بقضيب على الأرض وينبش التراب به وقيل: يجعل القضيب في عيني الرأس وأنفه فقال له زيد بن أرقم رضي الله عنه: ارفع قضيبك فقد رأيت فم رسول الله ﷺ في موضعه.

(٢) روي أنه قال ما رأيت مثل هذا حُسْناً.

(٣) أي: أشبه أهل بيته به.

(٤) مصبوغاً.

(٥) نبت يميل إلى سواد يصبغ به.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين (٥/٢٦)، ح(٣٧٤٨).

يقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): «وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ سَبْيِ نِسَائِهِ وَالذَّرَارِيِّ، وَالدَّوَرَانِ بِهِمْ فِي الْبِلَادِ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى الْجِمَالِ بِغَيْرِ أَقْتَابٍ، فَهَذَا كَذِبٌ وَبَاطِلٌ: مَا سَبَى الْمُسْلِمُونَ ـ وَلله الْحَمْدُ ـ هَاشِمِيَّةً قَطُّ، وَلَا اسْتَحَلَّتْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ سَبْيَ بَنِي هَاشِمٍ قَطُّ، وَلَكِنَّ أَهْلَ الْهَوَى وَالْجَهْلِ يَكْذِبُونَ كَثِيراً»[(١)].

بل المرجح من الروايات أن ابن زياد بعد أن ذهبت عنه نشوة النصر، أحس فداحة خطئه وكان ذلك الشعور هو المسيطر على بعض أفراد أسرته القريبين منه.

فقد كانت أمه تقول له: ويلك ماذا صنعت، أو ماذا ارتكبت. وكان أخوه عثمان بن زياد يقول: لوددت والله أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأن حسيناً لم يقتل، فلا ينكر عليه عبد الله قوله.

ـ مصير عبيد الله بن زياد:

وأما عبيد الله بن زياد فما لبث أن قتل، قتله المختار بن أبي عبيد انتقاماً للحسين، وكان المختار ممن خذل مسلم بن عقيل فكان الحال بالنسبة لأهل الكوفة، أنهم أرادوا أن ينتقموا من أنفسهم؛ لأنهم خذلوا مسلم بن عقيل؛ ولأنهم لما خرج الحسين لم يدافع أحد منهم عنه إلا ما كان من الحر بن يزيد التميمي ومن معه.

فقد خرج المختار بجيش سمى نفسه **جيش التوابين** اعترافاً منهم بتقصيرهم اتجاه الحسين، وقاموا بقتل عبيد الله بن زياد وأصحابه.

---

(١) منهاج السُّنَّة، ابن تيمية (٤/٥٥٨).

عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا جِيءَ بِرَأْسِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ وَأَصْحَابِهِ نُضِّدَتْ فِي الْمَسْجِدِ فِي الرَّحَبَةِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ جَاءَتْ قَدْ جَاءَتْ، فَإِذَا حَيَّةٌ قَدْ جَاءَتْ تَخَلَّلُ الرُّؤوسَ حَتَّى دَخَلَتْ فِي مَنْخَرَيْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ فَمَكَثَتْ هُنَيْهَةً، ثُمَّ خَرَجَتْ فَذَهَبَتْ حَتَّى تَغَيَّبَتْ. ثُمَّ قَالُوا: قَدْ جَاءَتْ، قَدْ جَاءَتْ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً[1].

وهذا انتقام من الله تبارك وتعالى من هذا الرجل الذي ساهم مساهمة كبيرة في قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

ـ موقف يزيد من قتل الحسين:

كتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما حدث ويستشيره في شأن أبناء الحسين ونسائه، فلما بلغ الخبر يزيد بكى وقال: كنت أرضى من طاعتكم ـ أي: أهل العراق ـ بدون قتل الحسين؛ كذلك عاقبة البغي والعقوق، لعن الله ابن مرجانة لقد وجده بعيد الرحم منه، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين.

ثم جاء رد يزيد على ابن زياد يأمره بإرسال الأسارى إليه، فبادر ذكوانُ أبو خالد فأعطاهم عشرة آلاف درهم فتجهزوا بها، ومن هنا يعلم أن ابن زياد لم يحمل آل الحسين بشكل مؤلم، أو أنه حملهم مغللين، كما ورد في بعض الروايات المكذوبة.

وقدم أبناء الحسين على يزيد، ولما دخلوا عليه قالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد، أبنات رسول الله ﷺ سبايا، قال: بل حرائر كرام، أدخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلتِ.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب (٥/ ٦٦٠)، ح(٣٧٨٠). وقال: هذا حديث حسن صحيح. والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١١٢)، ح(٢٨٣٢).

قالت فاطمة: فدخلت إليهن فما وجدتُ فيهن سفيانية إلا ملتزمة تبكي.

وعندما دخل علي بن الحسين[١] قال يزيد: إن أباك قطع رحمي وظلمني فصنع الله به ما رأيت، فرد عليه علي بن الحسين ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]. ثم طلب يزيد من ابنه خالد أن يجبه، فلم يدر خالد ما يقول، فقال يزيد: قل له ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

ـ عودة أهل الحسين إلى المدينة:

قام يزيد بتخيير آل بيت الحسين بالبقاء في الشام، أو إن كان يحبون الذهاب لمكان آخر، فاختار آل الحسين العودة للمدينة المنورة.

عندها أمر يزيد بنساء الحسين وبناته أن يتجهزن، وأعطاهن من كل ما طلبن حتى لم يدع لهن حاجة بالمدينة إلا أمر بها، ثم أمر النعمان بن بشير أن يقوم بتجهيزهن.

وعند مغادرتهن دمشق كرّر يزيد الاعتذار من علي بن الحسين وقال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه، ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني بكل حاجة تكون لك.

وأمر يزيد أن يرافق ذرية الحسين وفد من موالي بني سفيان، وكان

(١) زين العابدين علي بن الحسين كان في معركة كربلاء لكنه لم يشارك بسبب المرض الذي كان ملازمه، وكان أثناء المعركة طريح الفراش فحُمل إلى ابن زياد مع بقية الصبيان والنساء.

عددهم ثلاثون فارساً، وأمر المصاحبين لهم أن ينزلوا حيث شاؤوا ومتى شاؤوا.

خرج آل الحسين رضي الله عنهم من دمشق محفوفين بأسباب الاحترام والتقدير حتى وصلوا إلى المدينة.

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) عن يزيد: وَأَكْرَمَ آلَ بَيْتِ الْحُسَيْنِ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ جَمِيعَ مَا فُقِدَ لَهُمْ وَأَضْعَافَهُ، وَرَدَّهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي تَجَمُّلٍ وَأُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَقَدْ نَاحَ أَهْلُهُ فِي مَنْزِلِهِ عَلَى الْحُسَيْنِ مَعَ آلِهِ ـ حِينَ كَانُوا عِنْدَهُمْ ـ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ[١].

قضية رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما:

أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أُتِيَ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ بِرَأْسِ الحُسَيْنِ عليه السلام، فَجُعِلَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئاً، فَقَالَ أَنَسٌ: «**كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَ مَخْضُوباً بِالوَسْمَةِ**»[٢].

ورواية أنس عند الطبراني والبزار بلفظ: «**جَعَلَ يَنْكُتُ بِالْقَضِيبِ ثَنَايَاهُ يَقُولُ: لَقَدْ كَانَ أَحْسَبُهُ قَالَ: جَمِيلاً فَقُلْتُ: والله لأسوئنك إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَلْثِمُ حَيْثُ يَقَعُ قَضِيبُكَ قَالَ: فَانْقَبَضَ**»[٣].

قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني بأسانيد ورجاله وثقوا[٤].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٦٥١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٥/ ٢٦)، ح(٣٧٤٨).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٢٥)، ح(٢٨٧٨). والبزار في مسنده، مسند أبي ذر الغفاري، مسند أبي حمزة أنس بن مالك (١٣/ ١٨٤)، ح(٦٦٣٢).

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، باب مناقب الحسين بن علي (٩/ ١٩٥)، ح(١٥١٤٧).

خلاصة القول: من الثابت تاريخياً أن الرأس الشريف وضع بين يدي الفاسق عبيد الله بن زياد، وأما إرساله إلى يزيد ووضعه بين يديه فلم يثبت من طريق موصول صحيح.

وإنما ورد في مرسل الليث بن سعد، ومن طريق الحصين عن رجل أُبْهِمَ اسمه (مولى لمعاوية).

ورواية ثالثة عند الطبراني من طريق فيه مجهول الحال وآخر ضعيف جدّاً.

ورواية رابعة عند ابن أبي الدنيا ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية[1] بإسناد فيه مجهول وآخر (سالم بن أبي حفصة) قال النسائي والدولابي: ليس بثقة، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويهم في الروايات[2]. هذا بالإضافة إلى غلوه كما قال ابن سعد في الطبقات[3] وهذا حال أقل الروايات الموصولة ضعفاً في هذه المسألة، فما بالك بروايات أبي مخنف التالف الهالك الوضاع؟

والحق يقال: أننا لم نجد رواية موصولة صحيحة السند تثبت أن رأس الحسين وضع بين يدي يزيد إلا أن كتب التاريخ تذكر ذلك ووردت بذلك آثار غير صحيحة الإسناد.

ولعل ذلك دفع الحافظ الناقد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى إبداء قولين أو رأيين في هذه المسألة فهو يقول تارةً: والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام[4]، ويقول تارةً أخرى: وقد اختلف العلماء بعدها في

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/٥٥٩).
(٢) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ابن حبان (١/٣٤٣).
(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٦/٣٣٦).
(٤) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/٥٠٨).

رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام أم لا؟ على قولين: الأظهر منهما أنه سيره إليه وقد وردت في ذلك آثار كثيرة والله أعلم[١].

قلنا: ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر التاريخية روايةً واحدة موصولة السند صحيحة تثبت ذلك.

بل إن الرواية الصحيحة ـ التي سنذكرها بعد قليل ـ عن شاهد عيان ثقة (هو الإمام زين العابدين) تؤكد أنهم دخلوا على يزيد وليس فيه ذكر إدخال الرأس الشريف، ولذلك فإننا نرجح القول الأول لابن كثير وهو أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام.

ورواية الإمام زين العابدين علي بن الحسين، قد أخرجها اثنان من الأخباريين الثقات (المدائني)[٢] وأبو العَرَب التميمي)[٣] مع اختلاف يسير في الألفاظ.

فقد روى المَدَائِنِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيْمَ بنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَمْرِو بنِ دِيْنَارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيْهِ قَالَ: «**قُتلَ الحُسَيْنُ، وَأُدخِلْنَا الكُوْفَةَ، فَلَقِيَنَا رَجُلٌ، فَأَدْخَلَنَا مَنْزِلَهُ، فَأَلْحَفَنَا، فَنِمْتُ، فَلَمْ أَسْتَيقِظْ إِلَّا بِحِسِّ الخَيلِ فِي الأَزِقَّةِ، فَحُمِلْنَا إِلَى يَزِيْدَ، فَدمعَتْ عَينُهُ حِيْنَ رَآنَا، وَأَعْطَانَا مَا شِئْنَا..**»[٤].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٥١٩).

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن المدائني: مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة. ولد سنة (١٣٥هـ). سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي سنة (٢٢٥هـ). انظر الأعلام الزركلي (٤/ ٣٢٣) بتصرف.

(٣) هو تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العَرَب، ولد سنة (٢٥١هـ)، مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل القيروان بإفريقية، كان جده من أمرائها. توفي سنة (٣٣٣هـ). انظر: الأعلام، الزركلي (٥/ ٣٠٩) بتصرف.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/ ٣٧٢).

قلنا: ورجال هذا الإسناد بين الثقة والصدوق، والخبر أخرجه أبو العرب التميمي المؤرخ المعروف عن علي بن الحسين وفيه: «وَاللهِ مَا عَلِمْتُ بِخُرُوجِ أَبِي عَبْدِ اللهِ حِينَ خَرَجَ وَلا بِقَتْلِهِ حِينَ قُتِلَ» - وفي آخره - «فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اصْنَعْ بِهِمْ مَا كَانَ يَصْنَعُ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَوْ رَآهُمْ بِهَذِهِ الْحَيْنَةِ، فَقَالَت فَاطِمَة بنت الْحُسَيْن: يَا يزِيد أبنات رَسُولِ اللهِ سَبَايَا. قَالَ: فَبَكَى حَتَّى كَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ وَبَكَى أَهْلُ الدَّارِ حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ ثُمَّ قَالَ: خَلُّوا عَنْهُمْ وَاذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى الْحَمَّامِ فَاغْسِلُوهُمْ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْقِبَابَ فَفَعَلُوا، وَأَمَالَ عَلَيْهِمُ الْمَطْبَخَ وَكَسَاهُمْ وَأَخْرَجَ لَهُمْ جَوَائِزَ كَثِيرَةً، ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ نَسَبٌ مَا قَتَلَهُمْ؛ يَعْنِي: ابْنَ زِيَادٍ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ»[١].

وهذه الرواية الصحيحة وغيرها تؤكد أن يزيداً ساءه مقتل الحسين بن علي والله أعلم[٢].

وقد دفن الحسين ولا يعلم قبره، ولكن المشهور أنه دفن في كربلاء حيث قتل رضي الله عنه[٣].

- روايات ضعيفة أو مكذوبة في استشهاد الحسين رضي الله عنه:

وما روي من أن السماء صارت تمطر دماً، أو ما يرفع من حجر إلا ويوجد تحته دم، أو ما يذبحون جزوراً إلا وصار كله دماً، أو احمرار في الأفق، وبكاء الجن، ومن كون الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت

(١) المحن، محمد بن أحمد أبو العرب (ص١٥٦).

(٢) ما ذكرت في قضية رأس الحسين، هو من كلام المحقق محمد بن طاهر البرزنجي، انظر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري، تحقيق محمد بن طاهر البرزنجي (٤/ ٧٢ - ٧٥) بتصرف.

(٣) حقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص١٥٣).

النجوم، وإن أرجاء السماء احمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشُعاعُها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها عَلَقَة، وأن الكواكب صار يضرب بعضها بعضاً، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دماً، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم، فهذه كلها من أكاذيب وترهات ليس لها سند صحيح إلى النبي ﷺ، أو أحد ممن عاصر الحادثة، فهي تذكر فقط لإثارة العواطف أو روايات بأسانيد منقطعة ممن لم يدرك الحادثة[١].

ـ إخبار النبي ﷺ عن مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما:

عَنْ عَائِشَةَ، أَوْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِإِحْدَاهُمَا: «**لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ الْبَيْتَ مَلَكٌ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قَبْلَهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّ ابْنَكَ هَذَا حُسَيْنٌ مَقْتُولٌ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا**» قَالَ: «**فَأَخْرَجَ تُرْبَةً حَمْرَاءَ**»[٢].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ مَلَكَ الْمَطَرِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «**امْلِكِي عَلَيْنَا الْبَابَ، لَا يَدْخُلْ عَلَيْنَا أَحَدٌ**»، قَالَ: وَجَاءَ الْحُسَيْنُ لِيَدْخُلَ فَمَنَعَتْهُ، فَوَثَبَ فَدَخَلَ فَجَعَلَ يَقْعُدُ عَلَى ظَهَرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى مَنْكِبِهِ، وَعَلَى عَاتِقِهِ، قَالَ: فَقَالَ الْمَلَكُ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

---

(١) انظر: أحداث قصة استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه بتفاصيلها: تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري. والكامل في التاريخ، ابن الأثير. والبداية والنهاية، ابن كثير. وأنساب الأشراف، البلاذري. نقلاً عن حقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص١٤٠ ـ ١٤٩). ومعاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلابي (ص٤٦٨ ـ ٤٧٩) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند النساء، حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ (٤٤/١٤٣ ـ ١٤٤)، ح(٢٦٥٢٣). وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

أَتُحِبُّهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: أَمَا إِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَجَاءَ بِطِينَةٍ حَمْرَاءَ، فَأَخَذَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ فَصَرَّتْهَا فِي خِمَارِهَا. قَالَ ثَابِتٌ: «بَلَغَنَا أَنَّهَا كَرْبَلَاءُ»(١).

عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فِي الْمَنَامِ بِنِصْفِ النَّهَارِ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَعَهُ قَارُورَةٌ فِيهَا دَمٌ يَلْتَقِطُهُ أَوْ يَتَتَبَّعُ فِيهَا شَيْئاً قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: **دَمُ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ لَمْ أَزَلْ أَتَتَبَّعُهُ مُنْذُ الْيَوْمَ**» قَالَ عَمَّارٌ: «فَحَفِظْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فَوَجَدْنَاهُ قُتِلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ»(٢).

ما حكم خروج الحسين رضي الله عنه؟

لقد قام الصحابة الكرام رضي الله عنهم بنهي الحسين رضي الله عنه عن الخروج لما يعرفونه عن أهل الكوفة من الغدر والخيانة، ولم يكونوا يرونَ مصلحة من خروجه في ذلك الوقت؛ بل بهذا الخروج نال أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، ولكنه أمر الله تبارك وتعالى، وما قدَّر الله تبارك وتعالى كان ولو لم يشأ الناس.

وقتل الحسين رضي الله عنه كبير وعظيم فهو سبط النبي ﷺ، لكن هنالك

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه (٢١/ ١٧٢ ـ ١٧٣). وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث (١٥/ ١٤٢)، ح(٦٧٤٢). والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٠٦)، ح(٢٨١٣). وأبي يعلى في مسنده (٦/ ١٢٩)، ح(٣٤٠٢). وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس (٤/ ٥٩ ـ ٦٠)، ح(٢١٦٦). وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

من الأنبياء من قتل وقطع رأسه وهؤلاء في المكانة عند الله أعظم، فقد قُدِّم رأس يحيى بن زكريا عليه السلام مهراً لبغيٍّ، وقتل زكريا عليه السلام، وأرادوا قتل موسى عليه السلام، وأرادوا قتل عيسى عليه السلام، وقتلوا غيرهم من الأنبياء، وكذلك قتل عمر، وقتل عثمان، وقتل علي، وهؤلاء كلهم أفضل من الحسين رضي الله عنهم.

فلذلك لا يجوز للإنسان إذا تذكر مقتل الحسين رضي الله عنه أن يقوم بأمر منهي عنه؛ بل الواجب على المسلم إذا جاءت أمثال هذه المصائب أن يقول كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦][1].

ـ من المسؤول عن قتل الحسين رضي الله عنه؟

إن المسؤول عن قتل الحسين أطراف عدة ومنها:

١ ـ أهل الكوفة:

إن أهل الكوفة هم الذين كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنهما وهو في المدينة، ومنّوه بالخروج حتى خرج إليهم بالرغم من تحذيرات الصحابة له بعد الخروج، وقد تأخر الناس عن نصرته وتأييده، بعد خروجه إليهم؛ بل وانخرطوا في جيش ابن زياد وقاتلوه.

وقد خاطب الحسين رضي الله عنه أهل الكوفة فقال: «**أيها النَّاس اسمعوا قولي**. فتكلم بكلام عَدَّدَ فِيهِ فضل أَهْل بيته ثُمَّ قَالَ: **أتطلبوني بقتيل؟ أَوْ بمال استهلكته؟ أَوْ بقصاص من جراحة جرحتها؟**

فجعلوا لا يكلمونه، ثم نادى عليه السلام: **يَا شَبَث بْن رَبْعِيّ يَا حجار بْن أبجر، يَا قَيْس بْن الأشعث يَا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا إلي أن قد**

---

(١) انظر: حقبة من التاريخ، عثمان خميس (ص١٥٠ ـ ١٥١) بتصرف.

أينعت الثمار؟! واخضر الجناب وطمت الجمام وإنما تقدم عَلَى جند لك مجند؟!! قالوا: لم نفعل!!! ثم قال عليه السلام: **أيها النَّاس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف إِلَى مأمني!!!»**[١].

وبالنظر إلى أقوال الصحابة فإن الاتهام موجه إلى أهل العراق، وقد ذكرتُ ذلك في مواقف الصحابة من خروج الحسين رضي الله عنه.

٢ ـ عبيد الله بن زياد:

استمد عبيد الله جبروته وبطشه بالمعارضين من موافقة الخليفة يزيد بن معاوية، وذلك عند قتله مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، فقد استحسن ذلك يزيد ولم يعترض عليه.

هذا الذي دفع ابن زياد للشر أكثر، خصوصاً وأن نفسه كانت ميالة للشر بطبيعتها، متطلعة إلى الغلو في مسيرتها، وإلا فماذا كان عليه لو نهر شمر وعنفه وردعه على قوله، واستمر في قبول خطة السلم التي عرضها الحسين رضي الله عنه.

٣ ـ عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش:

ومن المسؤولين عن قتل الحسين قائد الجيش عمر بن سعد، مع أنه لم يخرج في البداية لقتال الحسين، ولكنه خارجاً لقتال الديلم في أربعة آلاف مقاتل، فلما بلغ ابن زياد أمر الحسين سيَّره إليه، ولما طلب منه ابن زياد مقاتلة الحسين رفض، فهدده ابن زياد بخلعه من الإمارة فتراجع عمر عن رأيه، وذلك لتعلق نفسه بالدنيا وحب الإمارة.

٤ ـ يزيد بن معاوية:

أما يزيد، فظاهر الأمر أنه كره قتل الحسين رضي الله عنه، وحاول أن يمنعه

---

(١) أنساب الأشراف، البلاذري (٣/ ١٨٨).

من الخروج، فكتب إلى ابن عباس، يسأله أن يكف الحسين عن الخروج.

ولما بلغه خبر قتل الحسين رضي الله عنه بكى عليه، ولكن بكاءه وسب ابن زياد لا يرفع اللوم عن يزيد، ولا يخليه من تبعة قتل الحسين وأصحابه؛ ذلك لأنه كان قادراً على أن يوجه أوامر صريحة لابن زياد بعد قتل الحسين رضي الله عنه، والتصرف معه بكل حكمة وتعقل، حفظاً لرحمه وقرابته من رسول الله ﷺ ومكانته في قلوب المسلمين.

إن تحمل يزيد لمسؤولية قتل الحسين رضي الله عنه قائمة، كيف وقد قتل في خلافته وعلى أرض تسيطر عليها جيوشه.

إن مقتل الحسين رضي الله عنه سيظل وصمة عار ونقطة سوداء في عهد يزيد بن معاوية[١].

ـ أقوال الناس في يزيد، وهل يجوز لعنه؟

افترق الناس في يزيد بن معاوية على ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: قالوا عنه أنه كان كافراً، وأنه سعى في قتل سبط رسول الله ﷺ تشفياً من رسول الله ﷺ وانتقاماً منه، وأخذاً بثأر جده عتبة بن ربيعة وأخي جده شيبة، والوليد بن عتبة، وغيرهم ممن قتلهم أصحاب رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر. وقالوا: تلك أحقاد بدرية، وآثار جاهلية. وأشياء من هذا النمط وهذا القول، قالوا عنه إنه مغالي في الحكم على يزيد.

الفرقة الثانية: قالوا عنه أنه رجلٌ صالح وإمام عادل، وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي ﷺ، وحمله على يديه وبرّك عليه،

---

(١) انظر: معاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلابي (ص٤٨٠ ـ ٤٨٤) بتصرف.

وربما فضله بعضهم على أبي بكر وعمر؛ بل ووضعوا أحاديث عن رسول الله ﷺ في فضله. وهذا القول أيضاً باطل ولا يقبل لما فيه من مبالغة في مدح يزيد والثناء عليه.

الفرقة الثالثة: قالوا أنه كان ملكاً من ملوك المسلمين، له حسنات وسيئات، ولم يكن كافراً، ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين، وأفعال أخرى قام بها.

كما أنه لم يكن صحابيّاً، إذ أنه ولد في أيام خلافة عثمان رضي الله عنه. ولم يكن من أولياء الله الصالحين، وهذا عامة قول أهل العلم والعقل. وقد قال أبو محمد المقدسي لما سئل عن يزيد: **فِيمَا بَلَغَنِي لَا يُسَبُّ وَلَا يُحَبُّ**. وبلغني أيضاً أن جدنا أبا عبد الله ابن تيمية سئل عن يزيد. فقال: **لَا تُنْقِصْ وَلَا تَزِدْ**. وهذا أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله وأحسنها[١].

وأما ما قيل من أحاديث قيلت في ذم يزيد، فقد قال الإمام ابن كثير (ت٧٧٤هـ): «**وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ عَسَاكِرَ أَحَادِيثَ فِي ذَمِّ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، كُلُّهَا مَوْضُوعَةٌ، لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا**»[٢][٣].

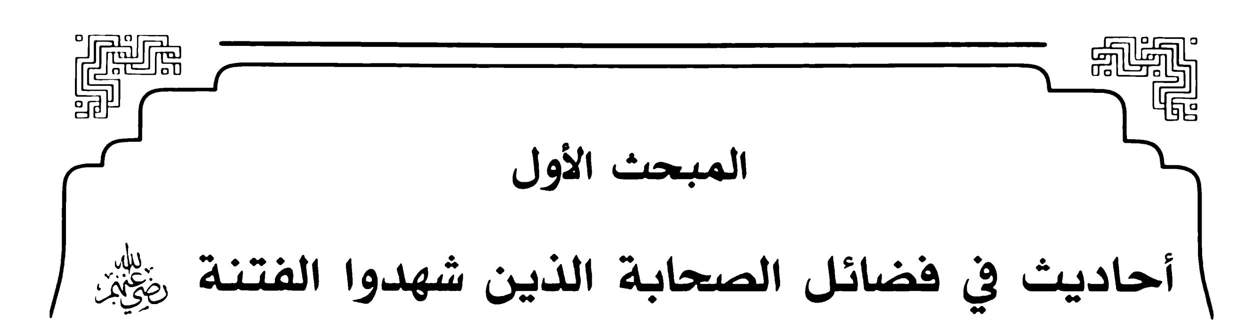


(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤/ ٤٨٣).
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١١/ ٦٤٩).
(٣) انظر: معاوية بن أبي سفيان، علي محمد الصلابي (ص٤٨٤ ـ ٤٨٧) بتصرف.



الفصل الثالث

الصحابة فضائلهم وواجبنا تجاههم



المبحث الأول

أحاديث في فضائل الصحابة الذين شهدوا الفتنة رضي الله عنهم

في هذا المبحث نسوق بعض الأحاديث في فضائل الأصحاب وآل بيت النبي ﷺ ممن كانوا في زمان وقوع الفتن، حتى يعلم الناس مكانة هؤلاء الأطهار، وكيف أثنى عليهم رسول الله ﷺ.

ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه: وهو من العشرة المبشرين في الجنة:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُضْطَجِعاً فِي بَيْتِي، كَاشِفاً عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: **«أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»**(١).

عَنْ أَنَس رضي الله عنه، قَالَ: صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُداً وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ، وَقَالَ: **«اسْكُنْ أُحُدُ** ـ أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ ـ، **فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤/١٨٦٦)، ح(٢٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان (٥/١٥)، ح(٣٦٩٩).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ﵁ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفِي كُمِّهِ أَلْفُ دِينَارٍ، فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ وَلَّى، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: **«مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا أَبَداً»**(١).

ـ علي بن أبي طالب ﵁: وهو من العشرة المبشرين في الجنة:

عَنْ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«عَشَرَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو...»**(٢).

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﵁، قَالَ: قَالَ النبي ﷺ لِعَلِيٍّ: **«أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»**(٣).

قَالَ عَلِيٌّ ﵁: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: **«أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»**(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب (٥/ ٦٢٦)، ح(٣٧٠١). وهو حديث حسن. والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مقتل أمير المؤمنين عثمان ﵁ (٣/ ١١٠)، ح(٤٥٥٣). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب (٧/ ٣٣٤)، ح(٨١٥٣). والحميدي في مسنده، أحاديث سعيد بن زيد (١/ ١٩٧)، ح(٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان... (٣/ ١٨٤)، ح(٢٦٩٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان (١/ ٨٦)، ح(٧٨).

ـ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: **«فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ**(١) **عَلَى سَائِرِ**(٢) **الطَّعَامِ»**(٣).

عَنْ هِشَام، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ، وَالله إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: **«يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَالله مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا»**(٤).

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْماً: **«يَا عَائِشَةَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ»** فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا أَرَى «تُرِيدُ رَسُولَ الله ﷺ»(٥).

---

(١) الثريد: طعام يكون فيه لحم مطبوخ وخبز مكسور.

(٢) أي: باقي الطعام.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها (٥/ ٢٩)، ح(٣٧٧٠). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٤/ ١٨٩٦)، ح(٢٤٤٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها (٥/ ٣٠)، ح(٣٧٧٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها (٥/ ٢٩)، ح(٣٧٦٨).

ـ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: وهو من العشرة المبشرين في الجنة:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله»**[١].

عَنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ: **«أَوْجَبَ طَلْحَةُ»**[٢] حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ الله ﷺ مَا صَنَعَ؛ يَعْنِي: حِينَ بَرَكَ لَهُ طَلْحَةُ فَصَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ[٣].

عَنْ مُوسَى، وَعِيسَى، ابْنَيْ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِمَا طَلْحَةَ، أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ قَالُوا لِأَعْرَابِيٍّ جَاهِلٍ: سَلْهُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ مَنْ هُوَ[٤]؟ وَكَانُوا لَا يَجْتَرِؤونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ يُوَقِّرُونَهُ وَيَهَابُونَهُ، فَسَأَلَهُ الأَعْرَابِيُّ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ إِنِّي اطَّلَعْتُ ـ أي: طلحة ـ مِنْ بَابِ المَسْجِدِ وَعَلَيَّ ثِيَابٌ خُضْرٌ، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: **«أَيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ؟»** قَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»**[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب (٥/ ٦٤٤)، ح(٣٧٣٩). والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب محمد بن طلحة بن عبيد الله (٣/ ٤٢٤)، ح(٥٦١٢).

(٢) أي: عَمِلَ عملاً وجبت له الجنة به.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة، مسند الزبير بن العوام رضي الله عنه (٣/ ٣٣)، ح(١٤١٧).

(٤) أي ممن تكلمت عنهم الآية في سورة الأحزاب: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب (٥/ ٣٥٠)، ح(٣٢٠٣).

ـ الزبير بن العوَّام ﭬ: وهو من العشرة المبشرين في الجنة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﭬ، قَالَ: نَدَبَ[(١)] رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ**[(٢)] **وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**»[(٣)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﭭ، قَالَ: كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ، يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ؟ قَالَ: أَوَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ**». فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[(٤)].

ـ الحسن والحسين ﭭ: سيدا شباب أهل الجنة:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﭭ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالحَسَنَ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا**»[(٥)].

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ﭬ، وَحَمَلَ الحَسَنَ

---

(١) أي: دعاهم للجهاد وحرضهم عليه فأجابه الزبير ﭬ.

(٢) أي: ناصر.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الزبير بن العوام ﭬ (٥/ ٢١)، ح(٣٧١٩). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة، والزبير (٤/ ١٨٧٩)، ح(٢٤١٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الزبير بن العوام ﭬ (٥/ ٢١ ـ ٢٢)، ح(٣٧٢٠). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة، والزبير ﭭ (٤/ ١٨٧٩)، ح(٢٤١٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﭭ (٥/ ٢٦)، ح(٣٧٤٧).

وَهُوَ يَقُولُ: «**بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ، لَيْسَ شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ**» وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ(١).

فمن المعلوم أن الحسن ﵁، كان أشبه الخلق برسول الله ﷺ، وكان وجهه حسناً كوجه المصطفى ﷺ، ويقال إن الحسين ﵁ كان يشبه النبي ﷺ في نصفه الأسفل؛ أي: فخذيه، وفي ساقيه، وفي قدميه؛ لكن الحسن ﵁ كان أشبه بوجه النبي ﷺ؛ ولذلك كان النبي ﷺ يقول عن الحسن وهو جالس في حجره: «**هَذَا مِنِّي وَحُسَيْنٌ مِنْ عَلِيٍّ**»(٢).

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣](٣).

وعن أُمِّ سَلَمَةَ ﵂، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ جَاءَ نَعْيُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ لَعَنَتْ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ: غَرُّوهُ وَذَلُّوهُ، لَعَنَهُمُ اللهُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ غَدِيَّةً(٤) بِبُرْمَةٍ، قَدْ صَنَعَتْ لَهُ فِيهَا عَصِيدَةً(٥) تَحْمِلُهَا فِي طَبَقٍ لَهَا، حَتَّى وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟**» قَالَتْ: هُوَ فِي الْبَيْتِ. قَالَ: «**فَاذْهَبِي، فَادْعِيهِ، وَائْتِنِي**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﵄ (٥/ ٢٦)، ح(٣٧٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب اللباس، باب في جلود النمور والسباع (٦/ ٢١٨)، ح(٤١٣١). وأحمد في مسنده، مسند الشاميين (٢٨/ ٤٢٦)، ح(١٧١٨٩). والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٤٣)، ح(٢٦٢٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ (٤/ ١٨٨٣)، ح(٢٤٢٤).

(٤) أي: في وقت الصباح.

(٥) هو الطعام الذي يصنع من الدقيق والعسل.

بِابْنَيْهِ[١]. قَالَتْ: فَجَاءَتْ تَقُودُ ابْنَيْهَا، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدٍ، وَعَلِيٌّ يَمْشِي فِي أَثَرِهِمَا، حَتَّى دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَجْلَسَهُمَا[٢] فِي حِجْرِهِ، وَجَلَسَ عَلِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ، وَجَلَسَتْ فَاطِمَةُ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَاجْتَبَذَ مِنْ تَحْتِي كِسَاءً خَيْبَرِيّاً[٣] كَانَ بِسَاطاً لَنَا عَلَى الْمَنَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ، فَلَفَّهُ النَّبِيُّ ﷺ جَمِيعاً، فَأَخَذَ بِشِمَالِهِ طَرَفَي الْكِسَاءِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى رَبِّهِ ﷻ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَهْلِي، أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً، اللَّهُمَّ أَهْلِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: «**بَلَى، فَادْخُلِي فِي الْكِسَاءِ**» قَالَتْ: فَدَخَلْتُ فِي الْكِسَاءِ بَعْدَمَا قَضَى دُعَاءَهُ لِابْنِ عَمِّهِ عَلِيٍّ وَابْنَيْهِ، وَابْنَتِهِ فَاطِمَةَ ﷺ[٤].

عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، قَالَ: كُنْتُ شَاهِداً لِابْنِ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ البَعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا**»[٥].

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مسعودٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي، فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْنَعُوهُمَا أَشَارَ إِلَيْهِمْ: أَنْ دَعُوهُمَا فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ وَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ. فَقَالَ: «**مَنْ**

---

(١) أي: الحسن والحسين.
(٢) أي: الحسن والحسين.
(٣) أي: من خيبر.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده، مسند النساء (٤٤/١٧٣ ـ ١٧٤)، ح(٢٦٥٥٠).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٨/٧)، ح(٥٩٩٤).

أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ»[١] .

ـ معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ الله عَنْهُ :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ الْأَزْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً وَاهْدِ بِهِ**»[٢] .

عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ**»[٣] .

عَنْ أُمِّ حَرَامٍ رَضِيَ الله عَنْهَا؛ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا**»[٤] .

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): «قَالَ الْمُهَلَّبُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْقَبَةٌ لِمُعَاوِيَةَ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَزَا الْبَحْرَ»[٥] .

وقد روى الإمام ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ غَزَا فِي الْبَحْرِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ زَمَانَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَقَدْ كَانَ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ فِيهِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ لَمْ يَزَلْ بِهِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٢٦٤)، ح(٣٩٧). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، فضائل الحسن والحسين (٧/ ٣١٨)، ح(٨١١٤). وأبو يعلى في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود (٨/ ٤٣٤)، ح(٥٠١٧). وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن الإشارة في الصلاة. (٢/ ٤٨)، ح(٨٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين (٢٩/ ٤٢٦)، ح(١٧٨٩٥). والترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ الله عَنْهُ (٥/ ٦٨٧)، ح(٣٨٤٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين (٢٨/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤)، ح(١٧١٥١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم (٤/ ٤٢)، ح(٢٩٢٤).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ١٠٢).

مُعَاوِيَةُ، حَتَّى عَزَمَ عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ بِآخِرَةٍ، وَقَالَ: لا تَنْتَخِبِ النَّاسَ، وَلا تَقْرَعْ بَيْنَهُمْ، خَيِّرْهُمْ، فَمَنِ اخْتَارَ الْغَزْوَ طَائِعاً فَاحْمِلْهُ وَأَعِنْهُ، فَفَعَلَ[1].

ويقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في مكانة معاوية رضي الله عنه: «فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ أَنَّهُ أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَمَرَ غَيْرَهُ وَجَاهَدَ مَعَهُ وَكَانَ أَمِيناً عِنْدَهُ يَكْتُبُ لَهُ الْوَحْيَ وَمَا اتَّهَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي كِتَابَةِ الْوَحْيِ. وَوَلَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه الَّذِي كَانَ مِنْ أَخْبَرِ النَّاسِ بِالرِّجَالِ وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَلَمْ يَتَّهِمْهُ فِي وِلَايَتِهِ»[2].

ـ عمرو بن العاص رضي الله عنه:

عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ رِمْثَةَ الْبَلَوِيِّ؛ أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في سَرِيَّةٍ، وَخَرَجْنَا مَعَهُ فَنَعَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**رَحِمَ اللهُ عَمْراً**» قَالَ: فَتَذَاكَرْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ اسْمُهُ عَمْرٌو، فَنَعَسَ ثَانِياً فَاسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**رَحِمَ اللهُ عَمْراً**»، ثُمَّ نَعَسَ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**رَحِمَ اللهُ عَمْراً**» فَقُلْنَا: مَنْ عَمْرٌو يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ**». قَالُوا: مَا بَالُهُ؟ قَالَ: «**ذَكَرْتُهُ إِنِّي كُنْتُ إِذَا نَدَبْتُ النَّاسَ إِلَى الصَّدَقَةِ، فَجَاءَ بِالصَّدَقَةِ فَأَجْزَلَ فَأَقُولُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَصَدَقَ عَمْرٌو إِنَّ لِعَمْرٍو خَيْراً كَثِيراً**» قَالَ زُهَيْرٌ: «فَلَمَّا كَانَتِ الْفِتْنَةُ قُلْتُ: أَتْبَعُ هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا قَالَ فَلَمْ أُفَارِقْهُ»[3].

---

(١) تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (٤/ ٢٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤/ ٤٧٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب عمرو بن العاص (٣/ ٥١٥)، ح(٥٩١٦). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد =

ويقصد زهير بذلك الفتنة التي دارت بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وهو اجتهاد من زهير، ولكن ما عليه جمهور الأمة أن الحق كان مع علي رضي الله عنه، وأن معاوية رضي الله عنه اجتهد فأخطأ رضي الله عنهم.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ»**[(١)].

عن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **«إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ مِنْ صَالِحِي قُرَيْشٍ، وَنِعْمَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَبْدُ اللهِ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ، وَأُمُّ عَبْدِ اللهِ»**[(٢)].

وعن قبيصة بن جابر: صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أَبْيَنَ قرآناً، ولا أكرمَ خُلُقاً، ولا أشبه سريرة بعلانية منه[(٣)].

ـ عبد الله بن قيس «أبو موسى الأشعري»:

هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على زَبِيد وعَدَن، وولي إمرة الكوفة، ومن ثم البصرة لعمر رضي الله عنه.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: **«يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ**

= ولم يخرجاه. وأحمد في مسنده، مسند علقمة بن رمثة البلوي (٣٩/ ٥١٣)، بلفظ قريب. والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٥).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب عمرو بن العاص رضي الله عنه (٥/ ٦٨٧)، ح(٣٨٤٤). وأحمد في مسنده، مسند الشاميين (٢٨/ ٦٢٩)، ح(١٧٤١٢). والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٠٦)، ح(٨٤٥).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده، مسند طلحة بن عبيد الله (٢/ ١٨)، ح(٦٤٥). وأبو بكر البزار في مسنده، مسند طلحة بن عبيد الله (٣/ ١٧٢)، ح(٩٦١).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٤/ ٥٣٩).

أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ[١]»[٢].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً**»[٣].

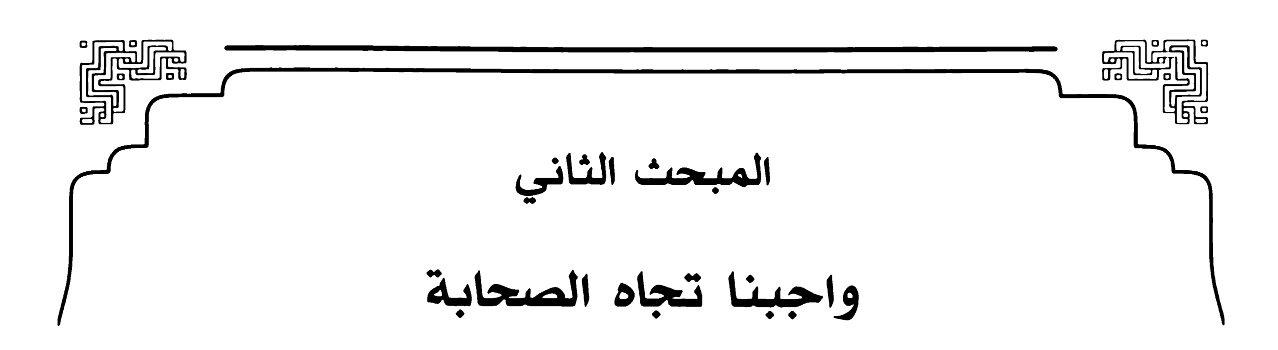


---

(١) **مزماراً**: صوتاً حسناً يشبه ما أعطيه داود عليه السلام من حسن الصوت. وأصله الآلة وأطلق على الصوت الحسن للمشابهة بينهما. من شرح وتعليق الشيخ مصطفى البغا على صحيح البخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن (٦/ ١٩٥)، ح(٥٠٤٨). ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (١/ ٥٤٦)، ح(٧٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس (٥/ ١٥٥)، ح(٤٣٢٣). ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين (٤/ ١٩٤٣)، ح(٢٤٩٨).



المبحث الثاني

واجبنا تجاه الصحابة

بعد النظر في حياة أصحاب رسول الله ﷺ، يَخْلُص المرء إلى الواجب الذي يترتب عليه تجاه أصحاب رسول الله ﷺ، وهو حبهم، والترضي عنهم، والسكوت عمَّا شجر بينهم.

وهذا لا يكون إلا باستقامة القلوب من الحقد عليهم، أو بغضهم، أو الوقيعة فيهم وقد قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وقد تعجبت السيدة عائشة رضي الله عنها ممن يقعون بألسنتهم في الصحابة، فقالت لابن أختها عروة بن الزبير: **يَا ابْنَ أُخْتِي «أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ»**[(١)].

وقال قَبِيصَةَ بْنَ عُقْبَةَ رحمه الله: **«حُبُّ أَصْحَابِ النَّبِي ﷺ كُلُّهُمْ سُنَّةٌ»**[(٢)].

وقال الإمام محمد بن أحمد السفاريني (ت١١٨٨هـ): **«وَفِي وَصْفِنَا إِيَّاهُمْ بِالْأَبْرَارِ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَذْهَبِ الرَّاجِحِ مِنْ أَنَّهُمْ عُدُولٌ كُلُّهُمْ، وَلَا يُبْحَثُ عَنْ عَدَالَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، لَا فِي رِوَايَةٍ وَلَا فِي شَهَادَةٍ، وَالْمُرَادُ مَا لَمْ يَظْهَرْ مُعَارِضٌ كَزِنَا مَاعِزٍ.**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (٤/ ٢٣١٧)، ح(٣٠٢٢).

(٢) أخرجه إسماعيل بن محمد التيمي في الحجة في بيان المحجة (٢/ ٣٩٤)، ح(٣٦٢).

وَعَلَى النَّاسِ ذِكْرُ مَحَاسِنِهِمْ، وَالْكَفُّ عَمَّا جَرَى بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَيَجِبُ حَمْلُ ذَلِكَ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ، وَظَنِّ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَنَّ مَا صَارَ إِلَيْهِ هُوَ الْوَاجِبُ، وَأَنَّهُ أَرْفَقُ لِلدِّينِ وَأَوْفَقُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكُلُّ مُجْتَهِدٍ مَأْجُورٌ، وَالله وَلِيُّ الْأُمُورِ»(١).

قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَا تَقُولُ فِي أَهْلِ صِفِّينَ. قَالَ: «**تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ الله يَدَيَّ مِنْهَا، فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَخْضِبَ لِسَانِي فِيهَا**»(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَثَلُ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ مَثَلُ الْعُيُونِ، وَدَوَاءُ الْعُيُونِ تَرْكُ مَسِّهَا**»(٣).

وسئل الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مَا تَقُولُ فِيمَا كَانَ مِنْ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُمَا الله؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله: «**مَا أَقُولُ فِيهَا إِلَّا الْحُسْنَى، رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ**»(٤).

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): «**وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وُجُوبِ مَنْعِ الطَّعْنِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ عَرَفَ الْمُحِقَّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ إِلَّا عَنِ اجْتِهَادٍ وَقَدْ عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنِ الْمُخْطِئِ فِي الِاجْتِهَادِ؛ بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَرُ أَجْراً وَاحِداً وَأَنَّ الْمُصِيبَ يُؤْجَرُ أَجْرَيْنِ**»(٥).

فالإجماع قائم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي

---

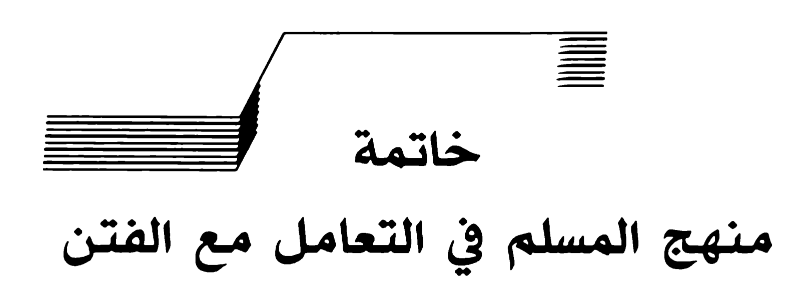
(١) لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني (١/ ٥٣).
(٢) أخرجه أبو نُعَيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٤).
(٣) أخرجه أبو نُعَيم الأصبهاني في الطب النبوي (١/ ٣٤٧)، ح(٢٧٩).
(٤) أخرجه أبو بكر الخلال في السُّنَّة (٢/ ٤٦٠)، ح(٧١٣).
(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١٣/ ٣٤).

جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان والترحُّم عليهم، فهم أصحاب النبي ﷺ، أيَّدوه ونصروه، وحمى الله بهم الدِّين، وأثنى عليهم في كتابه الكريم(١).

واجبنا تجاه الصحابة:

- الترضي عنهم والدعاء لهم
- الاقتداء بهم في القول والعمل
- السكوت عن الفتن التي وقعت بينهم
- رواية قصص الصحابة وسيرهم بين الأجيال الجديدة
- نشر الكتب التي اهتمت برواية سيرهم

(١) انظر: الفتنة بين الصحابة، محمد حسان (ص٣٤١ ـ ٣٤٦) بتصرف.



خاتمة

منهج المسلم في التعامل مع الفتن

في زمن وقوع الفتن لا بد للمسلم من النظر في كتاب الله تعالى وفي سُنَّة النبي ﷺ حتى يستطيع استخراج المنهج الصحيح في التعامل مع الفتن، فما هو منهج المسلم في الفتن؟

والجواب في النقاط التالية:

١ ـ **الاعتصام بالله ﷻ والصدق في طلب العون منه**: وذلك حتى ينال المسلم العناية من الله تعالى والتثبيت في فتن تنزع عن المؤمن ثوب الإيمان والعياذ بالله تعالى.

فمن أعانه الله فهو المعان، ومن تخلَّى عنه فهو المخذول، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال أيضاً: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فلا بد من الاستعانة بالله، في كل الفتن التي يتعرض لها المسلم.

٢ ـ **تجديد الإيمان**: فالإيمان يضعف ويقوى، ويزيد وينقص، فهو يضعف في بيئة الفتن والمعاصي، ويقوى وينمو في بيئة الطاعات.

لذلك وجب على المسلم أن يجعل لنفسه وقتاً يستمع فيه إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ليزداد في ذلك إيماناً.

ففي الحديث الذي رواه الحاكم وغيره عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الْإِيـمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ**

أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»(١).

فالإيمان يتجدد بالطاعة كالذِّكر وملازمة الاستغفار، والصدق، وقيام الليل، وغيرها من الطاعات التي جعلها لنا ربنا ﷻ.

٣ ـ التمسك بالكتاب والسُّنَّة، والعمل بهما: وذلك بتحويل القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية إلى واقع عملي ومنهج حياة، قال تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه: ١ ـ ٣].

فما أنزل الله تعالى القرآن إلا ليقيم النبي ﷺ به أمة، ويربي القلوب والعقول والضمائر والأخلاق.

لذلك فمن أعظم صمَّامات الأمان في الفتن أن تجعل لك وِرداً يوميّاً مع كتاب الله لا تتخلى عنه، ولا بد أن يحرص عليه المسلم؛ كحرصه على الطعام والشراب، وتنفُّسه للهواء.

كذلك لا بد من امتثال أمر النبي ﷺ، واتباعه وتبليغ دعوته ورسالته، إذ لا يمكن أن نفهم القرآن إلا من خلال سُنَّته ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وقال أيضاً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان (١/ ٤٥)، ح(٥). وقال عنه: هذا حديث لم يخرج في الصحيحين ورواته مصريون ثقات. والطبراني في المعجم الكبير (١٤/ ٦٩)، ح(١٤٦٦٨).

٤ ـ **الثقة في وعد الله ووعد رسوله، وفَهْم السُّنَّة الربانية**: فشبابنا اليوم إن لم يفهموا السنن الربانية وقعوا في محنة حالكة، ألا وهي محنة القنوط واليأس من التغيير؛ بل وقعوا في محنة الشك بالله وفي وعده، وفي وعد الرسول ﷺ، فلا بد أن نفهم هذه السنن؛ لأن لله سنناً في الكون لا تتبدل ولا تتغير، فالله لا ينصر ولا يُمَكِّن ولا يستخلف إلا من حقق الإيمان. قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]. وقال أيضاً: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

٥ ـ **التحصُّن بالعبادة في وقت الفتن**: إن أقوى سلاح يستعين به المسلم وقت الفتن والبلاء أن يجتهد في العبادة؛ ويبذل كل ما يستطيع في عبادة الله تعالى، ليعيش بعيداً عن تلك الأمور العظام التي تعصف بالقلب وتغشاه. فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(١).

يقول الإمام النووي (ت٦٧٦هـ): «**الْمُرَادُ بِالْهَرْجِ هُنَا الْفِتْنَةُ وَاخْتِلَاطُ أُمُورِ النَّاسِ وَسَبَبُ كَثْرَةِ فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِيهِ أَنَّ الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد**»(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩].

٦ ـ **الاستعاذة بالله تعالى من الفتن**: فعلى العبد أن يستعيذ بالله من الفتن عند ورودها؛ بل وقبل ورودها عليه، ليحصِّن نفسه؛ فعن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه؛ أنَّ النبي ﷺ قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج (٤/٢٢٦٨)، ح(٢٩٤٨).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (١٨/٨٨).

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»(١).

والاستعاذة هي لجوء العبد إلى الله ﷻ بصدق لينجِّيه من هذه الفتن الحالكة المظلمة، وليرفع عنه هذه الغمامة الكثيفة.

٧ ـ **الصحبة الطيبة الصالحة**: فالصحبة قد تؤثر في الإنسان تأثيراً يتضاعف على تأثير البيت نفسه.

لذلك اصحب من تذكرك رؤيتهم بالله، فعن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً»**(٢).

٨ ـ **الفرار من الفتن**: فالواجب على المسلم الابتعاد عن الفتن، وعدم التصدر لها، فلقد حث النبي ﷺ على اعتزال مواطن الفتن، والفرار منها، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه؛ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»**(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة.. (٤/ ٢١٩٩)، ح(٢٨٦٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك (٣/ ٦٣)، ح(٢١٠١). ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء (٤/ ٢٠٢٦)، ح(٢٦٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن (١/ ١٣)، ح(١٩).

السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ»(١).

يقول الإمام النووي (ت٦٧٦هـ): «**وَهُوَ مِنَ الْإِشْرَافِ لِلشَّيْءِ وَهُوَ الِانْتِصَابُ وَالتَّطَلُّعُ إِلَيْهِ وَالتَّعَرُّضُ لَهُ وَمَعْنَى تَسْتَشْرِفْهُ تَقْلِبْهُ وَتَصْرَعْهُ وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْإِشْرَافِ بِمَعْنَى الْإِشْفَاءِ عَلَى الْهَلَاكِ وَمِنْهُ أَشْفَى الْمَرِيضُ عَلَى الْمَوْتِ**»(٢).

هذه بعض الخطوات يستطيع المسلم من خلالها تجنب طريق الفتن، فيحفظ بذلك دينه، ويصون بذلك نفسه، خاصة ونحن اليوم نمرُّ بفتنٍ عظيمة، تحتاج منَّا أن نصبر وأن نَثْبُت، وأن نحسن التعامل معها، حتى نستطيع الخروج منها منتصرين فائزين، راضين ومرضيين(٣).

أسأل الله العظيم أن يجزي عنَّا نبينا ﷺ أفضل الجزاء، فإننا نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده. وجاء من بعده أشرف الناس بعد الأنبياء، قومٌ عَطَّروا التاريخ بسيرهم وأخبارهم، وطَرَّزوا بأعمالهم نماذج مُشَرِّفة في حمل الرسالة، والتضحية من أجلها، ونشر الخير في كل بقاع الأرض.

فقد حفظ الله بهم القرآن، فهم رواته وحملته ومفسروه، وهم ناشرو سُنَّة النبي ﷺ، تركوا من أجلها أموالهم وأولادهم وبلادهم، هاجروا في سبيل الله، لا يبتغون في ذلك إلا مرضاة الله تعالى، فاللَّهُمَّ اجزهم عنا الخير الجزاء.

كما أسأله سبحانه أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يثبِّتنا

---

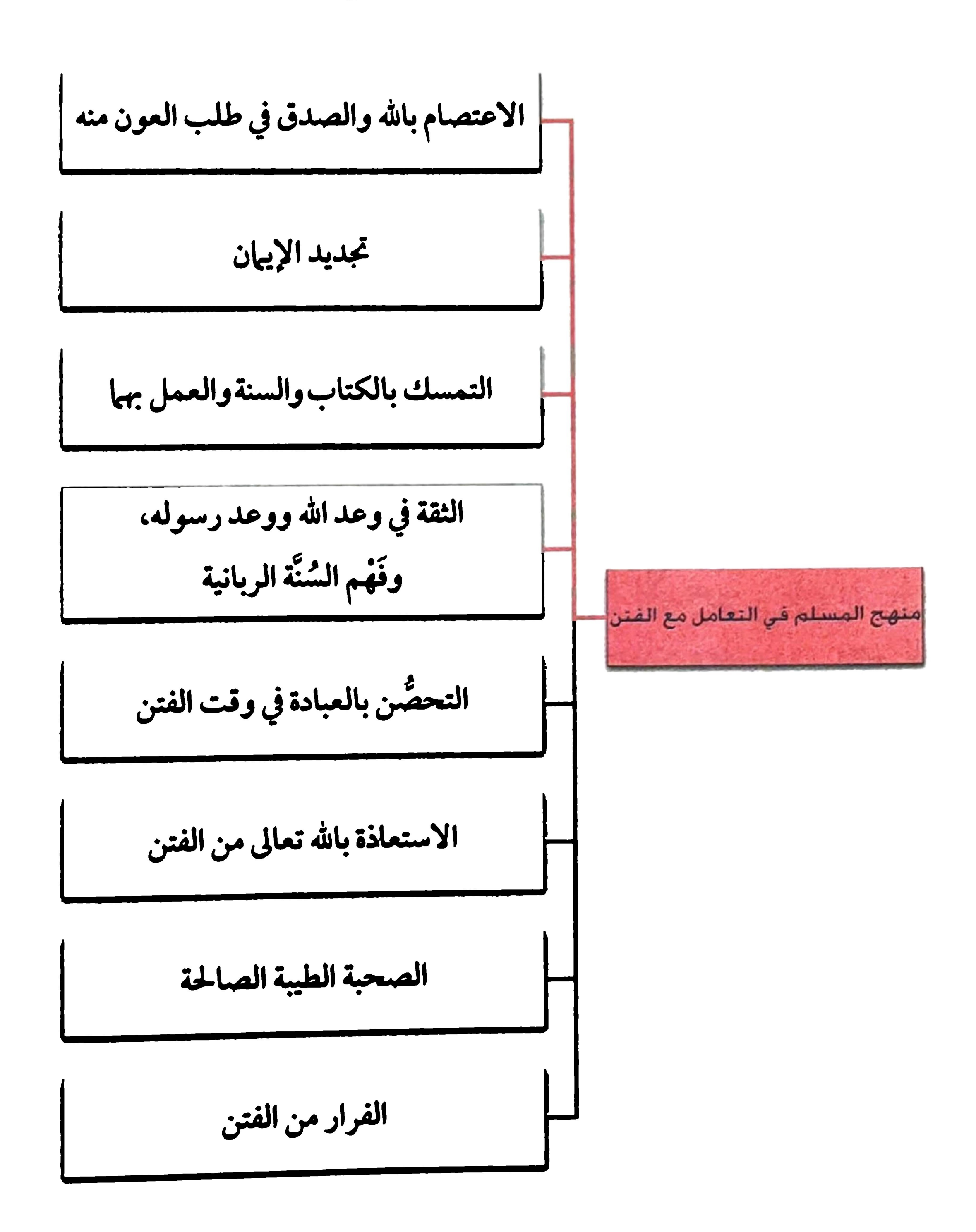
(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/١٩٨)، ح(٣٦٠١). ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤/٢٢١١)، ح(٢٨٨٦).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (١٨/٩).

(٣) انظر: الفتنة بين الصحابة، محمد حسان (٣٤٩ ـ ٣٦١) بتصرف.

على الحقِّ حتى نلقاه، وألا يجعل حظَّنا من ديننا قولنا، وأن يحسن نيَّاتنا وأعمالنا، وأن يرزقنا السداد والرشاد، وأن يجمعنا مع نبينا الأمين ﷺ وأصحابه وآل بيته الطيبين الطاهرين في جنَّات النعيم.

والحمد لله رب العالمين



ملحق التشجيرات

في هذا الملحق بعض الرسوم والتشجيرات التي توضح العلاقة الوطيدة بين أهل البيت الأطهار والصحابة الكرام، ومستوى المصاهرة بينهم، كذلك الفتوحات التي كانت في أيام الخلافة الراشدة.

الآل و الأصحاب أصهار و أحباب

أولاد رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم

- القاسم
- زينب — زوجها أبو العاص بن الربيع الأموي
  - أمامة تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة
  - علي
- عبد الله
- رقية — تزوجها عثمان بن عفان
- أم كلثوم — تزوجها عثمان بن عفان بعد وفاة رقية
- فاطمة — تزوجها علي بن أبي طالب
  - الحسن
  - الحسين
  - أم كلثوم — زوجها : عمر بن الخطاب
  - زينب
  - محسن
- ابراهيم — أمه : مارية القبطية

من أولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

- أم كلثوم
- أسماء — زوجها : الزبير بن العوام
  - مصعب تزوج من سكينة بنت الحسين بن علي
  - عبد الله تزوج من أم الحسن بنت علي بن أبي طالب ثم تزوج بعد وفاتها من أم الحسن بنت الحسن بن علي
  - هند زوجها : عباس بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
- عائشة — زوجها : النبي صلى الله عليه وسلم
- عبد الرحمن
  - محمد
  - حفصة زوجها : الحسن بن علي بن أبي طالب
  - أسماء
- محمد
  - القاسم
  - فاطمة "أم فروة" تزوجها محمد الباقر وانجبت جعفر الصادق

من أولاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

- حفصة — زوجها : النبي
- عاصم — تزوج من ابنة رملة بنت علي بن أبي طالب
- رقية
- زيد
  - أمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب

من أولاد عثمان بن عفان رضي الله عنه

- عمرو
  - عبد الله المطرف تزوج من فاطمة بنت الحسين بعد الحسن المثنى وولدت له
    - محمد الديباج
- ابان — تزوج من أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر الطيار
- عمر
  - زيد زوجته : سكينة بنت الحسين

من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

- العباس
- عمر الأكبر
  - استشهدا مع أخيهما الحسين
- فاطمة — زوجها : المنذر بن عبيد بن الزبير بن العوام، وولدت له عثمان
- أبو بكر
- عمر الأصغر
- عثمان الأكبر
- رملة — زوجها : معاوية بن مروان بن الحكم، بعد أبي الهياج أنجبت له بنتاً تزوجها عاصم بن عمر بن الخطاب
- أم كلثوم — زوجها : عمر بن الخطاب
- أم الحسن — زوجها : عبد الله بن الزبير بن العوام
- محمد بن الحنفية
  - عبد الله
  - عمر

من أولاد الحسن بن علي رضي الله عنه

- الحسن المثنى
  - أم القاسم تزوجها مروان بن أبان بن عثمان بن عفان
  - محمد أمه رملة ابنة الصحابي سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة
  - زينب تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي
- أبو بكر
- عمر
  - استشهدا مع عمهما الحسين
- أم الحسن — زوجها : عبد الله بن الزبير بن العوام

من أولاد الحسين بن علي رضي الله عنه

- علي زين العابدين
  - عائشة
  - محمد الباقر
  - عمر الأشرف
- أبو بكر
- عمر
- فاطمة — من أزواجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان
- سكينة — من أزواجها زيد بن عمر بن عثمان بن عفان ومصعب بن الزبير بن العوام

اللون الأخضر صحابي

اللون الأحمر من أهل البيت

اللون الأزرق تابعي

أهم المصادر:
طبقات ابن سعد . تاريخ اليعقوبي . التنبيه والاشراف للمسعودي . معجم رجال الحديث للخوئي . جلاء العيون للمجلسي . منتهى الآمال لعباس القمي . الكافي للكليني
جمهرة أنساب العرب لابن حزم . مقاتل الطالبين للأصفهاني . نسب قريش لمصعب الزبيري . عمدة الطالب لابن عنبة

مبرة الآل والأصحاب

مقولة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه

((ولدني أبو بكر الصدّيق مرتين))*

الولادة الأولى: عن طريق والدة الإمام جعفر الصادق أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.•

الولادة الثانية: عن طريق جدة الإمام جعفر الصادق أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق.•

علي بن أبي طالب

أبو بكر الصدّيق

الحسين الشهيد

محمد

عبد الرحمن

علي زين العابدين

القاسم
جد الإمام جعفر

أسماء
جدة الإمام جعفر

الولادة الثانية

محمد الباقر

الولادة الأولى

أم فروة
والدة الإمام جعفر

تم زواج الإمام الباقر من أم فروة قبل عام ٨٠ هـ ، وهي سنة ولادة الإمام جعفر الصادق

الإمام جعفر الصادق

قال تعالى: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ الفتح:٢٩ وقال تعالى: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ الشورى:٢٣

بهذه الشجرة شهدت ونطقت مصادر المسلمين ، أن الآل والأصحاب شئٌ واحد يسمون أبناءهم بأسماء بعض، والمصاهرة قائمة بين الطرفين قبل وبعد أحداث الفتنة ، مما يؤكد استمرار العلاقة الحميمة بين الآل والأصحاب والتابعين ومن بعدهم ، فلنحذر من المدسوس في التاريخ.

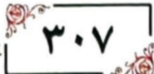
* عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب لابن عنبة ت: ٨٢٨هـ، ط: جُل المعرفة ص٢٤٥ – كشف الغمة في معرفة الأئمة، الأربلي ت٦٩٣هـ ، ط دار الأضواء ٣٤٧/٢ – الأصيلي في أنساب الطالبيين، ابن الطقطقي ت ٧٠٩هـ، مكتبة المرعشي ص١٤٩ – تهذيب الكمال، المزي ت ٧٤٢، ٧٥/٥ رقم ٩٥٠ – تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ - الكاشف، الذهبي ت ٧٤٨هـ، ٢٩٥/١ رقم ٧٩٨.

• تم توثيق الولادتين في كثير من المراجع ، ومنها كتاب كشف الغمة للأربلي ج٢ ص٣٤٧ طبعة دار الأضواء - بيروت - لبنان.

أحداث مهمة في التاريخ الإسلامي: ١) وفاة الرسول ﷺ سنة ١١ هـ ٢) السقيفة سنة ١١هـ ٣) موقعة الجمل: جمادي الآخرة سنة ٣٦هـ ٤) موقعة صفين: صفر سنة ٣٧هـ ٥) استشهاد علي ﷺ: رمضان سنة ٤٠هـ ٦) وفاة الحسن بن علي ﷺ: سنة ٤٩ هـ ٧) استشهاد الحسين بن علي ﷺ: كربلاء محرم سنة ٦١هـ

آل البيت والصحابة .. محبة وقرابة

هاتف: ٢٥٦٠٢٠٣ ، ٢٥٥٢٣٤٠ ، ٢٥٥٢٣٤١ فاكس: ٢٥٦٠٣٤٦ ، ص.ب: ١٢٤٢١ الشامية 71655 الكويت
www.almabarrah.net E-mail: almabarrh@gmail.com



مبرة الآل والأصحاب

الآل والصحابة ..
..محبة وقرابة

قـال
زيد بن عمر بن الخطاب رحمه الله :

أنا ابن الخليفتين

الخليفة الراشد
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الخليفة الراشد
علي بن أبي طالب رضي الله عنه

سيدة نساء العالمين
فاطمة الزهراء رضي الله عنها

تزوجها ٢ هـ

أم كلثوم رضي الله عنها

تزوجها قبل ٢٠ هـ

زيد

توفي هو وأمه (أم كلثوم) رضي الله عنهما
في ساعة واحدة
سنة ٤٥ هـ تقريباً

قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩).
بهذه المصاهرة شهدت ونطقت مصادر المسلمين إثباتاً للعلاقة الحميمة بين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فلنحذر من المدسوس في التاريخ.

أبرز المراجع التي ذكرت هذه المصاهرة

- الأصيلي لابن الطقطقي ص ٥٨
- بحار الأنوار للمجلسي ٢٨٢/٧٨
- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير
- تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة ٤٥
- تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة زيد بن عمر بن الخطاب
- الذريعة لآغا بزرك الطهراني ١٨٤/٥
- أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٤٨٦/٣
- رياض المسائل للطباطبائي ٦٦٤/١٢
- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ٥٠٢/٣
- الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٦٣/٨
- كشف اللثام للفاضل الهندي ٥٢٥/٩
- كفاية الأحكام للسبزاوري ٨٣٩/٢
- الوافي في الوفيات للصفدي ٢٣/١٥
- وسائل الشيعة للحر العاملي ٢٦٤/٢٦
- مختلف الشيعة للحلي ٢٠٨/٢

هاتف: ٢٥٦٠٢٠٣ ، ٢٥٥٢٣٤٠ ، ٢٥٥٢٣٤١ فاكس: ٢٥٦٠٣٤٦ ، ص.ب: ١٢٤٢١ الشامية 71655 الكويت
www.almabarrah.net E-mail: almabarrh@gmail.com



مبرة الآل والأصحاب

الآل والصحابة .. محبة وقرابة..

المصاهرات بين آل علي بن أبي طالب وآل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما

قريش

الهاشمي
عبد المطلب
أبو طالب
علي رضي الله عنه
الحسن رضي الله عنه ١ — الحسن — عبد الله ٣
الحسين رضي الله عنه ٢ — علي — عبدة ٤
محمد — عون ٥

التيمي
عبيد الله
طلحة رضي الله عنه
أم إسحاق ١ ٢
محمد رضي الله عنه — إبراهيم — نوح ٤
عمران — حفصة ٣ ٥

ملحوظة مهمة : هذه الشجرة تشمل بعض المصاهرات والأنساب لا كلها

قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩)
بهذه الشجرة شهدت ونطقت مصادر المسلمين مما يؤكد استمرار العلاقة الحميمة بين الآل والأصحاب وذريتهم عبر الأجيال، فلنحذر من المدسوس في التاريخ.

صحابي — التطابق في الرقم وشكل الرمز واللون يدل على المصاهرة بين هاتين الشخصيتين الكريمتين من آل النبي ﷺ وآل طلحة

أهم المراجع والمصادر :

- المعارف لابن قتيبة ٢٣٢
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٥٢
- نسب قريش للزبيري ٢٥
- الإرشاد للمفيد ٢/١٣٠
- أنساب الأشراف للبلاذري ١/٤٧٤
- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ١٢٢
- تاج المواليد للطبرسي ٣٥
- المحبر لابن حبيب ٤٣٨، ٤٤٨، ٤٥٠

ضاحية عبد الله السالم - قطعة ١ - شارع أحمد الهندي - منزل ٢١ - هاتف : ٢٥٦٠٢٠٣ / ٢٥٥٢٢٤٠ - فاكس : ٢٥٦٠٣٤٦
ص.ب ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي 71655 الكويت - www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

منبر الآل والأصحاب

الآل والصحابة .. محبة وقرابة ..

المصاهرات بين آل علي بن أبي طالب وآل الزبير بن العوام رضي الله عنهما

١٤ مصاهرة بين آل علي وآل الزبير ﵄ خلال ١٠٠ عام

قصي بن كلاب

خويلد بن أسد بن عبد العزى ← الزبير بن العوام ﵁

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ← علي بن أبي طالب ﵁

الرقم	من آل الزبير بن العوام ﵁	علاقة زواج	من آل علي بن أبي طالب ﵁
١	عبيدة ← المنذر	○	فاطمة
٢	مصعب ← جعفر	○	مليكة ← الحسن ← الحسن ﵁
٣	المنذر ← عمرو	○	رقية ← الحسن ﵁
٤	المنذر ← محمد ← فليح ← فاختة	○	محمد ← عبدالله ← الحسن ← الحسن ﵁
٥	المنذر ← حمزة ← أمينة	○	الحسين ← الحسن ﵁
٦	عبد الله ﵁	○	نفيسة (أم الحسن) ← الحسن ﵁
٧	مصعب	○	سكينة ← الحسين ﵁
٨	مصعب ← حمزة ← خالدة	○	الحسين ← علي ← الحسين ﵁
٩	عروة ← هشام ← الزبير ← عبيدة	○	موسى ← عمر ← علي ← الحسين ﵁
١٠	عروة ← عثمان ← فاطمة	○	جعفر ← عمر ← علي ← الحسين ﵁
١١	المنذر ← محمد ← عبيدالله ← بريكة	○	إبراهيم ← حسين ← علي ← الحسين ﵁
١٢	مصعب ← مصعب ← أمينة	○	محمد ← عبدالله ← الحسن ← الحسن ﵁
١٣	مصعب ← محمد ← صفية	○	محمد ← عون ← علي ← محمد
١٤	عمرو ← الزبير ← عمرو ← أم عمرو	○	عبدالله ← الحسين ← علي ← الحسين ﵁

﵁ صحابي   ← علاقة أبوة وبنوة   ○ علاقة زواج

ملحوظة مهمة، هذه الشجرة تشمل بعض المصاهرات والأنساب لا كلها

أهم المراجع والمصادر:

قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩)
بهذه الشجرة شهدت ونطقت مصادر المسلمين مما يؤكد استمرار العلاقة الحميمة بين الآل والأصحاب وذريتهم عبر الأجيال، فلنحذر من المدسوس في التاريخ.


مبرة الآل والأصحاب
أصهار الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما
من أبناء الصحابة رضي الله عنهم
الآل والصحابة ..
..محبة وقرابة
الحسين رضي الله عنه
جميع هذه المصاهرات تمت بعد كربلاء (٦١ هجرية) إلا زواج
الحسن (المثنى) من فاطمة و عبد الله بن الحسن من سكينة
سكينة
توفيت
١١٧ هـ
فاطمة
(الصغرى)
توفيت
١١٧ هـ
عثمان بن عفان رضي الله عنه
عمرو
زيد
علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الحسن رضي الله عنه
عبد الله أبو بكر
ويقال اسمه القاسم
استشهد في كربلاء سنة ٦١ هـ
الزبير بن العوام رضي الله عنه
مصعب
قتل سنة ٧١ هـ
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
ابراهيم
طلقها بعد ثلاثة أشهر
حكيم بن حزام رضي الله عنه
عبد الله رضي الله عنه
عثمان
عبد الله
الأصبغ
توفي بعد الزواج بقليل
مروان بن الحكم
عبد العزيز
* اخو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
عبد الله (المطرف)
عمرو
عثمان بن عفان رضي الله عنه
الحسن (المثنى)
توفي سنة ٩٧ هـ
الحسن رضي الله عنه
علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يرجع كثرة عدد أزواج سكينة لأسباب عديدة منها أن بعضهم استشهد أو قتل وبعضهم
لم يعش طويلاً بعد الزواج إضافة إلى حالة طلاق واحدة .
أهم المراجع والمصادر :
- تاريخ دمشق لابن عساكر
- الطبقات الكبرى لابن سعد
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم
- نسب قريش للزبير بن بكار
- أعيان الشيعة لمحسن الأمين العاملي
- أنساب الأشراف للبلاذري
- تذكرة الفقهاء للحلي
- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني
- منتهى الآمال لعباس القمي
- المحبر لابن حبيب
- الأصيلي لابن الطقطقي
- كشف الغمة للأربلي
صحابي
صحابي من أهل البيت
يدل على علاقة البنوة والأبوة
يدل على اسم الزوج
يدل على علاقة زواج
هاتف : ٢٥٦٠٢٠٣ / ٢٥٥٢٣٤٠ / ٢٥٥٢٣٤١ - فاكس : ٢٥٦٠٣٤٦ - ص.ب : ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي 71655 الكويت
www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com



مبرة الآل والأصحاب

أبو بكر الصديق رضي الله عنه جد أئمة آل البيت رضي الله عنهم

أبو بكر الصديق

محمد

القاسم
جد الإمام جعفر

عبد الرحمن

أسماء
جدة الإمام جعفر

أم فروة
والدة الإمام جعفر

علي بن أبي طالب

الحسين الشهيد

علي زين العابدين

محمد الباقر

جعفر الصادق

موسى الكاظم

علي الرضا

محمد الجواد

علي الهادي

الحسن العسكري

قائمة المراجع

- تهذيب الكمال للمزي
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني
- الكاشف للذهبي
- كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي
- عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب لابن عنبة
- الأصيلي في أنساب الطالبيين لابن الطقطقي

* تم توثيق هذه العلاقة في كثير من المراجع



مبرة الآل والأصحاب

الآل والصحابة ..
..محبة وقرابة

المصاهرات بين آل النبي ﷺ وآل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قريش

الهاشمي — عبد المطلب — عبد الله — محمد ﷺ (١)

عبد المطلب — أبو طالب — علي رضي الله عنه — الحسين رضي الله عنه — علي — علي — الحسن الأفطس (٣)

علي رضي الله عنه — أم كلثوم رضي الله عنها (٢)

العدوي — الخطاب — عمر رضي الله عنه (٢)

عمر — أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها (١)

عمر — عبد الله رضي الله عنه — أبو بكر — خالد — جويرية (٣)

ملحوظة مهمة: هذه الشجرة تشمل بعض المصاهرات والأنساب لا كلها

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)
بهذه الشجرة شهدت ونطقت مصادر المسلمين مما يؤكد استمرار العلاقة الحميمة بين الآل والأصحاب وذريتهم عبر الأجيال، فلنحذر من المدسوس في التاريخ.

رضي الله عنه صحابي - رضي الله عنها صحابية - التطابق في الرقم وشكل الرمز واللون يدل على المصاهرة بين هاتين الشخصيتين الكريمتين من آل النبي ﷺ وآل عمر

أهم المراجع والمصادر:

- المعارف لابن قتيبة ٢٣٢
- الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٣٣٢
- وسائل الشيعة للحر العاملي ٢٠/٢٤٠
- نسب قريش للزبيري ٢٥
- عمدة الطالب ٣٤٤
- أنساب الأشراف للبلاذري ١/٤٧٤
- مختلف الشيعة للحلي ٢/٣٠٨
- المبسوط للطوسي ٤/٢٧٠
- الأصيلي لابن الطقطقي ٥٨
- بحار الأنوار للمجلسي ٤٤/١٦٨، ٤٥/٣٢٩

ضاحية عبد الله السالم - قطعة ١ - شارع أحمد الهندي - منزل ٢١ - هاتف: ٢٥٦٠٢٠٣ / ٢٥٥٢٣٤٠ - فاكس: ٢٥٦٠٣٤٦
ص.ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي 71655 الكويت - www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

مبرة الآل والأصحاب

الآل والصحابة .. محبة وقرابة ..

PREV

حفصة بنت محمد (الديباج) حفيدة الخلفاء الراشدين الأربعة وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين

الزبير بن العوام ﷺ الأسدي — أبو بكر الصديق ﷺ التيمي — عمر بن الخطاب ﷺ العدوي — عثمان بن عفان ﷺ الأموي — طلحة بن عبيد الله ﷺ التيمي — علي بن أبي طالب ﷺ الهاشمي

أسماء بنت أبي بكر ﷺ التيمية

عروة الأسدي

عثمان الأسدي

خديجة الأسدية

عبد الله ﷺ العدوي

حفصة العدوية

عمرو الأموي

عبد الله (المطرف) الأموي

أم إسحاق بنت طلحة التيمية

الحسين الشهيد ﷺ الهاشمي

فاطمة بنت الحسين الهاشمية

محمد (الديباج) الأموي

حفصة الأموية

يعبر هذا الرسم التوضيحي عن التشابك الإجتماعي والتداخل في النسب والمصاهرة بين الآل والأصحاب حيث تظهر حفصة بنت محمد (الديباج) حفيدة لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين مما يؤكد ويعطي دلالة واضحة على عمق العلاقة الإجتماعية والتواصل بين آل البيت والصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

المراجع

- المحبر لابن حبيب ١/٤٠٤
- المدهش لابن الجوزي ٦٩
- الجوهرة في نسب النبي والعشرة للبري ١/٢٧٢
- المعارف لابن قتيبة ٢٠٠
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥/٢٦٦

أجداد حفصة من العشرة المبشرين بالجنة — علاقة زواج — علاقة بنوة وأبوة

ضاحية عبد الله السالم - قطعة ١ - شارع أحمد الهندي - منزل ٢١ - هاتف ٢٥٦٠٢٠٣ / ٢٥٥٢٣٤٠ - فاكس ٢٥٦٠٣٤٦ - ص.ب ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي 71655 الكويت www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

الآل والصحابة محبة وقرابة

مبرة الآل والأصحاب

محمد الباقر

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

(ولد سنة ٥٦ هـ - وتوفي سنة ١١٤ هـ)

شيوخه من الصحابة

- جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما .
- عبد الله بن عباس الهاشمي رضي الله عنهما .
- عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .
- أم سلمة (هند المخزومية) رضي الله عنها (أم المؤمنين)
- أبو سعيد الخدري الأنصاري رضي الله عنه .
- أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه .

من زوجاته

أم فروة

بنت القاسم

ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أمه

أم عبد الله

بنت الحسن

ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

له أكثر من ٢٤٠ رواية في الكتب التسعة

من أقوال الباقر رضي الله عنه .

- سئل أبو جعفر الباقر عن حلية السيوف فقال لا بأس به ، قد حلّى أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه سيفه ، فقيل له : فتقول الصدّيق ؟ فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال : نعم الصدّيق ، نعم الصدّيق ، نعم الصدّيق ، فمن لم يقل له الصدّيق فلا صدق الله له قولا في الدنيا ولا في الآخرة .

قالوا في الباقر رضي الله عنه .

- الإمام الثبت ، كان سيد بني هاشم في زمانه ، اشتهر بالباقر من قولهم بقر العلم، يعني شقه فعرف أصله وخفيه .

المصادر :
- الأصيلي لابن الطقطقي ١٤٩
- تهذيب الكمال للحافظ المزي ٢٦ /١٣٧ .
- تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ١٢٤/١ .
- عمدة الطالب لابن عنبة ٢٤٥ .
- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ٤٠٢/٤ .
- كشف الغمة للأربلي ٣٦٠/٢ .

مبرة الآل والأصحاب - ضاحية عبد الله السالم - قطعة ١ - شارع أحمد الهندي - منزل ٢١ - هاتف: ٢٥٦٠٢٠٣
فاكس: ٢٥٦٠٣٤٦ الخط الساخن: ٩١٨٤٣٣٣ - ص.ب: ١٢٤٢١ الشامية - الرمز البريدي 71655 الكويت
www.almabarrah.net Email: almabarrh@gmail.com

مبرة الآل والأصحاب

الحسين بن علي رضي الله عنهما

(ولد سنة ٤ هـ واستشهد سنة ٦١ هـ)

الآل والصحابة
محبة وقرابة

قال رسول الله ﷺ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) .
رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه .

أولاده

علي (زين العابدين) ومحمد وجعفر وعلي الأكبر وسكينة وفاطمة (و عمر وعبد الله الرضيع وعلي الأصغر مختلف فيهم) (١) .

إخوانه وأخواته

لعلي بن أبي طالب أبناء كثر من أشهرهم :
- الحسن : وهو أخوه الشقيق رضي الله عنه .
- محمد (ابن الحنفية) .
- أبو بكر والعباس وعثمان وجعفر وعبد الله . استشهدوا مع الحسين رضي الله عنه .
- عمر (آخر أبناء علي رضي الله عنه وفاة) .

أما أخواته : فكثيرات ومن أشهرهن : زينب وأم كلثوم وخديجة وميمونة ورملة وجمانة (٢) .

أصهاره

فاطمة رضي الله عنها	سكينة رضي الله عنها
أزواجها	أزواجها
١ الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه	١ عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٢ عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان رضي الله عنه	٢ مصعب بن الزبير ابن العوام رضي الله عنه
	٣ الأصبغ بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم
	٤ زيد بن عمرو ابن عثمان بن عفان رضي الله عنه
	٥ عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام رضي الله عنه
	٦ إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥/٣٦٨ وسير أعلام النبلاء ١١٠/٢٦٥ وأنساب الأشراف للبلاذري (في ذكر أبناء الحسين) وأعيان الشيعة لمحسن الأمين ١٩٩/٢ والتاريخ الأوسط للإمام البخاري ٣٦٨/١ وتاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ١٧٠/٩ والمحبر لابن حبيب ص٤٣٨ ومرآة الجنان لليافعي ١١٢/١ ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص١٢٠. (على خلاف بين المؤرخين في ترتيب أزواج سكينة علماً بأن ثلاثة منهم قتلوا بعد فترة وجيزة من الزواج).

جهاده

قاتلوه

قبل المعركة :
أهل الكوفة الذين خرجوا وأبناؤهم لقتاله (٦) .
أثناء المعركة :
عبيد الله بن زياد (الذي أمر بقتاله)، وعمر بن سعد (قائد الجيش) والجيش الذي قاتله وبخاصة اللذين باشرا قتله :
- سنان بن أنس النخعي .
- شمر بن ذي الجوشن (٧) .

خاذلوه

١- الذين استدرجوه بالرسائل والكتابات من أهل الكوفة (٨) .
٢- يزيد بن معاوية ، الذي لم ينتصر له ممن قتله، ولم يعاقبهم واكتفى بسبّه لعبيدالله بن زياد وبالتعويض المادي لآل الحسين رضي الله عنه (٩) .

ناصروه

قبل المعركة :
- الصحابة وأهل البيت الذين نصحوه بعدم الخروج كابن عباس ، وابن عمر، وابن الزبير، ومحمد بن علي "ابن الحنفية" وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن مطيع وعبد الله بن عياش ويزيد بن الأصم وأبي واقد الليثي رضي الله عنهم (١٠) .
أثناء المعركة :
إخوانه : أبو بكر والعباس وعثمان وجعفر وعبد الله وأبناؤه وأبناء إخوانه رضي الله عنهم وثلة من أنصاره مثل الحر بن يزيد التميمي (١١) .
بعد المعركة :
العلماء الذين فسّقوا وأسقطوا عدالة من قتله ومنهم :
- أبو بكر بن الخلال الذي قال : لعن الله من قتل الحسين ابن علي، ولعن الله من قتل عمر، ولعن الله من قتل عثمان، ولعن الله من قتل علياً (١٢) .
وتقي الدين ابن تيمية الذي قال: "وأما من قتل الحسين أو أعان على قتله أو رضي بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" (١٣) .
- القرطبي الذي قال في الحسين رضي الله عنه وقاتله : "رحمه الله ولا رحم قاتله" وقال : "رضي الله عنه ولا رضي عن قاتله" (١٤) .

(١) سير أعلام النبلاء ٣١٤/٥ ونسب قريش لابن بكار ٥٧/٥ .
(٢) الإرشاد للمفيد ص ٢٤٨ وتاريخ الطبري ٣٥٩/٤ ونسب قريش ٤٠/٢ .
(٣) تاريخ الطبري ٢٧٠/٥ والكامل في التاريخ لابن الأثير (أحداث سنة ٣٠ هـ) وتاريخ ابن خلدون ١٣٥/٢ .
(٤) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١٥١/٨ وتاريخ الطبري ١٤٨/٩ وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ٨/٣ .
(٥) تاريخ ابن خلدون ١٢٨/٢ .
(٦) منتهى الآمال للقمي ص٦١٨ ونفس المهموم لعباس القمي ص٣٦٥ .
(٧) تاريخ الطبري ٣٤٦/٤ ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص٨٠ وأمالي الصدوق ص٢٢٦ .
(٨) بحار الأنوار للمجلسي ٣٣٣/٤٤ وتاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ٢١٦/١٤ وأعيان الشيعة ص٢٦ والملحمة الحسينية لمرتضى المطهري ١٢٩/١ .
(٩) منهاج السنة لابن تيمية ٥٥٧/٤ وتاريخ الطبري ٣٣٩/٣ وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ٢٨/٣ والإرشاد للمفيد ١٢٢/٢ وبحار الأنوار للمجلسي ١١٦/٤٥ .
(١٠) البداية والنهاية ١٦٤/٨ وتاريخ دمشق ٢٠٩/١٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ٨٠٢/٢ ومقاتل الطالبيين للأصفهاني ص٧٣ وبحار الأنوار للمجلسي ١٨٥/٤٤ .
(١١) تاريخ الطبري ٣١٣/٤ وأعيان الشيعة لمحسن الأمين ٣٠٢/٢ وشرح الأخبار للنعماني ١٧٧/٣ ومقاتل الطالبيين للأصفهاني ص٧٥
(١٢) السنة للإمام الخلال ٥٢٢/٣
(١٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٨٧/٤ ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥٥٠/٤ .
(١٤) التذكرة للقرطبي ٢١٥/٢ .

ضاحية عبد الله السالم - قطعة ١ - شارع أحمد الهندي - منزل ٢١ - هاتف ٢٢٥٦٠٢٠٣، ٢٢٥٥٢٣٤٠/٢٢٥٦٠٢٠٣ - فاكس ٢٢٥٦٠٣٤٦ ص.ب ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي 71655 الكويت - www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

مبرة الآل والأصحاب

الآل والصحابة محبة وقرابة

الحسن بن علي رضي الله عنهما

أمير المؤمنين وخامس الخلفاء الراشدين (٣ - ٤٩ هـ)

من فضائله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عن الحسن: (اللهم أحبه وأحب من يحبه) رواه البخاري (٢٠١٦) ومسلم (٢٤٢١).

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عن الحسن والحسين: (هما ريحانتاي من الدنيا) رواه البخاري (٣٥٤٣).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) مسند أحمد (١١٠١٢)، سنن النسائي الكبرى (٨٥٢٥) الترمذي (٣٧٦٨).

خامس الخلفاء الراشدين

عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك)[1].

ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وآله وسلم إلا الخلفاء الأربعة وخمسة أشهر التي هي مدة خلافة الحسن رضي الله عنهم أجمعين[2]، والتي في نهايتها تنازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه فتحققت بذلك نبوءة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المذكور آنفاً.

من أزواجه

- أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه — أنجبت منه
- مليكة بنت الأحنف بن قيس — أنجبت منه
- أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري البدري رضي الله عنه — أنجبت منه
- خولة بنت منظور الفزاري[6] — أنجبت منه
- حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم[7]
- للحسن رضي الله عنه قرابة ١٦ ولداً منهم ١١ ذكراً والبقية إناث[8].

من أبنائه

- طلحة[3]
- أبو بكر بن الحسن رضي الله عنه — استشهد في كربلاء
- أم الحسن بنت الحسن رضي الله عنها[4]
- زيد رضي الله عنه[5]
- الحسن المثنى[6]

جهاده

علاقته بأبي بكر الصديق

أدرك الحسن خلافة أبي بكر وعمره ٩ سنوات تقريباً ومن معالم ود أبي بكر الصديق للحسن رضي الله عنهما ما جاء في صحيح البخاري عن عقبة بن الحارث قال: "صلى أبو بكر العصر ثم خرج يمشي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي، وعلي يضحك"[11].

علاقته بعمر الفاروق

أدرك الحسن رضي الله عنه خلافة عمر رضي الله عنه وعمره ١١ سنة إلى أن بلغ ٢١ سنة.

ومن معالم مودته للحسن وأخيه الحسين رضي الله عنهما:

١- فرض للحسن والحسين مثل فريضة أهل بدر من كبار الصحابة، بل إن أول من أعطى من غنائم فارس الحسن ثم الحسين قبل كل الصحابة"[12].

٢- جاءت كسوة من اليمن ولم يكن في ذلك ما يصلح للحسن والحسين فبعث إلى اليمن فأتي بكسوة لهما فقال: الآن طابت نفسي"[13].

٣- ميز الحسن والحسين في العطاء على ابنه عبد الله بن عمر فقال عبد الله تقدمهما علي ولي صحبة وهجرة دونهما فقال عمر اسكت لا أم لك أبوهما خير من أبيك وأمهما خير من أمك"[14].

علاقته بعثمان ذي النورين

أدرك الحسن خلافة عثمان إلى أن تجاوز الثلاثين من عمره ومن معالم محبته واحترامه للخليفة الراشد عثمان بن عفان أن هبّ الحسن مدافعاً عن خليفة المسلمين لما حاصره المارقون وسل سيفين يضرب بهما معاً رغم أن عثمان عزم عليه أن يشم سيفه ويلحق بأبيه فأبى الحسن رضي الله عنه حتى أُخرج جريحاً"[15].

زهده في الخلافة وحقنه لدماء المسلمين

تصديقاً لحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[16].

قام هذا السيد الشريف بحقن دماء المسلمين وهو في موطن قوة وبيده عشرات الآلاف من الفرسان والسيوف المسلتة لكنه أبى إلا ما عند الله.

فبعد أن تولى الخلافة لخمسة أشهر تنازل باختياره عنها لمعاوية رضي الله عنه وبذلك سمي عام (٤٠) هـ عام الجماعة لاجتماع الناس بعد تفرقهم على حاكم واحد.

قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله"[17].

المراجع

(١) سنن أبي داود (٤٦٤٧) وسنن الترمذي ٣٤١/٣ (٢٢٢٦)، والمسند ٢٢٠/٥ (٢١٩١٩) وتراجع رسالة المبرة في كونه رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين.
(٢) وقد جاء التصريح بأنه خامس الخلفاء الراشدين في البداية والنهاية ١٥/٨، وشرح الطحاوية (٥٤٥)، وأحكام القرآن لابن العربي ١٧٢٠/٤ وشرح النووي على صحيح مسلم ٢٠١/١٢ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٥/٢٤ وفيض القدير ٤٠٩/٢ والصواعق المحرقة ٣٩٧/٢.
(٣) المجدي في أنساب الطالبيين تحقيق مهدي رجائي ص٢٠٢.
(٤) المجدي في أنساب الطالبيين ص٢٠١، ٢٠٢، لباب الأنساب للبيهقي ص٣٤٢.
(٥) عقود الذهب في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٨٥ تهذيب الأنساب للبيهقي ص٣٣.
(٦) يراجع كتاب الحسن المثنى وابنه عبد الله من إصدارات المبرة.
(٧) تاريخ دمشق ترجمة (المنذر بن الزبير) المحبر لابن حبيب ٤٤٨.
(٨) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٣٨ - أبناء الإمام في مصر والشام لابن طباطبا ص٧٧.
(٩) تاريخ الطبري ٢٧٠/٥ - الكامل في التاريخ لابن الأثير (أحداث سنة ٣٠ هـ) وتاريخ ابن خلدون ١٣٥/٢.
(١٠) تاريخ ابن خلدون ١٢٨/٢.
(١١) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣٣٤٩).
(١٢) الخراج لأبي يوسف ص٤٣، مصنف عبد الرزاق ١٠٠/١١، سير أعلام النبلاء ٢٥٩/٣.
(١٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٥/١٢.
(١٤) بحار الأنوار للمجلسي ٢٨/١٠ - مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢٦٩/٢.
(١٥) ابن أبي شيبة في المصنف ٢٢٤/١٥ - تاريخ دمشق (ترجمة عثمان رضي الله عنه) (٣٧٦٩٩) ٣٩٠/٣٩ - مسند إسحاق بن راهويه (٢٠٨٨) كتاب الشريعة للآجري (١٣٤) البداية والنهاية ٣٦/٨.
(١٦) رواه البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه في كتاب الصلح باب قول النبي للحسن: إن ابني هذا سيد، حديث رقم (٢٧٠٤).
(١٧) أنساب الأشراف البلاذري (٤٩/٣).

ضاحية عبد الله السالم - قطعة ١ - شارع أحمد الهندي - منزل ٢١ - هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣/٢٢٥٥٢٣٤٠ - فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦ ص.ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي 71655 الكويت - www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

فتوحات الدولة الإسلامية حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين

مبرة الآل والأصحاب

الآل والصحابة .. محبة وقرابة ..

أوروبا

روما

سردينيا

القسطنطينية

أرمينيا

عمورية

مرقلة

صقلية

قرطاجة

القيروان

سبيطلة

كريت

بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)

قبرص

معاوية بن أبي سفيان

عبد الله بن أبي السرح

طرابلس

برقة

الإسكندرية

الفسطاط

عمرو بن العاص

دمشق

القدس

بلاد الشام

أبو عبيدة بن الجراح

شرحبيل بن حسنة

يزيد بن أبي سفيان

عمرو بن العاص

الكوفة

البصرة

الجزيرة الفراتية

ن. دجلة

ن. الفرات

بحر الخزر (قزوين)

طميسة

جرجان

سعيد بن العاص

بلاد ما وراء النهر

طبرستان

قومس

خراسان

كابل

فارس

آسيا

ملتان

أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه جيشاً بقيادة الحارث بن مرة العبدي لغزو السند.

أرض السند

الهند

خليج البحرين (الخليج العربي)

المدينة النبوية

مكة المكرمة

غمان

جزيرة العرب

اليمن

صنعاء

بحر العرب

زيلع

بحر القلزم (البحر الأحمر)

عيذاب

النوبة

عبد الله بن أبي السرح

عقبة بن نافع الفهري

مصر

إفريقيا

أرض السودان

ن. النيل

توحيد الجزيرة العربية بعد الردة على يدي الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الفتوحات في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه

الفتوحات في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه

الفتوحات في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه

هذه الغزوة تمت في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قادة الفتوحات رضي الله عنهم

شارك في هذه الغزوة الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين

جاءت هذه الفتوحات متواترة في كتب التاريخ ومن أهم المصادر التي ذكرتها :

- تاريخ الطبري للإمام محمد بن جرير الطبري
- تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي
- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير
- الكامل في التاريخ لابن الأثير
- المنتظم لابن الجوزي
- مروج الذهب للمسعودي
- تاريخ اليعقوبي

www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

ملحق تعريفي ببعض الكتب التاريخية المعاصرة

الكتاب	نبذة عنه
التاريخ الإسلامي	للعلامة محمود شاكر. يتحدث فيه المؤلف عن التاريخ الإسلامي وسِمَتُهُ الخاصة، وقد خرج هذا الكتاب باثنين وعشرين جزءاً تناول من خلالها دراسة التاريخ الإسلامي وقد جاءت على النحو التالي: ١ ـ قبل البعثة، ٢ ـ السيرة، ٣ ـ الخلفاء الراشدون، ٤ ـ الحكومة الإسلامية، ٥ ـ العهد الأموي، ٦ ـ العهد العباسي، ٧ ـ عصر المماليك، ٨ ـ الدولة العثمانية، ٩ ـ العصر الحديث. وقد نهج المؤلف منهجاً علميّاً في دراسته تلك حيث لم يتقيد بالروايات التاريخية المتشعبة التي وردت في بطون أمهات الكتب، حيث أتت في بعض الأحيان متناقضة أو ذات أهداف غير معلنة، إنما عمد إلى تنقيح هذه الروايات فقام على تحقيقها وتدقيقها، وتطبيق منهج علماء الحديث على الرواة، حيث سرد كل ما طبق على الروايات من هذا المنهج بأسلوب علمي توخياً للدقة والأمانة التاريخية.
الذاكرة التاريخية	للمفكر الإسلامي جاسم سلطان. يتناول في الكتاب الحديث عن الذاكرة التاريخية للأمة، يبدأ كتابه في الحديث عن صورة من فلسفة التاريخ، لرسم إطار معرفي تندرج فيه المعلومة التاريخية، يُمَكِّن القارئ من فهم مسار التاريخ لأي حضارة، ثم يؤسس بعد ذلك لمفهوم الحضارة واضعاً إجابات عن ادعاءات الغرب بامتداد العلوية الحضارية له، موضحاً العوامل المؤثرة في قيام الحضارات. ثم يقوم بتقسيم التاريخ كما تتناوله الأدبيات الغربية، ثم يتبعه بالحديث عن المسار التاريخي الأوروبي وأهم محطاته، موضحاً النقاط المفصلية في التاريخ الأوروبي، ويتناول بعدها المسار الإسلامي وأهم محطاته وعوامل التحليل فيه، ثم يحاول ذكر النقاط التاريخية المشتركة بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية، وكيف أثرت سلباً وإيجاباً، ويختم كتابه بتحديد المرحلة الآنية والمستقبلية، موضحاً طبيعة الاستجابات العربية والإسلامية الحادة والمرجوة في العوالم الثلاثة (عالم الأفكار وعالم الأشياء وعالم العلاقات).

الكتاب	نبذة عنه
الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ (أداة فلسفة التاريخ)	للمفكر الإسلامي جاسم سلطان. يقدم هذا الكتاب نبذة عن مراحل التاريخ، وكيف تُسْتَخدَم لرفع أو كسر الروح المعنوية للأمم، ثم يطوف مع بعض نظرات المفكرين. وسيتوقف مع تصوّرات ابن خلدون حول دور العصبية في قيام الدول، ويدرس أثر التحدّيات في النهضات، وأثر الأفكار في حدوث التقدم، وأثر الصراع في الموارد في قيام الدول. كما يتناول بعض ما جاء في القرآن من قوانين تتعلق بالنهضة، بالإضافة إلى أهم أعمال المفكرين. كذلك فإن المؤلف في كتابه يذكر بعض نظريات وأفكار المفكرين، والاستفادة مما صَلُحَ منها.
تاريخنا المفترى عليه	للدكتور يوسف القرضاوي. في هذا الكتاب يتناول العلامة القرضاوي الإفتراءات والظلم الواقع على التاريخ الإسلامي سواء من المستشرقين والغرب، أو من أبناء الإسلام أنفسهم ممن يكثرون من جلد الذات، مع الإشارة لبعض النواحي التي تحتاج للتمحيص وإعادة دراسة، وعرض لبعض الصور والنماذج المشرفة من تاريخنا.
كيف نكتب التاريخ الإسلامي	للمفكر الإسلامي محمد قطب. يتناول المؤلف في هذا الكتاب المنهج الذي ينبغي أن تعاد على أساسه كتابة التاريخ الإسلامي، وذلك بطرحه سؤالاً «لماذا نعيد كتابة التاريخ» شارحاً ومفصلاً الأسباب في ذلك، ثم يعرض بعدها مظاهر الجاهلية العربية ثم بعثة الرسول وصدر الإسلام، متحدثاً فيها عن المد الإسلامي، وبدأ الانحسار بعد هذا المد العظيم، ثم يتبعها بالحديث عن الصحوة الإسلامية، ويختم الكتاب بالحديث عن خيوط المستقبل لهذا الدين.
هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس	للدكتور ماجد عرسان الكيلاني. يتناول الكاتب في هذا الكتاب حقبة مهمة في تاريخ الأمة الإسلامية، كانت نتيجتها توحيد الأمة وتحرير البلاد من الاحتلال الصليبي وعلى رأسها تحرير بيت المقدس، فيبدأ في كتابه بالحديث عن التكوين الفكري للمجتمع الإسلامي قبيل الحملات الصليبية والمذاهب الفكرية الموجودة والتحديات الموجودة لبعضها، وآثار اضطراب الحياة الفكرية في المجتمعات الإسلامية ونتائجها على المجتمع (سياسياً واقتصادياً واجتماعياً)، ومن ثم الحديث عن المرحلة الأولى في حركة الإصلاح والتجديد وما فيها من محاولات ومعوِّقات، تبعها انتشار حركة الإصلاح والتجديد والمدارس التي مثلتها، والآثار العامة لهذه الحركة على كافة الصُّعُد، ويختم كتابه بالحديث عن القوانين التاريخية وتطبيقات معاصرة لها.

الكتاب	نبذة عنه
أخطاء تاريخية آن تصويبها	للدكتور شوقي أبو خليل. يتناول هذا الكتاب عدداً من الأخطاء التاريخية التي يتداولها الناس دون توثيق آن تصويبها. ويتحدث عن منهج البحث العلمي وضرورة التزامه، ويبين أن تقسيم العصور التاريخية لا ينطبق على تاريخنا، ولا على تاريخ آسية وإفريقية، ويتعرض للسامية واللاسامية، وحقيقة الحضارة العربية الإسلامية يأخذها مما سبقها ونقدها وتصحيحها، ثم الإضافة إليها والإبداع فيها. كما ينبه إلى سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي والأخطاء التي وقع المؤرخون فيها عنه، ويدرس سيرة الرشيد المفترى عليه وهو في قمة الحضارة العربية الإسلامية، وإلى صلاح الدين الأيوبي ونائبه قرقوش وما افتري عليهما في التاريخ. ويبحث في الدولة العثمانية المفترى عليها وهي دولة إسلامية وأسباب ذلك. وينتقد أسطورة أفران الغاز الهولو كست بالوثائق، ومصير رسالة الدكتوراه فيها. ويعرض أسطورة هيكل سليمان في المسجد الأقصى بالحجج والأدلة والبراهين.
التفسير الإسلامي للتاريخ	للدكتور عماد الدين خليل. كتاب مهم في كيفية قراءة الإسلام للتاريخ، فالمؤلف يتناول في هذا الكتاب **التفاسير الوضعية الأساسية**: فيقدّم فيه عرضاً ونقداً لأبرز التفاسير الفلسفية الوضعية للتاريخ، وهي التفسير المثالي لهيغل، والتفسير المادي لماركس وانكلز، والتفسير الحضاري لتوينبي. ومن ثم يتحدث عن **الواقعة التاريخية**: ويتناول فيها طريقة عرض القرآن الكريم للواقعة التاريخية من خلال قصص الأنبياء والمرسلين والأمم الغابرة. ثم يتناول بعدها **المسألة الحضارية**: ويبرز فيها أهمية المسألة الحضارية في التفسير التاريخي، ويبيّن أنها تشكل القاسم المشترك بين المذاهب جميعاً، ويؤكّد نصاعة تناولها من خلال آيات القرآن الكريم. ويختم كتابه بالحديث عن **سقوط الدول والحضارات**: ويتناول فيها مسألة تدهور الدول والحضارات وسقوطها، ويذكر أنَّ معظم مذاهب التفسير الوضعية للتاريخ تكاد تجمع على القول بحتمية سقوط الدول والحضارات، ثم يعرض لتناول القرآن الكريم لهذه المسألة، وأنَّها مرتبطة بآجال محدّدة ثابتة في علم الله، كجزء من نظام كوني متماسك.

الكتاب	نبذة عنه
الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي	إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، هذا الكتاب هو موسوعة ميسرة في التاريخ الإسلامي يوضح خريطة التاريخ الإسلامي الواسعة، ويتكون من جزءين: تتناول السيرة النبوية، والخلفاء الراشدون، والدولة الأموية، والدولة العباسية، والدولة الفاطمية، والدولة الأيوبية، ودولة المماليك، والمسلمون في الأندلس، والدولة العثمانية، والأقليات المسلمة. مراعين في ذلك جميع الأحداث التي جرت في كل دولة دون الدخول في تفصيلاتها.
دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية	للدكتور عبد الحليم عويس. يتحدث هذا الكتاب عن أسباب سقوط (٣٠) دولة إسلامية، وذلك من خلال تحليل أهم الأسباب التي أدت لانحدار هذه الدول وتفككها داخلياً ومن ثم سقوطها، ويرى الكاتب أن التاريخ الإسلامي يعد بمثابة ظاهرة تاريخية محيرة تستدعي الباحث المدقق التأمل والاندهاش، ففي الوقت الذي يشهد فيه التاريخ سقوط وانحدار دولة إسلامية كانت النهضة الحضارية الإسلامية تبعث ارتفاع نجم دولة إسلامية أخرى في مكان آخر، مستفيدة من أخطاء من كان قبلها، حتى يدبَّ الضعف في تلك الدولة بعد ثلاثة أجيال أو أكثر بفعل دوران عجلة التاريخ والبعد عن المنهج العقدي الذي يعد الركيزة الأساسية للصعود الحضاري للدول الإسلامية.
فقه التمكين عند دولة المرابطين	للدكتور علي محمد الصلابي. هذا الكتاب يتحدث عن صفحات من التاريخ الإسلامي في الشَّمال الإفريقي، وبالتحديد عن دولة المرابطين منذ نشأتها وحتى سقوطها، فيُعْطي نبذة تاريخية عن أصول القبائل التي قامت عليها دولة المرابطين، وكيف استطاع بعض القادة في هذه القبائل توحيد المغرب الأقصى، وتوغُّلِهم الدَّعوي في جنوب المغرب نحو غانا ومالي وغيرها من دول إفريقيا، كما ويتحدث عن دفاع المرابطين عن مسلمي الأندلس، وأسباب ضعف المسلمين هناك، وعن أثر تحكيم شرع الله في مجتمع المرابطين، وعن سياستهم الداخلية والخارجية، وموقف الرعية منهم. ويعطي أيضاً نبذة عن أنظمة الدولة في الحكم والإدارة، والقضاء والعسكر والمال، والحضارة التي شيَّدوها، ويتعرَّض لسنن الله في بناء الدول وإحياء الشعوب، وكيفية الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية التي حققت النصر على الأعداء، وعن أهمية سُنَّة التدرج في تغيير الشعوب وبناء الدول، كما ويعطي للتربية الربانية أهمية قصوى في تحقيق الأهداف العظمى للأمة سواء على مستوى القادة، أو على مستوى الشعوب وكيفية استجابتها لكتاب ربِّها وسُنَّة نبيِّها.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير**، الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر، أبو عبد الله الهمذاني الجورقاني، تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، مؤسسة دار الدعوة التعليمية الخيرية، الهند، ط٤، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢ ـ **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حقّقه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣ ـ **الأخبار الطوال**، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.

٤ ـ **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، الدكتور علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٥ ـ **أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب، شخصيته وعصره**، علي محمد الصَّلَّابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٦ ـ **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٧ ـ **برنامج تلفزيوني بعنوان «تاريخنا في الميزان»**، للدكتور طارق سويدان، قناة الرسالة.

٨ ـ **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر الخصيب المعروف بابن أبي أسامة. المنتقي: أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السُّنَّة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٩ ـ **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

١٠ ـ **تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

١١ ـ **تاريخ المدينة**، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩هـ.

١٢ ـ **تاريخ خليفة بن خياط**، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.

١٣ ـ **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٤ ـ **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٥ ـ **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**، أ. د. محمد أمحزون، دار السلام، جمهورية مصر العربية، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٦ ـ **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان**، أبو عبد الله محمد بن يحيى الأشعري المالقي الأندلسي، تحقيق: د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١٨ ـ **الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ. وهم أحداث الأسنان]**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٩ ـ **جمل من أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٠ ـ **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة**، إسماعيل بن محمد الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السُّنَّة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢١ ـ **حقبة من التاريخ**، عثمان بن محمد الخميس، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، إسكندرية، مصر.

٢٢ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٢٣ ـ **الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد**، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٤ ـ **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المعروف بـ (تاريخ ابن خلدون)**، عبد الرحمٰن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٥ ـ **روائع من التاريخ العثماني**، أورخان محمد علي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، المنصورة، مصر.

٢٦ ـ **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري، دار الكتب العلمية، ط٢.

٢٧ ـ **السُّنَّة**، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٨ ـ **السُّنَّة**، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٢٩ ـ **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٣٠ ـ **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٣١ ـ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (١/ ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (٤/ ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٣٢ ـ **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٣ ـ **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٤ ـ **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٥ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد الله ابن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٦ ـ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٧ ـ **صحيح ابن خزيمة**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٨ ـ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٩ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠ ـ **صحيح وضعيف تاريخ الطبري**، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، تحقيق: محمد بن طاهر البرزنجي، بإشراف: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٤١ ـ **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمٰن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٢ ـ **الطب النبوي**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٦م.

٤٣ ـ **الطبقات الكبرى**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٤٤ ـ **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ**، القاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٥ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٤٦ ـ **الفتنة بين الصحابة**، د.محمد حسان، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٧ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٨ ـ **فضائل الصحابة**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٩ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٥٠ ـ **الكامل في التاريخ**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥١ ـ كتاب العين، أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٥٢ ـ كتاب الفتن، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٣ ـ **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٥٤ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٥٥ ـ **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السُّنَّة والجماعة**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، تحقيق: فوقية حسين محمود، عالم الكتب، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٥٦ ـ **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية**، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٥٧ ـ **مائة من عظماء أمة الإسلام غيَّروا مجرى التاريخ**، جهاد التُرباني، دار التقوى، مصر، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

٥٨ ـ **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط١، ١٣٩٦هـ.

٥٩ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٠ ـ **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمٰن ابن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٦١ ـ **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٦٢ ـ **المحن**، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب، تحقيق: د. عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٦٣ ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٦٤ ـ **مسند أبي يعلى**، أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٦٥ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٦٦ ـ **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمٰن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٦٧ ـ **مسند الحميدي**، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار السقا، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٦م.

٦٨ ـ **مسند الدارمي المعروف (سنن الدارمي)**، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الفضل الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م.

٦٩ ـ **المصنف**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٧٠ ـ **معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره، الدولة السفيانية**، د. علي محمد الصلَّابي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٧١ ـ **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

٧٢ ـ **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٧٣ ـ **المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني المُجَلَّدان الثَّالِثَ عَشَرَ والرابع عشر**، سليمان بن أحمد بن أيوب ابن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: فريق من الباحثين، بإشراف وعناية: د. سعد بن عبد الله الحميد، ود. خالد بن عبد الرحمٰن الجريسي.

٧٤ ـ **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقاً المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

٧٥ ـ **معجم لغة الفقهاء**، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٦ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٧٧ ـ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٧٨ ـ **مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية**، د. محمد بن عبد الهادي بن رزَّان الشيباني، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٧٩ ـ **الموضوعات**، جمال الدين عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمٰن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١ (١/ ٢)، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، (ج٣)، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٨٠ ـ **الموطأ**، مالك بن أنس الأصبحي المدني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٨١ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

٨٢ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٨٣ ـ **الاعْتِصَام**، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق ودراسة الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمٰن الشقير، الجزء الثاني: د. سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٨٤ ـ **الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ**، أنيس منصور، المكتب المصري الحديث.

٨٥ ـ **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، توماس آرنولد، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: الدكتور حسن إبراهيم حسن، الدكتور عبد المجيد عابدين، إسماعيل البخراوي، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة، ط٣، ١٩٧٠م.

٨٦ ـ **طبيب في رئاسة الوزراء مذكرات الدكتور مهاتير محمد**، مهاتير محمد، ترجمة أمين الأيوبي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٤م.

٨٧ ـ **التجربة الماليزية.. مهاتير محمد والصحوة الاقتصادية**، محمد صادق إسماعيل، العربي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م.

٨٨ ـ مذكراتي السياسية (السلطان عبد الحميد الثاني)، عبد الحميد (الثاني) بن عبد المجيد (الأول)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ.

٨٩ ـ محمد ﷺ في مكة، المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات، ترجمه إلى العربية: الدكتور عبد الرحمٰن عبد الله الشيخ، راجع الكتاب وعلّق عليه: الدكتور أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٩٠ ـ الحركات السرية في الإسلام، محمود إسماعيل، سينا للنشر، القاهرة، مصر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٩٧م.

٩١ ـ خمسون شخصية أساسية في الإسلام، روي جاكسون، ترجمة رشا جمال، الشبكة العربية للنشر والأبحاث، ط١، ٢٠١٠م.

٩٢ ـ الصديق أبو بكر، د. محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠١٢م.

٩٣ ـ دراسات في تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، ط٢.

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة